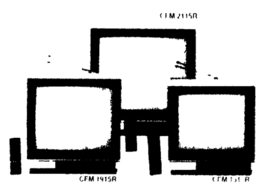

العربي
سراواك
الانطلاق
من عمق
المجهول
البحث العلمي
من أجل غد أفضل
جرائد
١١٥ عربي



مع فيشر جميع المقاعد محجوزة.

إذا أردت الحصول على أفضل صورة وصوت موفقين، صنع تمتلك في الشركة التي قدّمت نظام الهاي فاي للعالم. لن تنزعج من التشويه أو عدم الوضوح عند زوايا الشاشة مع تلفزيون فيشر ذو الشاشة المسطّحة المربعة. لماذا؟ لأن الشاشة مسطّحة ومربّعة مما يعطي جميع المشاهدين صورة أفضل وليس فقط مشاهدي المقاعد الأمامية.

أضف إلى ذلك صوت الستيريو، جهاز عملي للتحكم عن بعد، قدرة لـ ١٦ نطاما، في صورة ممتازة وبذلك يأخذ الاستماع السمعي المرئي بعداً جديدة. بالإضافة إلى موديل CFM2110SR ٢١ بوصة فإن فيشر تقدّم لك أيضاً ثلاثة تلفزيونات أخرى ذات الشاشة المسطّحة المربعة ١٦ نطاما حتما. فيشر يقدّم لك عالماً جديداً مدهشاً





العدد ٣٣٤ السنة التاسعة والعشرون سبتمبر ١٩٨٦

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهريًا عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

رئيس التحرير

د. محمد الرميحي

Issue No 334 Sep 1986 P O Box 748
Postal Code No. 13008
Kuwait A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by Ministry Of Information State Of Kuwait.

ص.ب ٧٤٨ العربي
الرمز البريدي 13008 الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ ٢٤٦٨٢٤٢ ٢٤٢٧١٤١
برقيا العربي الكويت تلكس MITR 44041KT
تلفون فاكسيميلي ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

ترسل الطلبات إلى قسم الاشتراكات المكتب الفني
وزارة الإعلام ص.ب ١٩٣ الكويت
على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية
أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقًا للمبالغ التالية
الوطن العربي ٤ د.ك باقي دول العالم ٦ د.ك

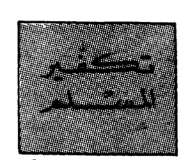
الكويت ٢٥٠ فلسًا	تونس ٤ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلسًا	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهما
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسا	قطر ٥ ريالات	اوروبا دولاران او جنيه استرليني
مصر ٢٥٠ مليمًا	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكًا
السودان ٢٠ قرشا	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

اقرأ في العدد القادم من العربي

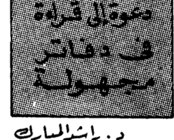
الهند

تجني ثمار بحثها العلمي

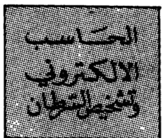
استطلاع: منير نصيف



د. محمد عمارة



د. راشد المبارك



سمير صلاح الدين شعبان

- ألذ علاج لمرض الاكتئاب — شريف الراس
- الميكروبات كمصادر لغذاء الإنسان — د. سمير رضوان
- باخ .. من النسيان إلى التكريم — د. سمحة الخولي
- مرض الثعلبة .. يصيب الظفر والعين — د. عبدالله المشاري
- التعريب في الجزائر.. مع مولود قاسم / أبو المعاطي أبو النجا
- إنهم يزرعون الصحراء بالمياه المعالجة / استطلاع صادق يلي
- وجهاً لوجه .. مع د. عبد القادر القط وعلي شلش
- أحمد أمين امتداد لمحمد عبده / حافظ أحمد أمين
- جبرين.. تحفة العمارة العمانية / يوسف الشاروني
- كتاب الشهر: اليمن الديمقراطي / جمال ودرجة

عزيزي القارئ

في هذا العدد تصحبك مجلة العربي في رحلتها الشهرية الى باقة من الموضوعات التي تحاور قضايا الساعة ، دون أن تغفل القضايا الأساسية التي تسعى العربي دائما الى أن تلقى عليها أضواء جديدة ، وتعيد النظر اليها من زوايا مختلفة ، وتتابع ما يحدث فيها من جديد على مستوى الوطن العربي أو العالم .

عن أهم قضايا الساعة يكتب لك الدكتور عدنان شهاب الدين مقالا عن « تشرنوبيل : الحقائق والتوقعات » . . ليضع النقط على الحروف في قضية أثارت قلق الناس في كل العالم ، بين أملهم في توفير مصدر جديد لا ينضب للطاقة ، وبين خوفهم من مخاطر هذا المصدر !

ولعله من أهم قضايا الساعة قضية نفاد الموارد الطبيعية ، الأمر الـذي جعل خـطط التنمية في العالم المتقدم تتجه بالدرجة الأولى الى تنمية الانسان . . تنمية ذكائه ومعلوماته وشتى قدراته باعتباره مورداً متجدداً ، لا حدود لامكانات تطوره . . حول هذا الموضوع يكتب لك الدكتور عادل عبدالكريم عن « أول وزير للذكاء في العالم » . . ففي أي البلاد عين هـذا الوزير ، وما هي مهام وزارته ؟ وكيف تمارس هذه المهام ؟

من أحدث العلوم الانسانية . . « السيميائية » فهل نجح هذا العلم الجديد في أن يحدد أهدافه ومناهجه ؟ الدكتور كمال أبو ديب يسعى الى تعريف قاريء العربي بهذا العلم الجديد بلغة تجمع بين الدقة والوضوح ، وحتى لا يبقى هذا العلم وقفا على المختصين ، إنه يخوض هذه المغامرة ونحن معه ، فهل ننجح جميعا ؟ هذا ما تقرره أنت عزيزي القاريء ونرحب مسبقا بحكمك .

الله . . والانسان . . والحرية . . قضايا قديمة وجديـدة . . وحين يتنـاول الدكتـور حسان حتحوت هذه القضايا فاننا نتوقع دائما أن نقرأ الجديد والمفيد معا !

وحين يكتب لنا المفكر العربي محمد عابد الجابري عن تأثير الفيلسوف العربي ابن رشد في الفكر العربي وفي الفكر الغربي ، فإننا نكون أمام وجبة فكرية ثرية وممتعة في وقت معا ، في موضوع قديم ، ولكنه بنفاذ الكاتب يصبح جديدا للمختص وللقاريء العادي !

في باب وجها لوجه يجرى حوار مع الروائي الكبير فتحي غانم يكشف فيه عن جوانب من أسرار إبداعه ، ويتيح للقاريء أن يضع يده على العديـد من مفاتيـح كنوز هـذا الكاتب.

وتحرص العربي على أن تواصل مسيرتها في متابعة مجالات البحث العلمي من أجل غد أفضل ، فتقدم لك في هذا العدد استطلاعا من معهد الكويت للابحاث العلمية ، وفي الاعداد القادمة سوف تقدم لك استطلاعا في الاتجاه ذاته عن مسيرة البحث العلمي في الهند .

هذه بعض معالم الرحلة التي تصحبك فيها العربي هذا الشهر في دنيا الفكر والثقافة والفن . . . أما بقية المعالم فأنت تعرف طريقك إليها مع الشعر والقصة وبقية الأبواب الثرية والغنية بالمعرفة والمتعة .

المحرر

محتويات العدد

ماذا تعرف عن سرواك . . . حيث ديكورات الجماجم . . وموروثات الأجداد . . والطفرة الصناعية التنموية بعد انطلاقها من عمق المجهول ؟ ص ١٣٦

استطلاعات ومقابلات

أبواب العدد

البيت العربى

مجلة الأسرة والمجتمع

حديث الشهر

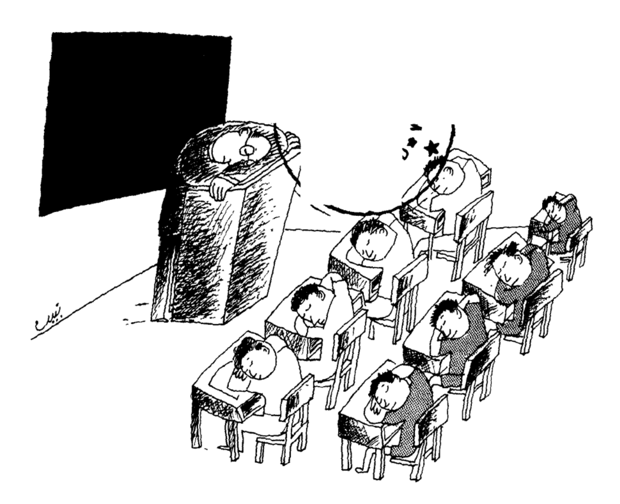
بقلم الدكتور
محمد الرميحي

أسئلة وإجابات .. في المسألة التربوية

- نزع سلاح التعليم أخطر من نزع السلاح التقليدي !
- مدارسنا مسئولة عن صيانة الماضي وتأهيل الناشئة للحاضر والمستقبل.
- اقتصار التعليم في الماضي على القلة سهل انتشاره.
- التربية .. صناعة ثقيلة تحتاج إلى كل جهود الصناعات الثقيلة.

في شهر أغسطس ١٩٨١ شكل وزير التربية والتعليم في الولايات المتحدة لجنة من ثمانية عشر عضوا لدراسة نظم التعليم في الولايات المتحدة وتقديم مقترحات لاصلاحه ، وخرجت اللجنة بعد حين بتقرير يعرفه معظم المشتغلين بالتربية والتعليم في العالم اليوم ، وكان عنوان التقرير « أمة في خطر » ، ولقد لفتت نظري اللهجة المتشائمة في ذلك التقرير ، بل الادانة الكاملة لنظم التعليم السائدة في الولايات المتحدة ، حتى ان احدى فقرات التقرير تقول : (انه لو قامت أمة معادية بفرض أداء تعليمي قليل الجودة على الشعب الأمريكي - كما هو الحال في النظام التعليمي السائد - لاعتبرنا ذلك مدعاة للحرب ! ولكن كل ذلك يحدث الان ومن خلالنا وقد سمحنا به !)

وفي ابريل سنة ١٩٨٤ أصدرت قيادة الحزب والدولة السوفييتية قرارا موجها للتنفيذ باقامة كليات تقنية وعملية موحدة ، وزيادة سنوات الدراسة العامة من عشر سنوات الى



احدى عشرة سنة ، وتمديد سنوات التعليم المهنى ، على ان يدخل جميع الطلاب سنة تدريبية عملية قبل تخرجهم .

وقد سبق هذا القرار نقاشات وحوارات نشر كثير منها في الصحافة السوفييتية ، والهدف هو « اللحاق بالثورة العلمية والتقنية التي يشهدها العالم » .

ذكرنا هذين المثلين اللذين وقعا في السنوات الأخيرة في أكبر دولتين معاصرتين لنا ، هما الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي على ما بينهما من اختلاف في أمور شتى ، ولكنهما اتفقتا ـ كما هو الحال مع كثير من الدول ـ على النظر الى نظام التعليم والتدريب في مجتمعاتهما نظرة جدية ، فالعلم والمعرفة سلاح يمكن استخدامه بشكل ايجابي ، كما يمكن أيضا نزع هذا السلاح بطريقة جديدة ، أي ليس بالحرمان منه ولكن بتفريغه من داخله ، والابقاء على الشكل وخلخلة المضمون الى درجة أن يرتد الى رقاب منشئيه ويفتك بهم .

ولسنا في الوطن العربي اليوم ممن تنقصهم التقارير الموضوعة في التعليم والتربية العربية ـ فهي كثيرة والحمد لله ـ ولسنا ممن ينقصهم الرجال والنساء لبيان أهمية التعليم على المستوى الدولي والوطني والعربي والانساني ، ولا ممن ينقصهم قبول حقيقة أن التعليم هو سلاحنا للنهضة ، فكل ذلك معروف . . ولكن ما ينقصنا في الحقيقة هو ان نعترف بأن سلاح التعليم العربي منزوع ، فهناك مؤسسات نسميها مدارس وجامعات يذهب إليها أبناؤنا وبناتنا كل صباح ويعودون منها كل مساء ، وهناك كتب توزع وتقرأ وقد تحفظ أيضا ولكنها لا تفى بالغرض المطلوب ، لأن التعليم في تصورى أصبح في وطننا العربي ـ في الأعم الأشمل ـ قضية شكل أكثر منه قضية جوهر ، وقضية مؤسسات أكثر منها قضية محتوى وأهداف واضحة المعالم .

العقل الابتكاري والعقل المسالم:

فنحن حتى الآن ـ اعتمدنا على النقل في الشؤون التربوية والتعليمية دون إعمال العقل بصورة ابتكارية .

□ وأريد أن أفرق بين مفهومين « لاعمال العقل » أحدهما اعمال العقل ابتكاريا من أجل التغيير والتطوير ، والثاني استعمال « العقل المسالم » الذي يفكر في إطار من المألوف بين الناس ، بحيث لا يصدم عرفا وان كان خاطئا ، ولا يتعارض مع رأي ذاع ، بالغا ما بلغ من الفساد .

يحدثنا أحد مفكري العرب* في هذا الاطار عن جامعاتنا بأنها « تذكرنا بالجامعات الأوروبية في العصور الوسطى ، من حيث أنها كانت تتوخى ما سموه بالتعليم السلمى ، وهو الذي كان دائما يتمشى مع اتجاهات الكنيسة ، أي أنها تقاد ولا تقود ، تساس ولا تسوس » وهنا ربما تكمن احدى أهم معضلات التعليم في بلادنا . . فهو بجانب قصوره من حيث الكم ـ وذاك موضوع سنعرض له لاحقا ـ الا أنه يصدم كثيرا منا من حيث الكيف والمستوى والاعداد ، صحيح أن كل ذلك ليس سببه نظام التعليم وحده بل تتداخل معه أسباب أخرى ، الا أنه صحيح أيضا أن نظام التعليم يتحمل الكثير من هذا القصور .

ونعرض هنا لبعض مظاهر القصور

من أبرز هذه المظاهر مستوى تحصيل الطلاب في المستويات التعليمية المختلفة ، وها هو الخريج الجامعي الذي ـ في أي تخصص كان ـ يجد صعوبة في الالمام بالقضايا العامة ، ويسهل كثيرا إقناعه دون نقاش طويل بأن هذا المنطلق أو ذاك هو الصحيح في الحياة ، فيتعصب له دون نقاش ويتبعه دون تساؤل ، ضيق الأفق في الشئون العامة،يرى الأمور سوداء أو بيضاء قبليا أو طائفيا أو قطريا في أحسن الأحوال ، أما مستوى المعارف وقدرات الأداء والمهارات التي كان من الواجب عليه أن يمتلكها فهي في حدودها الدنيا ، سواء كانت مهارات عقلية أو مهارات يدوية .

مستوى التحصيل ، هذا الذي نشكو منه ، هو نتيجة وليس سببا ، نتيجة لاعتمادنا على النقل والاهتمام بالشكل . فنحن نحرص على ما يتم تعلمه ـ وذاك خطأ ـ انما يجب أن نحرص على ما يقود الى « التعليم المستمر » . يجب أن ننتقل من التركيز على السرد والتلقين الى الفهم والتحليل وحل المشكلات والتوصل الى استنتاجات فالمعلومات مهما كانت قيمتها الحالية هي معلومات متغيرة متطورة ، وحفظها وكأنها مقدسة خطأ عظيم ، الخيار الأساسي لذلك هو وضع الأسس لتعليم مستمر ، لخلق مجتمع دائم التعليم ، وأن يستمر أبناؤنا في الابحار في رحلة حياتهم مزودين بما تعلموه في بدايتها من أساسيات ، وليس الاكتفاء بنيل الشهادة ، وكأنها تعنى الاكتفاء من التعليم .

من الأخطاء السائدة بين المتخصصين في التعليم عندنا ، النقاش العقيم بين التخصصات العلمية والأدبية ، وما اصطلح عليه في هذا الاتجاه ، وذلك في رأيي إحدى القضايا العالقة بسبب النقل دون تمحيص العقل . فالتعليم شيء متكامل « وأساسي لخلق مواطن يتعايش مع العصر . . والتخصص أمر لاحق للتعليم وليس سابقا له . . »

---

* د . توفيق الطويل : في تراثنا العربي الاسلامي ـ سلسلة عالم المعرفة ـ عدد ٨٧ ـ مارس ١٩٨٥ .

موت المدرسة :

□ عندما نتحدث عن التعليم المستمر ، والتعليم من أجل الحياة ، وعن شعارات من هذا القبيل ، فاننا غالبا ما نذكر ما كنا فيه ـ كعرب ومسلمين في صدر الاسلام ـ من حث على التعليم والتعلم ، ذاك هو تراثنا الثقافي العظيم القريب الى قلوبنا ، ولكن الحديث في العموميات مضر أيما ضرر . في ذاك التراث العلمي ـ وفي القرون الأولى من النهضة ـ تكمن كل القيم الايجابية ، ففي القرون الأربعة الأولى من الاسلام تطور التعليم العربي الاسلامي ، ولم يقتصر أمره على العقيدة واللغة ، بل تطور الى ميادين أخرى في الفلك والرياضيات والطبيعة والكيمياء والطب والهندسة والفلسفة ، وترجمت الكتب الاغريقية والفارسية والهندية الى العربية ، كما ترجمت الكتب العربية الى اللغات الأخرى ، وكانت مصدرا من مصادر التعلم ، ولكن في السنوات اللاحقة للقرن الرابع الهجرى بدأ الانحدار ، وتضاءلت المدرسة العربية الاسلامية حتى أوشكت على الزوال بتقاليدها العظيمة . . ، فما هو السبب ؟

تختلف في ذلك الاجتهادات ، ولكن النتيجة واحدة وهي أن الركود الاقتصادي والعلمي والثقافي سحب نفسه على الوطن الاسلامي من بعد تفرق السبل ، ويعرف الاستاذ المرحوم عبدالعزيز القوصى فترات الانحطاط بأنها في العد الهجري ، أربعة قرون من التقدم والرقى ، وأربعة أخرى من الخلافات والمنازعات ، وأربعة تالية طويلة ومملة من الركود والتخلف ، وغطيت الثقافة العربية والتعليم والحياة الأدبية العربية فيها بغطاء كثيف من التعصب والخزعبلات ، وفي الوقت الذي كان هناك طلب وحث على البحث العلمي في القرن الثالث والرابع الهجري ، وأصبح متسامحا معه في القرون القليلة التالية ، تحول في عصور الركود والتخلف الى شيء من السحر والهرطقة ، وأصبح محاربا برجاله ونتائجه على حد سواء ، ونما شيء جديد في العقل العربي الاسلامي ، هو وضع العلم كشيء مضاد للعقيدة ، الى درجة أن شخصية مثل الرازي ـ نعتز بها ونفخر اليوم ـ اتهم بالهرطقة والكفر ! !

في هذه العصور المظلمة ، والتي تخلفنا فيها سياسيا واجتماعيا وثقافيا وعلميا ، تكمن جملة المشكلات التي نواجهها في اطار التعليم والتطور اليوم . فما وصل الينا من بصيص معرفى ومنطلقات علمية من المتقدمين ، ثم نما وتطور في القرن الأخير ، وصل الينا في حقيقة الأمر نتيجة الدفع الذاتي لما عرفه السابقون في العصور الاسلامية الأولى ، وعندما نتغنى اليوم بانجازنا الحضارى ، فانما نتغنى في حقيقة الأمر بتلك العصور الذهبية الأولى ، واذا كان الأمر الايجابي له قوة ذاتية تبسطه على الزمن ، فان الأمر السلبي كذلك أيضا ، ومن هنا فان معوقاتنا اليوم في التعليم العربي ، جذورها ضاربة في عصر التخلف ، وما زالت تطل علينا برأسها في شكل دعاوى ايديولجية تكمن حينا لتظهر من جديد في أشكال أخرى ، وهي من العقل نافرة ، والى المنطق فقيرة ، والى الوراء ناظرة .



لقد ماتت المدرسة العربية الاسلامية وماتت تقاليدها ، وعندما جاء الخيار لمحمد على في مصر في مطلع القرن الماضى لانشاء مدارس على النمط الحديث ، كان أمامه خياران : أحدهما أن يطور ما هو موجود من تعليم تقليدي ، وثانيهما أن يتركه على حاله ويبدأ بالمدارس الحديثة على النمط الغربي كما كان معروفا وقتها ، ولقد اختار محمد على ـ حقا أو باطلا ـ أن يترك القديم على قدمه وأن يعتنى بالحديث كما ورد ، وهناك بُذرت بذرة التعددية في التعليم العربي الحديث الذي أكده ـ دانلوب ـ مهندس التعليم الحديث في

مصر بعد الاحتلال البريطاني ، وأخذه الوطن العربي كما هو تقريبا . . تعليم ثنائي غير ممتزج ، وتعليم مفرغ من محتواه يصلح لتخريج الكتبة .

نعم حدثت بعد ذلك محاولات جليلة وعميقة للاصلاح في أقطار عديدة من الوطن العربي ، ولكن انطبق عليها ما ينطبق على شيء يراد اصلاحه ، وهو تعديل لشيء قائم يحتفظ في الغالب بخصوصية المنشأ .

فما زالت الأسئلة التي طرحها التربويون العرب منذ أكثر من نصف قرن قائمة : ماذا نعلِّم ومن نعلِّم ؟ هل نعلم من أجل الحفاظ على الوضع القائم . . أم نعلم من أجل مجتمع جديد ؟ هل نريد ان يكون متعلمونا طيعين تابعين ، أم مشاركين متعاونين ، أم عاصين خارجين ؟ ما هي لغة التعليم في العلوم والرياضيات ؟ هل نعلم في المدينة ونهمل الريف والبادية . . أم نهتم بالجميع ؟ هل نعلم المرأة ؟ وماذا عن المعوقين جسديا أو عقليا ؟ وماذا عن المتفوقين ؟ أنعلم للأكثرية العادية أم للفئات الخاصة ؟ أنهتم بتعليم الصغار فقط ؟ وماذا عن الكبار ؟ .

كلها أسئلة تكاد تكون مطروحة تقريبا في كل مطبوعة يدور محتواها حول التعليم العربي . . قطريا كان أم قوميا .

ولعل الاضافة على تلك الأسئلة التقليدية تبرز في أسئلة جديدة نابعة من واقع التشرذم العربي الذي نراه بعيوننا اليوم ، فلكي يستطيع الوطن العربي أن يقوم بوظائفه القومية المرتجاة ، لا بد أن يصل أبناؤه ـ مهما اختلفت أقطارهم ـ الى قدر من التفاهم المشترك في التوافق والتفاهم بين أبناء القطر الواحد أو بين العرب في أقطارهم المختلفة .

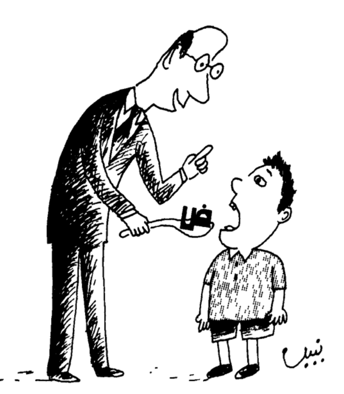
واقع الأمر أن التربية العربية ـ مما هو ظاهر أمامنا ـ قد فشلت جزئيا في تكوين هذا القدر من التفاهم المشترك ، بل انها قد تخلفت عن مفاهيم تربوية عربية كانت سائدة قبل أكثر من ثلاثين سنة ، عندما كان الطالب في فاس ، والطالب في بغداد ، والطالب في الكويت ، يغني كل صباح :

« بلاد العرب أوطاني » !!

التربية من أجل التنمية :

□ في عام ١٩٦٦ ، وفي مؤتمر تربوى عربي عقد في طرابلس الغرب ، أوصى المؤتمر بأن يعمم التعليم الابتدائي للطلاب العرب قبل حلول عام ١٩٨٠ ، ويأتي ذلك العام وما بعده من سنوات وحتى اليوم ، فاذ هناك ملايين من الفتيان والفتيات العرب في سن التعليم الابتدائي ولكنهم لا يجدونه ، واذ بالأمية الأبجدية ما تزال مرتفعة في المتوسط بين المواطنين العرب ، وهي في المتوسط أكثر من الثلث ، وترتفع الى حوالى النصف بين الاناث ، صحيح ان بعض الأقطار العربية قد استطاعت ان تحقق شيئا من النجاح في موضوع ادخال أكبر نسبة من مواطنيها الصغار في المدارس الابتدائية على الأقل وفي تخفيف حدة الأمية ، لكن الصورة العامة العربية لا تبشر بخير ، اذا أردنا أن نقول أننا أمة تريد أن تأخذ مكانها في عالم شديد التنافس ، وبدون صياغة لمواردها البشرية وتحديد نوعها ومستواها لن تجد هذه الأمة لها مكانا بين أمم العصر الحديثة ، وبدون التربية لن نحصل على صياغة جديدة لأهم مورد على الاطلاق . . وهو البشر .

فقد أصبحت المعرفة والتعليم والذكاء الذي أحسن تدريبه هي الخامة الحقيقية للتنمية ، وهنا تبدأ العقبة الكبيرة أمام كل ذلك .



فأولا : ليس هناك تمويل مالى متاح لجميع الأقطار العربية كي تقوم بهذه الخطوة .
وثانيا : فان من توفر لهم التمويل المالي نسبيا لم يستطيعوا حتى الآن تحقيق الصياغة المبتغاة لأسباب ذاتية لها علاقة بالكفاءة الداخلية لأنظمة التعليم العربية ، أو لأسباب موضوعية لها علاقة بالكفاءة الخارجية لأنظمة التعليم (العوامل الاجتماعية) .

ولنفصل هذا الايجاز . . فنقول مبتدئين بما سميناه العوامل الخارجية (الاجتماعية) التي تعطل كفاءة التعليم ، منها على سبيل المثال لا الحصر « الموقف الاجتماعي » من تعليم المرأة ومن ثم عملها ، فما زال بين ظهرانينا من يعتقد بأن المرأة مكانها البيت مصحوبة بالجهل ، واذا وافق على مضض على تعليمها فانما على أساس أن تبقى في المنزل دون مشاركة في الحياة العامة ، وهناك أيضا الموقف الاجتماعي من مهنة التدريس ذاتها . . فما زالت هذه المهنة تبدو للكثيرين في ثقافتنا العربية وكأنها امتداد « لمعلم الصبيان » المسكين الذي أمطرته الثقافة العربية سخرية واستهزاء ، ولم ننصفه ـ في معظم أقطارنا ـ حتى اليوم .

المعلم والمدرس ، والعامل بالتعليم من ذكر وانثى ، ما زال غير منصف لا ماديا ولا معنويا ، بين وقت وآخر نتحدث عن « دوره الحضاري الكبير » ولكن لا أكثر ولا أقل .

المعلم في وطننا العربي على امتداده أقل الفئات العاملة انصافا . . لذلك فانه ليس من المستغرب أن يغادر المدرسون الأكفاء أعمالهم زرافات بعد زرافات الى أعمال أخرى ويدخل بدلا منهم آخرون تنقصهم الكفاءة والخبرة ، ويؤثر ذلك على كفاءة التعليم في النهاية . فطريقة العرض والتدريس وحب المعلم لها وتفانيه فيها هو المدخل الحقيقي لتعليم أفضل .

تلك بعض العوامل الخارجية ، أما العوامل المعطلة للكفاءة الداخلية لأنظمتنا التعليمية فهي كثيرة أيضا ، منها على سبيل المثال لا الحصر صياغة برامج (مناهج) لها علاقة مباشرة بالتنمية العربية ، والنظر الى المدرسة كإحدى المؤسسات الأساسية للتطوير .

معظم شكوانا من المناهج الحالية أنها تدور في حلقة مفرغة ، فيها من الثوابت أكثر من المتغيرات . . والحياة بطبيعتها متغيرة .

محرك التعليم في بلادنا يجب أن يكون الانتماء الى العصر عن طريق الاشباع الذاتي للحاجات الأساسية ، التي أصبحت سمة عصر الجمهور الكبير الانساني الذي تختفى فيه الجماعات الصغيرة ، وتحترم فيه التعددية ، ولكن ضمن المجموع الحضاري المنسجم .

الحاجات الأساسية في اطارنا العربي تكاد تكون معروفة ، فهي من شقين : مادية ومعنوية .

أما المادية فهي الغذاء والسكن والصحة والعمل . .

وأما المعنوية فهي تحقيق الذات والمشاركة ، وحرية التعبير ، والشعور بالكرامة والاعتزاز بروح المواطنة .

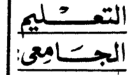
تلك الحاجات الأساسية حلقات متداخلة ، تحتاج الى جهد انساني صبور وطويل ، وهي متكاملة لا يغنى بعضها عن البعض الآخر ، ولن تتحقق كلها أو جلها في أمتنا العربية الا باعداد مواردها البشرية خير اعداد .

كل هذه الحاجات الأساسية تنقصنا بشكل أو بآخر اليوم في الوطن العربي .

دعنا نتحدث عن بعضها .

في الاطار المادي فمن اول هذه الحاجات هو الغذاء ، ففي وطننا العربي الذي يتضاعف عدد سكانه كل ربع قرن تقريبا تتناقص قدرته على الوفاء باحتياجاته الغذائية سنة بعد سنة ، ويقول لنا الخبراء في الموضوع انه دون احداث ثورة حقيقية في برامج الزراعة العربية سوف نظل جميعا عالة على من يزرعون ، ومدخل احداث تلك الثورة الزراعية المبتغاة هو انسان مدرب متعلم ، وفي الاطار المالي نفسه عندما نتحدث عن الصناعة بأشكالها المختلفة ، نجد ان من اهم معوقات التقدم الصناعي العربي ارتفاع مستوى الامية ، والنقص في توفر الكوادر المدربة . . . انه الانسان المتعلم من جديد .

اما اذا تحولنا الى الحاجات المعنوية . . فاننا نجد ان قيمة الانسان المتعلم تأتي في الصدارة من أجل تحقيقها ، فلا حوار ديمقراطياً في مجتمع جاهل ، عندها يختلط ذلك الحوار لينقلب الى فوضى . . ولا تحقيق ذات في مجتمع متعصب ، ولا شعور بالكرامة في مجتمع يحتقر العمل اليدوي مثلا ، ان مدخل التنمية العربية اذن هو انسان متعلم يعرف اولويات العصر . . واداتها هي التعليم والتربية .



□ انكبابنا على الحديث عن التعليم - فيما سبق - يعني في معظمه التعليم العام والتقني ، وحديث الجامعات العربية حديث آخر ذو شجون ، فاذا كانت مناهج التعليم العام قد اصابها التطور بعد فترات لاحقة لنشوئها ، فان مناهج الجامعات العربية اعتمدت - في معظمها على الأقل - على انواع المناهج الاكاديمية المطبقة في الجامعات الغربية ، وعلى الرغم من ان عدد الجامعات العربية اليوم يقدر بأكثر من سبعين جامعة تضم عشرات الآلاف من أعضاء هيئة التدريس ومئات الآلاف من الطلبة ، لكن جهدا حقيقيا لم يبذل لتطوير مناهج التعليم الجامعي ، فهناك على سبيل المثال ثنائية في تركيب المناهج الجامعية منقسمة الى أقلية تعتمد نظام (المقررات) واخرى تعتمد نظام السنوات ، وفي كلا النظامين سلبيات

وايجابيات كان من الممكن تطويعها كي تناسب حاجاتنا ، ولكننا مازلنا في هذا الاطار ناقلين ، وعندما نأتي الى البرامج الاكاديمية فمازالت معظمها في طور الترجمة والنقل وقليل منها في طور الابداع والابتكار ، حتى في العلوم القريبة الى ثقافتنا العربية ، فالمنهج المتبع في الاغلب غربي الجذور .

ولقد قدر لي ان أتولى التدريس في جامعة عربية اختلطت فيها الخبرات العربية ، فعرفت كيف يُدفع الثمن باهظاً في اللعبة السياسية الداخلية للجامعة ، وهي لعبة ليست مقصورة علينا ، فكل الجامعات ـ وربما كل المؤسسات ـ لها تلك السلبية ان شئت القول . . ولكنها معطلة للجهود بشكل اكبر في جامعاتنا ، وربما تنطلق أساسا من عدم تحديد العلاقة بين الجامعة كمؤسسة مستقلة وبين الدولة والتطورات العاصفة في منطقتنا ، وربما ايضا لقرب منشأ الجامعات الحديثة في بلادنا وعدم رسوخ تقاليد جامعية .

بيت القصيد في التعليم الجامعي انه عينه في التعليم العام : المنهج والمدرس ، فالمناهج الجامعية لدى كثير منا امتداد لأسلوب عقيم في التعليم العام . لقد استشرفنا آمالا كبيرة في التعليم الجامعي لذلك فان الفشل في تحقيق غاياته ولو جزئيا يصيبنا باحباط عظيم .

جمهور الاساتذة الجامعيين منقسمون على أنفسهم ، تشدهم بجانب كل سلبيات مجتمعنا المعروفة مدارس في التفكير نشأوا عليها في الغرب والشرق وتستعبد كثيرا منهم فكرة ان الاجادة هي نقل ما قاله الغربيون في هذا الموضوع أو ذاك دون ابتكار واضافة خلاقة ، يفتقد بعضهم الى أهم جسر بين الطالب وأستاذه وهو قدرة التواصل والتوصيل ، وتهتم جامعاتنا بالمشكلات العلمية سواء كانت تقنية او اجتماعية ذات منشأ غربي وتضرب صفحا عن مشكلات بيئية قريبة الا فيما ندر ، تلك كلها ظواهر لقضية التبعية العلمية ، فقد دربنا معظم أساتذتنا الجامعيين في جامعات خارجية دون تأهيل كاف ـ قبل ذلك أو بعده ـ لفهم البيئة العربية والتفاعل معها . لذلك فان المنهج والمدرس الجامعي سوف يقصران الى أجل عن أداء مهماتها ، وتتسع الفجوة بين الطموح المنبثق من الحاجات الحقيقية والواقع . قياسنا للمعلم الجامعي ـ كما هو قياسنا للمعلم بشكل عام ـ درجته العلمية وسنوات دراسته . . وكلاهما ليسا ضمانة لكل الأفراد ، بل لمعظمهم كي يعرفوا ماذا يعلمون وكيف يعلمون .

وبعد . . . .

هموم التعليم والمدارس في الوطن العربي كثيرة ومتعددة نطرحها هنا للقارىء العربي ، لشعورنا العميق بأنها من أولوياتنا الملحة ، فقد أصبح العلم ـ كمنهج وكنشاط اجتماعي ـ بمثابة المحرك الذي لا بد منه لعملية النمو الاقتصادى ، ولم تنجح أمة من الأمم الحديثة في التقدم الا بتطوير وسائل انتاجها . . ولم يتحقق لها ذلك الا من خلال قوة بشرية ، أتاح لها التعليم المنظم الحديث استغلال طاقة أفرادها عن طريق المبادرة والتفكير المستقل واعطاء العقل دوره في الحياة . □

محمد الرميحي



الخلفية والحقائق والتوقعات

بقلم : الدكتور عدنان شهاب الدين*

لكل علم وجهه السلبي ، تماما مثلما له وجهه الايجابي ، أو على الأصح وجوهه الايجابية أيضا .

وحريق المفاعل النووي في محطة تشرنوبيل السوفياتية هو أحد الوجوه السلبية في هذا المجال .

فما هي حكاية المفاعلات النووية وكيف قامت ؟ وما هي الحقائق والتوقعات المتعلقة بها ؟ حول هذه القضايا يتحدث هذا المقال . . .

كان حادث انفجار مفاعل في محطة الطاقة النووية ببلدة تشرنوبيل بجمهورية أوكرنيا بالاتحاد السوفييتي أسوأ حادث نووي منذ أن أقام السوفييت أنفسهم ، عام ١٩٥٤ أول محطة لتوليد الطاقة الكهربائية في العالم ، باستخدام الانشطار النووي ، قدرتها ٥,٠٠٠ كيلووات ، فقد فاق هذا الحادث في نتائجه المباشرة والمتوقعة بكثير عواقب حادث آخر مشهور وقع في محطة نووية في « ثرى مايل أيلند » بالولايات المتحدة الأمريكية في مارس عام ١٩٧٩ ، ولقد أثار الحادث اهتمام الرأي العام العالمي ، وامتلأت وسائل الاعلام بالأخبار الصحيحة وغير الصحيحة عن آثار الحادث ، وعما يحمل في طياته من مخاطر حقيقية أو متوهمة ، الأمر الذي يقتضي توضيح الكثير من القضايا والحقائق حول الوضع العالمي في شأن استخدام الطاقة النووية للأغراض السلمية ، والأخطار التي قد يأتي بها ، ووسائل درء هذه الأخطار ، والتغلب على آثارها ، وهو ما نحاوله هنا في تبسيط يهدف الى أكبر قدر من الوضوح ، ويتحاشى التجني على الحقائق العلمية أو القفز فوق المهم منها .

البدايات

من نافلة القول هنا التذكير بأن استغلال الطاقة النووية بدأ أول ما بدأ في مجال صنع الأسلحة المدمرة في سباق بين الطرفين المتحاربين في الحرب العالمية الثانية ، حين كتب أينشتين في مطلعها خطابه الشهير الى الرئيس الأمريكي روزفلت ، لافتا نظره الى اكتشاف العالم الألماني أوتوهان معادلات تتعلق بالانشطار النووي ، وما ينطوي عليه من إمكانيات صنع سلاح رهيب يفوق كل ما عرفه البشر حتى الآن في قدرته التدميرية ، وكان أن تعاون الحليفان ، البريطاني والأمريكي ، في إحراز قصب السبق ، وإنتاج هذا السلاح قبل الألمان ، واستخدامه عام ١٩٤٥ في هيروشيما وناجازاكي ، وكان أول مفاعل نووي بدأ العمل في العالم هو ذلك الذي أشرف على بنائه العالم الأمريكي ، الايطالي الأصل ، إنريكو فيرمي ، الذي بدأ تشغيله عام ١٩٤٢ لانتاج البلوتونيوم الذي تصنع منه الأسلحة النووية .

وما أن وضعت الحرب أوزارها ، حتى انصرفت الدول الصناعية إلى تطوير تقنيات استغلال الطاقة

* مدير عام معهد الكويت للأبحاث العلمية .



رسم يوضح كيف يعمل مفاعل نووي من نوع مفاعل تشيرنوبيل

النووية للاغراض السلمية ، وعلى راسها استخدامها في محطات توليد الطاقة الكهربائية ، باعتبارها بديلا واعدا يكاد أن يكون غير ناضب للوقود الاحفوري - فحما كان أو نفطا أو غازا - الذي استخدم في هذه المحطات ومازال يستخدم في الكثير منها حتى الان ، ومنذ أن أقام الاتحاد السوفييتي المحطة الأولى في العالم عام ١٩٥٤ وحتى اليوم ، انتشر استخدام الطاقة النووية في محطات توليد الكهرباء ، وإن تباطأت معدلاته ، بل ربما توقفت لبعض الوقت هنا أو هناك وقد لا يعلم الكثيرون منا أن فرنسا مثلا تعتمد على الطاقة النووية في انتاج زهاء ثلثي الطاقة الكهربائية فيها ، أو أن هذه النسبة هي ٦٠/ في بلجيكا ، و ٥٠/ في السويد ، و ٤٠/ في سويسرا ، و ٣٨/ في فنلندا ، و ٣٢/ في بلغاريا الا أنها لم تتجاوز ١٧/ في الولايات المتحدة الأمريكية ، وإن وجدت بها حاليا ١٠١ محطة عاملة و ٢٩ محطة تحت الانشاء ، أو ١١/ في الاتحاد السوفييتي حيث تعمل الان ٥١ محطة ، من بينها محطة تشرنوبيل ، بينما يجري العمل في إنشاء ٣٤ محطة أخرى

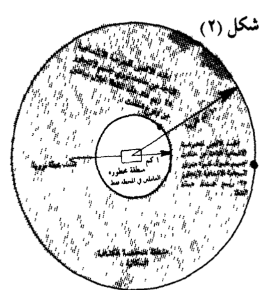
احتياطات ووسائل حماية

ولقد كانت الآثار البشعة لقنبلتي هيروشيما ونجازاكي على الكائنات الحية كفيلة بأن تؤكد ما كان معروفا لدى المشتغلين في هذا المجال عن مخاطر الاشعاعات النوويه ، وبأهميه اتخاذ إجراءات وقائية غير مألوفة في صرامتها وتنوعها وتطبيقاتها ، للحماية من هذه الاشعاعات عند تصميم وتشغيل محطات الطاقة النووية ، وانطوى تصميم هذه المحطات منذ البداية على مفاهيم جديدة في نظم مواجهة الأعطال والطوارىء الناجمة عنها ، واتخذت هذه الاجراءات أشكالا عدة من أهمها توفير بدائل للأجهزة التي تؤثر الأعطال فيها على سلامة المحطة ، وإدماج العديد من وسائل الانذار المبكر ، بأية تغيرات في ظروف التشغيل ، قد تؤدي الى أخطار غير محمودة ، وإقامة سلسلة من وسائل الحماية المتعاقبة ، واحدة تلو الاخرى،لمنع تسرب المواد المشعة من أجزاء المحطة المختلفة ، وضمان التوقف التلقائي لسلسلة التفاعل النووي عند حدوث عطل طارىء

ومن المفيد هنا أن نتعرف بصورة مبسطة على المكونات الرئيسية لمحطة طاقة نووية من نوع مفاعل تشرنوبيل ، وهو ما يوضحه شكل (١) بطريقة تخطيطية والاختلاف الرئيسي عن محطة تقليدية تستخدم وقودا أحفوريا لتوليد البخار الذي يحرك التوربينات التي تدير المولد الكهربائي ، في استخدام

مفاعل نووي لتوليد البخار بدلا من المراجل المألوفة في المحطات التقليدية ، وقلب المفاعل يتكون من مجموعات من الأنابيب تحتوي على الوقود النووي (اليورانيوم) الذي يولد انشطار النوى فيه حرارة شديدة ، ويمر حول هذه الأنابيب تيار من الماء على ضغط مرتفع ، فتنتقل إليه حرارة الانشطار ، فيتحول إلى بخار يخرج من قمة المفاعل الى التوربينات ، ليكمل الدورة المألوفة في محطات الطاقة التقليدية ، وتحاط كل مجموعة من أنابيب الوقود بغلاف أسطواني من معدن الزركونيوم ، تحيط به بدوره كتلة من الجرافيت ، تقوم بإبطاء النيوترونات المنبعثة عن انشطار ذرات الوقود ، لتعود فتشطر عددا أكثر من نوى ذرات الوقود ، لتوليد المزيد من الحرارة ومن النيوترونات ، وتتحقق السيطرة في معدلات الانشطار داخل المفاعل عن طريق قضبان تحكم ، تصنع عادة من مادة تمتص النيوترونات مثل معدن الكادميوم ، فتبطىء التفاعل أو توقفه حسب العمق الذي تولج به في قلب المفاعل ، وتتكون شحنة المفاعل من : الوقود النووي من حوالي عشرة ملايين من حبيبات أكسيد اليورانيوم ، تزن الواحدة منها أقل من جرام واحد ، مكدسة داخل أنابيب الوقود ، وقد يصل وزن الشحنة الى حوالي مئة طن ، يجري تبديل ثلثها تقريبا كل عام ، ويحيط بقلب المفاعل درع سميك من الفولاذ عالي المقاومة ، يصل سمك جداره الى حوالي ١٥ سنتيمترا ، هو وعاء الضغط الذي يتولد فيه البخار ، وهذا الوعاء مغلف بدوره تغليفا كاملا بوعاء احتواء آخر للوقاية ، اذا ما تصدع جدار وعاء الضغط ، والمحطات النووية الحالية مصممة في البلدان الغربية ، بحيث يتحمل وعاء الاحتواء الخارجي ارتطام طائرة من طراز بوينج ـ ٧٠٧ بها وتحطمها فوقها ، دون انهيار هذه التحصينات ، ومن ثم تسرب الاشعاع ، وتحيط بالمحطات النووية عادة منطقتا أمان ، تعرف أولاهما بمنطقة الاستبعاد ، وهي عبارة عن دائرة قطرها حوالي كيلومتر لا يسمح فيها بوجود أحد سوى العاملين بالمحطة ، والثانية منطقة منخفضة الكثافة السكانية تتمثل في دائرة أخرى محيطة بالأولى قطرها ١٠ كيلومترات تقريبا ، يمكن إخلاؤها تماما في غضون ساعتين من وقوع أي طارىء في المحطة ينذر بالخطر (شكل ٢) ، وبهذا لا يتعرض

شكل (٢)



اشتراطات السلامة الدولية بالنسبة للمناطق المحيطة بمنشات الطاقة النووية

السكان في هذه المنطقة لخطر يذكر من تسرب أية اشعاعات نتيجة لهذا الطارىء

حقيقة ما حدث

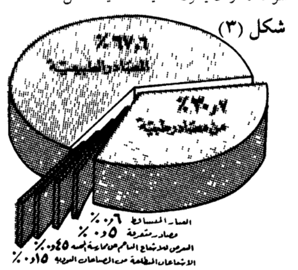
ولم يتمكن العلماء ، سواء في الاتحاد السوفييتي أو خارجه بعد ، من تحديد تسلسل الأحداث الذي أدى الى كارثة تشرنوبيل ، وتتعاون الان مجموعات منهم في الاتحاد السوفييتي وألمانيا الاتحادية وغيرها من الدول الغربية في جهود مكثفة للتعرف على حقيقة ما حدث ، وعلى تداعي الأحداث ، وربما كان القول بأن السوفييت قد تكتموا على حقيقة ما حدث يعتبر ضربا من المبالغة الاعلامية ، بينما واقع الحال أن الأمر مازال حتى الان محوطا بالغموض ، فقد كان الرأي السائد حتى وقوع الحادث أنه يكاد يكون ضربا من المستحيلات في أن يحدث ما حدث ، وعلى ضوء ما توفر حتى الآن من معلومات ، فانه يبدو ان خللا ما وقع في أحد الأنظمة الرئيسية بالمفاعل (نظام التبريد الرئيسي ، قضبان الوقود أو قنواته . . . الخ) تبعته سلسلة من الأعطال أو العطب في أنظمة السلامة ، وأن تقدير القائمين على المحطة لحقيقة الموقف لم يكن سليما ، الأمر الذي أدى الى تفاقم المشكلة ، وانفجار قلب المفاعل ، وتسرب كميات كبيرة من المواد المشعة فيه الى الخارج ، وبغض النظر عن ماهية الخلل أو العطب ، فالأمر الأكثر احتمالا هو أن إحدى

الأنابيب التي تحتوي على وقود اليورانيوم والماء المغلي تحت ضغط مرتفع قد انهارت ، ونتج عن التفاعل الكيماوي بين معدن الزركونيوم والجرافيت تولد غازي الهيدروجين ، وأول أكسيد الكربون القابلين للاشتعال ، ومع اختلاطهما بالهواء وقع الانفجار الذي دمر وعاء الاحتواء الضعيف نسبيا في المفاعلات من هذا الطراز ، وانهار سقف مبنى المفاعل نتيجة للانفجار ، وانطلقت الجسيمات المشعة في الهواء ، ويبدو أن الانفجار قد أعطب أيضا كل أجهزة توليد الطاقة الاحتياطية ، وأصبح من المستحيل على المسئولين عن تشغيل المحطات تبريد المفاعل ، وتوالى بعدا انهيار أنابيب الوقود ، الواحدة تلو الأخرى ، واستمرار توليد كميات أكبر من الهيدروجين الذي أجّج النيران المشتعلة ، وأطلق المزيد من المواد المشعة من قلب المفاعل

وهناك تصورات أخرى لمجريات الأحداث ، يقوم الخبراء السوفييت بدراستها متعاونين مع آخرين في منظمات دولية ودول أخرى

ماهية الاشعاع وأخطاره

ونحتاج هنا الى استطراد للتعرف بوضوح أكثر على ماهية الاشعاع ومصادره وأخطاره ، والاشعاع في جوهره طاقة ، وهو إما أن يكون على هيئة موجات كهرومغناطيسية مثل موجات الضوء أو الاتصالات اللاسلكية ، التي لا تختلف فيما بينها إلا في طول الموجة ، أو أن يكون جسيمات دقيقة تحمل شحنات



رسم تخطيطى لتوزيع متوسط الجرعة الاشعاعية التى يتعرض لها الانسان وفقا لمصادرها

كهربائية ، ومصادر الاشعاع كثيرة جدا ، منها الطبيعي الذي يأتي من الفضاء الكوني ويتساقط على سطح الأرض باستمرار ، بل إن منها ما يكون في جسم الانسان نفسه ، وإنما يعنينا منها في إطار حادث مثل حادث تشرنوبيل ما يصدر عن **المواد المشعة** ، وقدرة هذه المواد على بث الاشعاع تتناقص مع الزمن ، وبمعدلات تختلف اختلافا بيّنا من مادة إلى أخرى ، وتقاس هذه الخاصية بما يسمى اصطلاحا « نصف عمر » المادة المشعة ، أي الزمن الذي ينقضي قبل أن ينخفض الاشعاع الصادر عن المادة إلى نصف قيمته الأصلية (شكل ٤) ويتزايد خطر المادة المشعة كلما ازداد نصف العمر لها ، إذ أنها تظل مصدرا للاشعاع الخطر لفترات زمنية أطول ، وتتفاوت المواد تفاوتات هائلة في هذه الخاصية ، إذ تتراوح ما بين ثوان معدودات وسنوات طوال ، ومن الطريف أن نتذكر هنا أن المواد المشعة تختلف في هذا اختلافا جذريا عن المواد السامة ، فبينما تفقد الأولى خطورتها مع مرور الزمن ، طال أو قصر ، فإن الثانية تبقى إلى الأبد

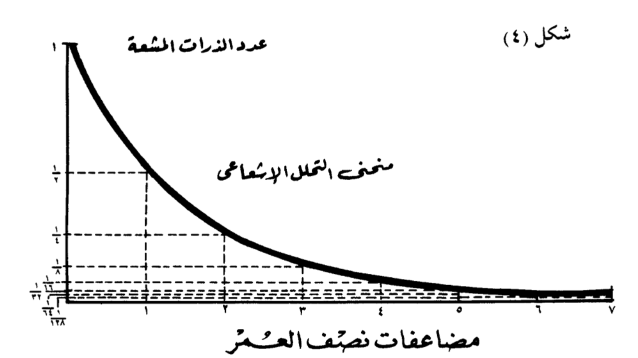
وبعيدا عن تسرب المواد المشعة من مفاعلات أو تفجيرات نووية ، فإننا نتعرض باستمرار لكميات من الاشعاع من مصادر طبيعية وصناعية ، وعلى رأسها الاشعاع من مصادر طبيعية يصل في المتوسط إلى ثلثي اجمالي ما نتعرض له ، ومن وسائل التشخيص والعلاجات الطبية (وعلى رأسها أجهزة الأشعة) ما يقل قليلا عن الثلث الباقي (شكل ٣) ، ويزداد الاشعاع من مصادر طبيعية زيادة كبيرة في المناطق الجبلية ، أو تلك التي تكثر فيها الرمال السوداء ، ونحن نتعرض أيضا لجرعات إشعاعية إضافية عندما نجلس أمام شاشة التلفزيون ، أو عندما نسافر في طائرة ! والانسان من أكثر الكائنات الحية ، نباتا أو حيوانا ، تأثرا بالاشعاع ، وآثار الاشعاع لا تتوقف بداهة على مقداره فقط ، ولكن أيضا على مقدار الكتلة الحية التي تتعرض له ، وهكذا فإن وحدة قياس جرعة الاشعاع ، المسماة « ريم » تساوي مقدارا من الطاقة قيمته ١٠ ـ ١٠ من الجول (وحدة الطاقة) لكل جرام من المادة ، والواحدة الأكثر استخداما هي « الميللي ريم » الذي يساوي جزءاً من الألف جزء من « الريم » . وآثار الاشعاع على الانسان إما أن تكون

مباشرة كما في حالة التعرض لجرعات كبيرة جدا من الاشعاع ، كما قد يحدث لأشخاص قريبين جدا من مصدر إشعاع قوي ، مثل انفجار نووي أو تسرب كميات كبيرة من مو'د مشعة من مفاعل نووي ، وهذه آثار واضحة وملموسة ، ولا تختلف في هذا عن آثار الحروق البليغة ، أو التعرض لتهتك في الجسم بسبب حادث مروري ، أو أثناء الحرب ، إلا أنها قد تكون أيضا بعيدة المدى بطيئة الفعل ، لا تظهر إلا بعد فترات زمنية طويلة ، وربما كان هذا هو سبب الذعر الذي يسيطر على الناس عند الحديث عن الاشعاع وأخطاره ، وهذه الآثار البطيئة تنقسم بدورها إلى نوعين : أحدهما مرضيّ والثاني وراثي ، والأول ينطوي على زيادة استهداف الشخص الذي يتعرض لاشعاع مرتفع ، وإن قل عن حد التلف العضوي المباشر ، للاصابة بالسرطان وللنقص في متوسط العمر ، والثاني يتعلق بآثار تنتقل إلى دريته عن طريق حدوث « طفرات » في جينات الوراثة في المصاب ، والحقيقة الواقعة هي أن آثار الاشعاع ربما كانت مدروسة ومفهومة فهما مفصلا يفوق ما نعرفه عن بعض الأخطار الأخرى التي يتعرض لها الانسان ، وإن كان هذا لا يعني بالضرورة أن علاج هذه الآثار قد حقق تقدما حاسما في جميع الحالات ، والأمر الذي يعنينا هنا هو أن الموضوع الذي مازال يحيط به قدر كبير من الجدل هو الآثار بعيدة المدى للتعرض للاشعاع بجرعات منخفضة جدا لفترات طويلة ، ولا يملك العلماء إلا القياس على ما يعرفونه عن آثار الاشعاع بجرعات كبيرة ، ودون أن تتوفر لهم شواهد مؤكدة من نتائج التجارب الفعلية لوجود آثار سلبية للجرعات الاشعاعية الضعيفة على البشر ، ويورد في الجدول التالي فكرة عامة عن آثار التعرض للاشعاع بناء على أفضل ما يتوفر حاليا من المعلومات وأكثرها تحفظا .

مستويات الأخطار

مستوى الجرعة التي يتعرض لها الانسان دفعة واحدة (مللي ريم)	الآثار البيولوجية
أقل من ١٠٠٠	لا توجد معلومات مؤكدة والنتائج تحسب استطرادا من المتوفر من معلومات عن الجرعات الأعلى ، وبصرف النظر عن معدلات التعرض للجرعة ، أي زمن التعرض للجرعة الاجمالية
١٠٠٠	١٠٠ حالة لوكيميا (سرطان الدم) لكل مليون ممن يتعرضون لهذه الجرعة ، على المدى الزمني البعيد .
أقل من ٢٥,٠٠٠	لا توجد آثار اكلينيكية ظاهرة لجرعات أقل من ٥٠,٠٠٠ ميللي ريم ، ولا يمكن الكشف عن الآثار إلا بوسائل مختبرية .
أقل من ١٠٠,٠٠٠	لا تأثير يذكر على توقعات العمر .
أقل من ٢٥٠,٠٠٠	حالات وفاة لا تكاد تذكر ، مع نقص واضح في توقعات العمر ، وظهور حالات القيء والاسهال ، وتساقط الشعر والغثيان والنزيف والحمى وفقدان الشهية والهبوط ، والشفاء خلال ثلاثة أشهر .
٤٥٠,٠٠٠	الأعراض السابقة مع وفاة ٥٠٪ من المصابين في ظرف ثلاثين يوما ، واصابة الباقين على قيد الحياة بعجز دائم .
١,٠٠٠,٠٠٠	الأعراض السابقة والوفاة في فترة تقل عن ثلاثين يوما .

شكل (٤)



رسم تخطيطي يبين الزمن الذي ينقضي قبل ان ينخفض الاشعاع الصادر من المادة الى نصف قيمته الاصلية

تساؤلات مشروعة

تبقى بعد هذا عدة تساؤلات مشروعة ، أولها عن الجرعة السوية التي نتعرض لها من مصادر طبيعية ، وهي في المتوسط حوالي ١٢٥ مللي ريم ، ولكنها ترتفع إلى ٥٠٠ ميللي ريم مثلا لمن يسكنون في مناطق جبلية مرتفعة ، أو إلى ٢٠٠٠ ميللي ريم بالقرب من مصادر طبيعية للاشعاع موجودة في التربة ، وهي تزداد كلما تعرضنا للكشف أو العلاج بالأشعة (الذي ينطوي أحيانا على جرعات مرتفعة جدا في تركيز على موقع معين في الجسم بغرض قتل الخلايا كنوع من العلاج !) أو كلما سافرنا بالطائرة ، أو جلسنا أمام شاشة التلفزيون أو حاسب آلي ، ويعني هذا أننا نتعرض في متوسط عدد سنوات عمر الانسان الى حوالي ١٠,٠٠٠ ميللي ريم من المصادر الطبيعية ، وأن هذا قد يزداد عدة أضعاف من مكان إلى مكان أو بسبب التاريخ العلاجي أو المرضي أو حتى تبعا لطبيعة المهنة

والسؤال الثاني المشروع هو ما هي توقعات الوفيات بالسرطان نتيجة التعرض لمصادر الاشعاع المحتلفة ؟ وهناك تقديرات لهذه التوقعات بالنسبة للولايات المتحدة ، نوجزها فيما يلي

الأسباب	مصادر الإشعاع الطبيعية	المصادر الطبية	السفر بالطائرات	بقايا التفجيرات النووية في الجو(١)	الأعمال بسبب الإشعاع	الأسباب الأخرى مجتمعة
متوسط عدد الوفيات بالسرطان في العام	٦,٧٠٠	٣,٣٠٠	٢٣٠	٣٣٠	١٠,٤٩٠	٣٨٩,٠٠٠

(١) قبل معاهدة الحد من الانتشار النووي

تقرير راسموسين

وكان من الطبيعي ، على ضوء هذه المعلومات أن يكون موضوع سلامة المفاعلات النووية ، وتقدير الآثار المحتملة لوقوع حوادث فيها ، محل اهتمام كبير ، ومن ثم ، كلف فريق من العلماء برئاسة أستاذ في معهد ماساشوستس للتقنية في الولايات المتحدة ، عام ١٩٧٢ ، بدراسة سلامة المفاعلات ، وتقييم مخاطر وقوع حوادث فيها ، وصدر في عام ١٩٧٥ تقرير مشهور يعرف باسم تقرير راسموسين ، على اسم ذلك الأستاذ ، وقد طور هذا التقرير مفهوم «المخاطرة» تطويرا مهما يسمح بتقييمها عدديا بدقة أكبر ، وخلص التقرير إلى أن محطات الطاقة النووية قد حققت مستويات منخفضة من المخاطرة مقارنة بالكثير من الأنشطة الأخرى السائدة في المجتمع ، وقد تعرض التقرير للنقد من الكثيرين بعد صدوره ، كان من بينهم علماء وتقنيون من معضدي التوسع في استخدام الطاقة النووية ، إلا أنه عندما وقعت حادثة مفاعل « ثري مايل أيلند » لوحظ أن تسرب المواد المشعة كان أقل بكثير من المتوقع طبقا لتقرير راسموسين في حادث من هذا الحجم ، ودعا هذا الجمعية الأمريكية للفيزياء إلى تشكيل فريق علمي برئاسة الأستاذ ريتشارد ويلسون ، من جامعة هارفارد ، لاجراء دراسة أحدث لتسرب المواد المشعة بسبب حوادث جسيمة في محطات الطاقة النووية ، وتوفرت لهذا الفريق منهجيات علمية وامكانيات للنمذجة باستخدام الحاسب الآلي ، تفوق ما كان متاحا لفريق راسموسين ، وخلصت اللجنة الى أن العواقب الوخيمة لتسرب مواد مشعة إثر حادث جسيم لا تحدث إلا اذا انهار العديد من الحواجز القائمة بين النشاط الاشعاعي والبيئة المحيطة بالمحطة (وهو ما يبدو أنه حدث في تشرنوبيل ولم يحدث في ثرى مايل أيلند) ، وخلصت حسابات الفريق إلى أن تقديرات راسموسين للتسرب الاشعاعي مبالغ فيها في بعض الحالات ، أو أنها لا تتغير كثيرا في حالات أخرى ، كما أن تقديره لاحتمال انهيار الوعاء الحاوي للمفاعل يكاد أن يكون ، طبقا لحساباتهم ، غير وارد في التصميمات الحديثة ، ولكنهم أشاروا إلى احتمالات أخرى ليس هذا مجال الخوض فيها ، وأوضحوا أنها ليست مفهومة فهما كاملا حتى الآن ، وان كانت البحوث تجري في أماكن عديدة لاستجلاء المسائل التي مازالت غامضة .

ومن المفيد أن نحاول شرح مفهوم المخاطرة في هذا السياق ، وهي تعرف بعدد حالات حدوث أمر غير مرغوب فيه (مثل الوفاة) ، ويمكن حسابها عدديا بمعرفة حجم الخسائر (عدد حالات حدوث الأمر غير المرغوب فيه) ومعدلات وقوع حدث يؤدي إلى هذه الحالات على النحو التالي :

المخاطرة (الخسائر في العام) = معدلات الحدوث (عدد المرات في العام) × حجم الخسائر (في كل مرة) .

فلو أن عدد حوادث القطار كان مثلا ١٠ حوادث في العام ، وكان متوسط الوفيات في الحادث الواحد حالتين ، فإن المخاطرة تكون ٢٠ في العام ، وتقدير مخاطرة وقوع حادث يعتمد على احتمالات وقوع الأنواع المختلفة من الحوادث وعلى نتائجها ، واحتمال حدوث سلسلة متعاقبة من الأحداث غير المرغوب فيها ، مثل تلك التي يبدو أنها وقعت في حادثة تشرنوبيل ، يساوي حاصل ضرب احتمالات حدوث كل واحد منها ، أي أنه سيكون أقل بكثير جدا من احتمالات حدوث أي منها منفردا ، ودون الدخول في التفاصيل الفنية الدقيقة . فإن هذا هو جوهر الطريقة التي اتبعت في تقرير راسموسين ، وكان تقديره لاحتمالات انصهار قلب مفاعل هو توقع حدوث مثل هذا الانصهار مرة كل أربعين عاما ، وهو التوقع الذي لا يختلف كثيرا عما حدث لو أخذنا في الاعتبار أن عمر محطات الطاقة النووية في الاتحاد السوفييتي قد تجاوز الثلاثين عاما[٢] . ومن الضروري

(٢) لابد من التأكيد هنا أن انصهار قلب المفاعل لا يؤدي بالضرورة إلى تسرب المواد المشعة ، إذ أن هذا مرتهن بالتحصينات المحيطة به وقدرتها على تحمل الاجهادات الناجمة عن الانصهار دون أن تتداعى وتسمح بانطلاق قدر كبير من هذه المواد . والتقدير السائد حاليا هو أن احتمالات انصهار قلب المفاعل ثم انهيار سلسلة التحصينات المحيطة بالمفاعلات الحديثة المزودة بأوعية احتواء شديدة المقاومة للانفجارات ، واحدة تلو الأخرى ، تكاد أن تصل إلى واحد في البليون !!

أن نؤكد قبل الانتقال إلى موضوع آخر أن هذه معالجة مبتسرة جدا لموضوع حساب الاحتمالات والمخاطرة .

شعاع غير محسوس

أن مثل هذه الحسابات العقلانية للاحتمالات ليست ذات أثر كبير في الرأي العام ، فلا يغني مثلا أن نذكر الناس بأن احتمالات وقوع حوادث سيارات تسبب الوفاة أكبر جدا من احتمالات وقوع حادث لطائرة ، وأن حجم الخسائر في النوع الأول لا يتجاوز عددا محدودا جدا من الأفراد ، بينما قد يصل الى العشرات في النوع الثاني ، ومن ثم ، فإن المخاطر الناجمة عن حوادث السيارات ، والتي تساوي معدلات حدوثها مضروبة في الخسائر ، أعلى بكثير من مخاطر السفر بالطائرات ، ولا يغني بنفس القدر القول بأن المخاطر الناجمة عن حوادث المحطات النووية دون مخاطر النوعين السابقين من الحوادث كثيرا . ولنضف إلى هذا أن الاشعاع أمر يثير الرهبة في النفوس لأنه شيء غير محسوس ، من ناحية ، ولأن آثاره على المدى الزمني البعيد مبعث خوف مفهوم في الانسان ، من ناحية ثانية ، لأنه يتجاوز في الانتشار الجغرافي لآثاره أيا من هذين النوعين .

ولننظر الآن في أبعاد الأضرار التي نجمت عن الحادث الذي وقع في تشرنوبيل ، والذي كان مصدر الخطر الذي امتد ، بدرجات متفاوتة ، شمالا إلى اسكندنافيا ، وغربا إلى أواسط أوروبا ، وجنوبا إلى الشرق الأوسط ، وشرقا داخل الاتحاد السوفييتي نفسه . ولقد جاء الخطر من المواد المشعة التي تطايرت في الجو وحملتها التقلبات الجوية إلى هذه المناطق ، وواضح ، كما سبق أن أوضحنا ، أن الاشعاع الناجم عنها يتوقف على كمية المادة المشعة التي حملتها الرياح إلى أي مكان ، ونصف عمر كل واحدة منها ، والفترة التي انقضت منذ انطلاقها من حطام المفاعل حتى وصولها إلى هذا المكان ، وعلى سبيل المثال ، فإن آثار الحادث الذي وقع بين يومي ٢٥ و ٢٧ ابريل لم تظهر في الكويت إلا يوم ٣ مايو ، حين قفز الاشعاع المقيس في الجو بحدة حتى يوم ٧ ـ ٨ مايو ، ليعود بعد ذلك إلى الانخفاض ، وبحساب الجرعة السنوية الاضافية التي تعرض لها المواطنون لأهم مادتين مشعتين جرى رصدهما ، فقد قدّر تأثير كميات مادة السيزيوم ـ ١٣٧ وهي مادة ذات نصف عمر طويل يصل إلى ٣٠ عاما ، بتأثير الجلوس أمام التلفزيون لمدة ساعة إضافية ، وذلك بافتراض بقاء تأثيرها عند المستوى الأقصى الذي سجل يوم ١٩٨٦/٥/٨ ، ومع أنه انخفض بعد ذلك بحدة كما سبق أن ذكرنا ، أما تأثير مادة اليود ـ ١٣١ ، ونصف عمرها ثمانية أيام فقط ، وبافتراض بقائها عند مستوى الذروة الذي سجل في ذلك اليوم والتغاضي عن الانخفاض الكبير الذي سجل بعد هذا التاريخ ، وعن قصر نصف عمرها الذي يعني أنها ستختفي تماما من الجو بعد بضعة أشهر ، فهو أقل من تأثير سفرة بالطائرة من الكويت إلى لندن ذهابا وايابا ! ويؤكد هذا أنه ليست للحادث أية آثار على جو الكويت تمثل خطورة حقيقية على المواطنين في الكويت ، لا في المدى القصير ولا على المدى البعيد .

آخر البيانات المتاحة

وطبقا لآخر البيانات المتاحة عند الكتابة ، فقد توفي ستة وعشرون شخصا ، بينما أصيب ما بين ١٠٠ و ٢٠٠ شخص إصابات استدعت بقاءهم في المستشفيات حتى الآن ، بينما أجلي حوالي ١٠٠,٠٠٠ من السكان من المناطق المحيطة بالمفاعل ، ومن المتوقع بالنسبة لهؤلاء أن يكونوا أكثر استهدافا للاصابة بالسرطان في السنوات المقبلة ، ومن ثم ، فإنهم سيخضعون لمتابعة صحية مستمرة بقية حياتهم ، وقد يظهر ما بين عشر حالات ومائة حالة إضافية ـ وربما أكثر من هذا قليلا ـ للاصابة بالسرطان بينهم ، وفقا للجرعات الاشعاعية التي تعرضوا لها ، وتؤكد جميع القياسات ونتائج الرصد إلى أن تأثير الحادث سواء على الجو أو المياه يكاد لا يذكر خارج المنطقة المحيطة مباشرة بالمفاعل .

ولقد ألغت معظم الدول الأوروبية المجاورة الاجراءات الاحترازية للوقاية من الاشعاع التي كانت قد اتخذتها في أعقاب الحادث ، في شأن غسل المواد الغذائية الطازجة ، أو منع تناول الحليب ، أو ابقاء الأطفال داخل المنازل ، أو فرض قيود على السفر ،

ومن المتوقع أن تلغي بقية الدول كل ما اتخذ من إجراءات احترازية خلال فترة قصيرة ، مع استمرارها في عمليات الرصد ودراسة البيانات وتحليلها ، اذ أن ذلك يوفر حصيلة وثروة علمية بالغة الأهمية بالنسبة للمستقبل تساهم في حسم الكثير من القضايا المعلقة في شأن آثار الجرعات الاشعاعية .

خطط واحتمالات مستقبلية

ويبقى أخيرا النظر فيما يمكن أن تكون عليه عواقب هذا الحادث الذي شد انتباه العالم مرة أخرى إلى الأخطار التي تحيط بالطاقة النووية ، وواضح أن ضغط الرأي العام الشعبي سيؤدي إلى توقف ، أو على الأقل تباطؤ العديد من مشروعات إنشاء محطات طاقة نووية جديدة ، وأن هذا سيساعد ، من بين ما سينجم عنه ، الى عودة أسعار النفط الى الارتفاع ، ولا شك أيضا أنه سيحفز العلماء والمهندسين إلى بذل جهود مضاعفة لمزيد من الدراسة المتعمقة لاستجلاء ما بقي من غموض حول الاحتمالات المترتبة على حادث نووي ، من ناحية ، ولاهتمام مركّز بزيادة سلامة محطات الطاقة النووية القائمة ، من حيث إجراءات تشغيلها ، ونظم ضبط الجودة فيما يستخدم فيها من المواد والمعدات ، وطرق اختبارها دوريا بأكبر قدر من الدقة والاعتمادية ، وبالذات في تحسين إجراءات مواجهة الطوارىء والتدريب المتواصل والفعال لكل الأفراد والهيئات المسئولة عن هذا الأمر ، لضمان عدم تكرار الارتباك والتصرفات غير المناسبة والبطيئة الذي يبدو أنها قد سادت في الساعات الأولى من كارثة تشرنوبيل ، والأهم من هذا كله هو التأكيد على ضرورة التعاون الدولي بلا قيود سياسية أو تنظيمية في تبادل المعلومات والمساعدة في احتواء الأضرار ، وهو ما يبدو أنه قد بدأ بالفعل ، وأنه سيؤدي إلى أنماط جديدة لمثل هذا التعاون .

ومن المتوقع أيضا أن تبذل جهود علمية وتقنية مركزة في اتجاهين مترادفين ، أولهما تطوير محطات أكثر سلامة مما هو متعارف عليه حاليا ، وتسير هذه الجهود في اتجاهين واعدين بتحقيق قفزة نوعية في السلامة ، إما عن طريق استخدام موائع تشغيل (سوائل أو غازات) غير تلك التي استخدمت حتى الآن ، مثل الصوديوم السائل أو غاز الهيليوم ، وإما بتصميم المنشآت النووية بحيث يؤدي الخلل فيها إلى توقفها تلقائيا عن التفاعل النووي ، مثل استخدام شكل من أشكال الوقود يؤدي ارتفاع درجة حرارته أكثر مما هو مسموح به إلى توقف عملية الانشطار النووي فيه ، والاتجاه المرادف هو عودة الاهتمام بدرجات أكبر لتطوير مصادر الطاقة المتجددة التي تباطأ السعي في تطويرها بعد انخفاض أسعار النفط ، ولا شك أن الطاقة الشمسية معين غزير بالطاقة غير الناضبة ما بقيت هناك حياة على سطح الأرض ، إلا أنه لم تظهر بعد على الأفق بشائر طفرة علمية ـ تقنية توفر طريقة مجدية للاستغلال الاقتصادي للطاقة الشمسية على نطاق كبير ، يقترب من أحجام الطاقة المتولدة في محطات الطاقة الكبرى المنتشرة اليوم في العالم ، ومن السابق لأوانه الجزم بأن الطاقة النووية في طريقها إلى الانحسار الدائم أو الاختفاء ، فالتعامل معها ، كما قال واحد من كبار العلماء الأمريكيين ، يمثل نوعا من الصفقة التي عقدها فاوست مع الشيطان في رواية جوتة الشهيرة ، وهو لا يختلف كثيرا عن تعامل الانسان مع النار أو الكيماويات البالغة السمّية .
ويبقى بعد هذا وذاك ، أمل كبير يسعى العلماء في كل مكان منذ سنوات عديدة لتحقيقه ، ألا وهو توليد الطاقة عن طريق الانصهار النووي ، وليس الانشطار ، وعندما يتحقق هذا بأسلوب عملي سيتوفر للبشرية مصدر للطاقة لا ينضب ، ولا تنتج عنه إشعاعات خطرة ، ولا مخلفات ذات آثار بيئية مدمرة ، لسنوات طوال ، بل طالما بقي الانسان . □

■ ليست العظمة في ألا تسقط أبدا ، بل في أن تسقط ثم تنهض من جديد .

(كونفوشيوس)



بقلم : الدكتور محمد عابد الجابري*

هل لابن رشد أتباع في الفكر الفلسفي العربي ؟ وهل هناك رشدية عربية بالمعنى الاصطلاحي ؟ وماذا عن التيار الذي عرف في الغرب « بالرشدية اللاتينية » ؟

عن هذه التساؤلات وعن غيرها من فلسفة ابن رشد يجيب هذا المقال .

« الرشدية » نسبة الى ابن رشد الفيلسوف « المعروف » - ونضع كلمة «معروف» بين مزدوجتين تحفظا ، لأننا لانعتقد أن ابن رشد معروف فعلا بالقدر الكافي ، القدر الذي نعرف به ابن سينا أو الغزالي مثلا ، أو الذي يعرف به الاوروبيون ديكارت أو سبينوزا أو لوك أو روسو . . الخ - والمقصود بـ « الرشدية » : مضمون فكر ابن رشد ، مضمونه النسقي العام . وبعبارة أخرى أن المقصود ليس أقوال ابن رشد وآراءه في هذه المسألة الجزئية أو تلك ، في هذا المجال أو ذاك ، ولا حتى مجموع هذه الآراء معروضة عرضا يسوده السرد والانتقال ، من موضوع الى موضوع انتقالا يخضع للاتفاق والمصادفة أو لرغبة الراوي العارض ، بل المقصود من « الرشدية » ، في اصطلاحنا هنا ، هو النظام الفكري العام الذي تندرج تحته جميع القضايا والمسائل التي بحثها ابن رشد ، وأدلى فيها برأي ، وأيضا جميع القضايا والمسائل التي تقبل الاندراج تحت نفس النظام الفكري ، حتى لو لم يبحثها صاحبه أو يدل فيها برأي صريح .

تحديد عام

والرشدية في هذا مثلها مثل المذاهب الفلسفية التي من هذا النوع كالسينوية ، نسبة الى ابن سينا ، أو

* أستاذ الفلسفة بجامعة محمد الخامس بالرباط ، باحث ومفكر ، وله عدد من المؤلفات في الفكر والفلسفة .

الديكارتية نسبة الى ديكارت ، أو الهيجلية نسبة الى هيجل ، بل مثلها مثل المذاهب الفكرية والدينية التي تنطلق من منطلقات معينة ، لتنتهي الى نتائج معينة ، تحدها حدود معينة ، مثل المذهب المعتزلي والمذهب الأشعري . . الخ ، أقول ان الرشدية مثلها مثل هذه المذاهب جميعا ، لا تتحدد بما تقرره أو تصرح به أو تصدره من فتاوى وحسب ، سواء كان ذلك مما يدخل في حيز الفعل ، فعل التقرير والتصريح والافتاء ، أو مما يدخل في حيز الامكان ، بل انها تتحدد كذلك بما تسكت عنه لكونه يقع خارج مجال رؤيتها وبعيدا عن مركز اهتمامها .

قد يتفق معنا القارىء حول هذا التحديد العام - أعني الاجمالي الذي يحتاج الى مزيد دقة - لمعنى النظام الفكري الذي نسميه الرشدية أو السينوية أو الديكارتية . . الخ ، ولكنه قد يعترض ، ومن حقه أن يفعل ، على العبارة التي وضعناها عنوانا لهذه المقالة « العجالة » : عبارة « الرشدية العربية » . ذلك أن من المعروف تاريخيا أن فلسفة ابن رشد لم يكن لها ما بعدها في الثقافة العربية ، وان أي أحد من المفكرين داخل هذه الثقافة لم يستأنف التفكير فيها ، لا اتباعا وتقليدا ولا اعتراضا وتفنيدا ، وانما المعروف تاريخيا هو أن فلسفة ابن رشد قد انتقلت بعد وفاته مباشرة الى أوروبا ، حيث كان لها هناك أتباع وشأن لمدى أربعة قرون على الأقل ، من القرن الثالث عشر الى القرن السادس عشر ، وقد عرف أتباعها في تاريخ الفكر الأوروبي في العصور الوسطى باسم « الرشديين اللاتينيين » ، وعرف التيار الفكري الذي أوجدوه بـ « الرشدية اللاتينية » .

واذن ، هناك رشدية لاتينية معترف بها تاريخيا ، ومعروفة تفاصيلها لدى المختصين في الفلسفة الأوروبية ، فلسفة العصور الوسطى منها خاصة ، وبالمقابل هناك « غياب » لآثار فكر ابن رشد في الثقافة العربية الاسلامية ، فكيف يمكن الحديث اذن عن « رشدية عربية » ؟ .

اعتراض مشروع . . ولكن الجواب عنه غير ممتنع ، وفيما يلي بعض المعطيات التي تجعل الحديث عن « الرشدية العربية » ممكنا بل مبررا .

ان فكر ابن رشد فكر منظومي ، بمعنى أنه يصدر



ابن رشد

في تفكيره عن جملة من المبادىء والأصول ، يلتزم بها التزاما ، فيفهم على ضوئها ما يعترضه أو يعرض عليه من المسائل ، ويقرر بالاستناد عليها وعلى مقتضياتها ما يصدره من أحكام ، ويصل اليه من نتائج ، مما يجعل الحديث عن الرشدية بالمعنى الذي حددناه قبل هذه الصيغة ومثيلاتها ، حديثا مشروعا تماما .

الرشدية اللاتينية

ان ما يسمى بـ « الرشدية اللاتينية » - ويجب أن نضيف أيضا « الرشدية العبرية » كما سنبين فيما بعد - هي قراءة خاصة لبعض جوانب فكر ابن رشد ، وليس لفكره ككل ، وبما أن هذه القراءة قد تمت عبر الترجمة من العربية الى اللاتينية ، أو من العربية الى العبرية ، ومن هذه الى اللاتينية ، من جهة ، وبما أن هذه القراءة قد تمت ، من جهة أخرى ، داخل ثقافة تختلف بمرجعيتها وبمشاكلها وأشكالياتها عن الثقافة التي فكر داخلها ابن رشد وبوحي من قضاياها

الخاصة ، فانه من المنتظر ، وهذا ما حصل فعلا ، أن تتلون الرشدية اللاتينية بأطياف غير غربية وغير اسلامية ، أو على الأقل لم تكن مطروحة في الساحة الثقافية العربية بنفس الصورة التي طرحت بها في الثقافة اللاتينية المسيحية ، والنتيجة هي أن الرشدية اللاتينية هذه لا تعبر عن فكر ابن رشد ، كما يمكن أن يقرأ ويفهم في الثقافة العربية الاسلامية ، وما دام الامر كذلك ، فبماذا سنسمي الرشدية المقروءة والمفهومة داخل الثقافة العربية ، وعلى ضوء معطياتها الخاصة ، اذا لم نسمها : « الرشدية العربية » .

سيقال ان « الرشدية العربية » بهذا المعنى ، هي ما كان سيكون لو أن فلسفة ابن رشد كان لها ما بعدها في الثقافة العربية ، لو أن ابن رشد كان له أتباع وأنصار ، ولو أن الأطروحات التي قال بها قد أعيد فيها التفكير واستؤنف فيها النظر من بعده . أما وأن هذا لم يحدث ، فان « الرشدية العربية » لا تعدو أن تكون مشروعا فكريا بقي في حيز الامكان ، ولم يخرج الى حيز الوجود .

والجواب أن هذا الاعتراض انما يستند الى فهم ضيق لمعنى « الرشدية » ، المعنى المستوحى من مضمون الرشدية اللاتينية ، ذلك أن ما غاب من الرشدية عن الثقافة العربية ، بعد ابن رشد ، هو الجانب الارسطوطاليسي منها : أعني تأويل ابن رشد للمسائل التي تركها أرسطو معلقة ، وبكيفية عامة فهم ابن رشد لأرسطو ككل ، ولكن الرشدية ليست مجرد « شروح ابن رشد على أرسطو » بل هي أيضا ردوده على الغزالي وابن سينا ونقده لمذهب الأشاعرة ، وتحليله لـ « مناهج الأدلة في عقائد الملة » وتقريره لنوع « الاتصال » القائم بين الشريعة والحكمة ، ليس هذا وحسب ، بل ان الرشدية هي أيضا ـ وهذا أهم من وجهة نظرنا ـ منهج ومفاهيم ورؤية ، أعني أنها نظام معرفي أطلق عليه ابن رشد اسم « البرهان » ، وهذا النظام المعرفي البرهاني الذي يؤسس الرشدية ، والذي بلغ أوج نضجه في الثقافة العربية الاسلامية من خلالها ، يرجع تاريخ تبلوره في هذه الثقافة الى ما قبل ابن رشد ، وبالتحديد الى ابن حزم وابن باجة ، كما أن « توجيهاته » بقيت حاضرة في هذه الثقافة نفسها الى ما بعد ابن رشد ، اذ نجد بصماتها واضحة في فكر ثلاثة من أكبر مفكري الاسلام بعد ابن رشد هم ابن تيمية والشاطبي وابن خلدون ، واذن فـ « الرشدية العربية » هي النظام الفكري الذي صدر عنه ، بهذه الدرجة أو تلك ، مفكرون مسلمون يحتل ابن رشد واسطة عقدهم ، ليس هذا وحسب بل انها أيضا ما يمكن أن يبعث اليوم من فكر ابن رشد ، أعني ما يشكل استئناف النظر فيه أحد عناصر الأصالة التي ننشدها لفكرنا العربي المعاصر .

الحديث عن « الرشدية العربية » ، اذن ، ليس ممكنا وحسب ، بل هو مطلوب أيضا في زمننا العربي الراهن ، الزمن الذي يحتاج الى روح ابن رشد ، روحه النقدية العقلانية .

شخصية ابن رشد

يقول ارنيست رينان المفكر والباحث الفرنسي المعروف في كتابه « ابن رشد والرشدية » (ظهر هذا الكتاب أول مرة عام ١٨٥٢ ، ونقله عادل زعيتر الى العربية عام ١٩٥٧ ، أي بعد أكثر من قرن من تأليفه ، وما زال هذا الكتاب أهم مرجع حول « الرشدية اللاتينية » ، يقول : ان شخصية ابن رشد في الفلسفة السكلائية ، وهي بصورة عامة الفلسفة الاوروبية في القرون الوسطى ، « شخصية مضاعفة » : فمن جهة كان ينظر الى ابن رشد على أنه « الشارح الأكبر » لمؤلفات أرسطو ، الشارح الذي كان يحظى بالتقدير والاحترام ، حتى من أولئك الذين كانوا يناهضونه ويردون عليه من رجال اللاهوت المسيحي في القرون الوسطى ، ومن جهة أخرى كان ينظر اليه من طرف هؤلاء أنفسهم على أنه « عدو الأديان وأبو الزنادقة والمبشر بالدجال » .

وهذه « الشخصية المضاعفة » ، أو على الأصح هاتان النظرتان المتناقضتان اللتان تقاسمتا رأي رجال الفلسفة واللاهوت في أوروبا القرون الوسطى حول ابن رشد ، نجد ما يشبههما لدى « رجال الفكر » في الثقافة العربية ، سواء أثناء حياة ابن رشد أو بعد مماته .

فابن الأبار يترجم له في كتابه « التكملة لكتاب الصلة » بعبارات كلها اجلال وتقدير ، يقول فيها : « محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد من أهل قرطبة وقاضي الجماعة بها ، يكنى أبا

الوليد ، روى عن أبيه أبي القاسم ، استظهر عليه الموطأ حفظا ، وأخذ يسيرا عن أبي القاسم بن بشكوال ، وأبي مروان بن مسرة ، وأبي بكر بن سمحون ، وأبي جعفر بن عبدالعزيز ، وأجاز له هو وأبو عبدالله المازري ، وأخذ علم الطب عن أبي مروان بن حربول البلنسي ، وكان الدراية أغلب عليه من الرواية ، درس الفقه والأصول وعلم الكلام وغير ذلك ، ولم ينشأ بالأندلس مثله كمالا وعلما وفضلا ، وكان على شرفه أشد الناس تواضعا وأخفضهم جناحا ، عُني بالعلم من صغره الى كبره ، حتى حكي عنه أنه لم يَدَع النظر ولا القراءة منذ عقل الا ليلة وفاة أبيه وليلة بنائه على أهله ، وأنه سود فيما صنف وقيد وألف وهذب واختصر نحوا من عشرة آلاف ورقة ، ومال الى علوم الأوائل ، فكانت له فيها الامامة دون أهل عصره ، وكان يفزع الى فتواه في الطب كما يفزع الى فتواه في الفقه ، مع الحظ الوافر من الاعراب والآداب ، حكي عنه أبو القاسم بن الطيلسان ، انه كان يحفظ شعري حبيب (أبي تمام) والمتنبي ، ويكثر التمثل بهما في مجلسه ، ويورد ذلك أحسن ايراد ، وله تصانيف جليلة الفائدة ، منها : كتاب « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » في الفقه أعطى فيها أسباب الخلاف ، وعلل فوجَّه ، فأفاد وأمتع به ، ولا يعلم في فنه أنفع منه ولا أحسن مساقا ، وكتاب « الكليات » في الطب و « مختصر المستصفى » في الأصول وكتابه بالعربية الذي وسمه بـ « الضروري » (= في النحو) وغيرذلك ، وولي قضاء قرطبة بعد أبي محمد بن مغيث ، فحمدت سيرته وتأثلت له عند الملوك وجاهة عظيمة ، لم يصرفها في ترفيع حال ولا جمع مال ، انما قصرها على مصالح أهل بلده خاصة ، ومنافع أهل الاندلس عامة . . وامتحن بآخرة من عمره فاعتقله السلطان وأهانه ، ثم عاد فيه الى أجمل راية ، واستدعاه السلطان الى حضرة مراكش ، فتوفي بها يوم الخميس التاسع من صفر سنة خمس وتسعين وخمسمائة . . ومولده سنة عشرين وخمسمائة » . واذا كان ابن الآبار يبرز في ثقافة ابن رشد الجانب « البياني » منها ، أعني تضلعه في العلوم العربية الاسلامية ، فان ابن أبي أصيبعة ، الذي استعاد الجوانب الأساسية من ترجمة ابن الآبار ، يبرز بصورة خاصة الجانب الآخر من ثقافة صاحبنا ، جانب المعرفة بالطب والفلسفة وعلومها ، فيذكر قائمة بأسماء كتبه في هذه العلوم ، بالاضافة الى مؤلفاته في علوم الدين واللغة ، واصفا اياه بأنه : « مشهور بالفضل ، معتن بتحصيل العلوم ، أوحد في علم الفقه والخلاف » (= بين المذاهب الفقهية) وانه « كان أيضا متميزا في علم الطب . . جيد التصنيف حسن المعاني» كما كان « حسن الرأي ذكيا ، رث البزة ، قوي النفس . . . » .

ابن رشد والمحنة

والى جانب هذه الصورة الموضوعية التي يقدمها لنا عن ابن رشد مؤرخو الفكر ورجاله في الثقافة العربية الاسلامية ، هناك صورة أخرى ينقلها هؤلاء أنفسهم ، كما ينقلها غيرهم ، عن خصوم ابن رشد في حياته والشامتين فيه أثناء محنته ، وتتركز خطوط هذه الصورة ، صورة ابن رشد في نظر خصومه ، حول الأسباب التي جعلت الخليفة الموحدي يعقوب المنصور يغضب عليه ويهينه وينفيه الى قرية اليسانة خارج قرطبة ، والتهمة الرسمية التي وجهت الى ابن رشد ، والتي بها حوكم ونفي ، هي اشتغاله بعلوم الأوائل وشرح كتبهم .

ينقل الأنصاري أن ابن رشد « كان من أهل العلم والتفنن ، وأخذ الناس منه واعتمدوه ، الى أن شاع عنه ما كان الغالب عليه في علومه من اختيار العلوم القديمة والركون اليها وصوب عِنانِه جملة نحوها ، حتى لخص كتب أرسطو الفلسفية والمنطقية واعتمد مذهبه فيما يذكر عنه ويوجد في كتبه ، وأخذ ينحي على من خالفه ، ورام الجمع بين الشريعة والفلسفة ، وحاد عما عليه أهل السنة ، فترك الناس الرواية عنه . . وتكلموا فيه بما هو ظاهر من كتبه » .

ولا يذكر الذين رووا أخبار محنته مسألة معينة خالف فيها الدين ، واستوجبت محاكته وابعاده ، سوى قوله ناقلا عن اليونانيين ان « الزهرة أحد الآلهة » ، يذكر الذهبي « ان قوما ممن يناوئه بقرطبة ويدعي معه الكفاءة في البيت والحشمة ، سعوا به عند أبي يوسف (يعقوب المنصور الموحدي) بأن أخذوا بعض تلك التلاخيص ، فوجدوا فيه بخطه حاكيا عن بعض الفلاسفة : قد ظهر أن الزهرة أحد الآلهة ،

فأوقفوا أبا يوسف على هذا ، فاستدعاه بمحضر من الكبار بقرطبة ، فقال له : أخطك هذا ؟ فأنكر ، فقال : لعن الله كاتبه ، وأمر الحاضرين بلعنه ، ثم أمر باخراجه مهانا وبابعاده ، وابعاد من تكلم في شيء من هذه العلوم وبالوعيد الشديد ، وكتب الى البلاد بالتقدم الى الناس في تركها ، وباحراق كتب الفلسفة ، سوى الطب والحساب والمواقيت » .

ملك البربر . . أم البرين

ويذكر المؤرخون ، بالاضافة الى ما تقدم ، أن المنصور الموحدي حقد على ابن رشد لكونه قال في شرح كتاب الحيوان لأرسطو ، عند ذكره الزرافة :

« رأيتها عند ملك البربر » ، يعني المنصور . « فلما بلغ ذلك المنصور صعب عليه ، وكان أحد الأسباب الموجبة في أنه نقم على ابن رشد وأبعده ، ويقال أن مما اعتذر به ابن رشد أنه قال : انما قلت : ملك البرين (بر الأندلس وبر المغرب) وانما تُصُحِّفَت على القارىء فقال ملك البربر » . كما يذكرون من أسباب نقمة المنصور عليه أنه كان بينه وبين يحيى أخي المنصور ، ووالي قرطبة ، علاقات صداقة خاصة ،

وكان بين المنصور وأخيه يحيى هذا ، حين ذاك ، نفور وجفوة ، كما يذكر المؤرخون من أسباب حقد المنصور على ابن رشد أن هذا الأخير لم يكن يراعي مقام المنصور كخليفة عند الكلام معه في مجالسه ، اذ كان يخاطبه بقوله : « تَسَمَّعْ يا أخي » .

والذي يظهر مما يذكره المؤرخون عن أسباب محنة ابن رشد هو أن السبب الحقيقي كان سببا سياسيا ، ذلك أن المحنة التي تعرض لها ابن رشد شملت أيضا « جماعة أخر من الفضلاء الأعيان ، وكان من بينهم فقهاء وقضاة لم يكونوا من الفلاسفة ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يجمع المؤرخون على أن المنصور عفا فيما بعد عن هؤلاء جميعا ، وأعاد اليهم اعتبارهم ، وردهم الى مكانتهم ، وفي مقدمتهم ابن رشد نفسه الذي استدعاه المنصور الى بلاطه بمراكش فـ « عاد الى أجمل راية » كما يقول ابن الآبار ، ليس هذا وحسب ، بل ان المنصور نفسه « لما رجع الى مراكش نزع عن ذلك كله (أي عن غضبه على الفلسفة والفلاسفة) وجنح الى تعلم الفلسفة ، واستدعى ابن رشد للاحسان اليه فحضر » .

لنضف أخيرا أن ابن رشد تعرض لهذه المحنة في أواخر عمره ، قبل وفاته ببضع سنين فقط ، أي أن قضى أكثر من أربعين عاما في الاشتغال بـ [illegible] وعلومها ، وبعد أن انصرف الى شرح كتب [illegible] بأمر من الخليفة الموحدي أبي يعقوب والد المنصور . . كل ذلك لايدع مجالا للشك في أن السبب فيما تعرض له ابن رشد و « جماعة الفضلاء الأعيان » من نفي وابعاد ، كان سببا سياسيا ، وانه عندما زال هذا السبب رفعت المحنة عن الضحايا المبعدين ، وأعيدوا الى سابق شأنهم ومكانتهم .

وبعد ، فان المرء لا يملك الا أن يشك شكا لا حدود له في صحة ما ينسب الى ابن رشد من تهم في عقيدته ودينه ، وهي بعد تهم غير محددة ، وانما هي مجرد تأويل عليه من طرف المنافسين له والحاقدين ، هذا عن ابن رشد العربي ، ابن رشد الحقيقي ، أما عن « ابن رشد » الآخر ، إمام « الرشديين اللاتيين » فقد اتهمه رجال الدين المسيحي بالالحاد ، ليس فقط لأنه كان يقرر آراء « الوثنيين » بل أيضا لأنه كان عربيا مسلما من أتباع محمد (صلى الله عليه وسلم) . □

■ **هذه السيدة التي هي أوهى من خيوط العنكبوت كانت لي حصنا (فريد الدين العطار عن أمه وهو وزير) .**

■ **العقاب قد يمنع الاندفاع الى الشر ، ولكنه لا يدفع أبدا الى الخير (هوراس مان) .**



بقلم : الدكتور حسان حتحوت

لن يكون للإنسان شأن إلا بالحرية ، ولن ينهض من كبوته إلا بالحرية ، ولن ينعم بانسانيته إلا بالحرية ، فالحرية هي الحياة ، وهي سر الإنسانية .

اما ان الله موجود فنعم . . الله موجود وغالبية الناس الآن في عالمنا هذا تنكره أو تعرفه ، ولكن تجهل حقه .

فالله موجود تراه البصيرة ، فان عميت البصيرة دل عليه العقل ، فانك ان تصفحت القاموس فرأيت فيه الكلمات مرتبة حسب ترتيبها الأبجدي في نظام لا يختل ، ثم أخبرك صاحب ان هذا نتج عن انفجار قنبلة في مطبعة ، تطايرت به الحروف الى السماء فلما وقعت على الأرض وجدت - هكذا - مرتبة بترتيب القاموس ، لما قبل عقلك العلمي هذا التفسير ، ولما قبلته فطرتك السليمة . . . ولو حدثك محدث عن الصحراء وما فيها من صخر ورمل وعيون ماء وواحات ذات أشجار وجبال مختلف ألوانها مما بها من معادن ، ثم سرت في الصحراء فوجدت هذه المكونات ذاتها ، ولكن على هيئة قصر فاخر منمق ومرتب ، لاستحال لديك أن يكون القصر قد تكون عشوائيا أو طبيعيا مادامت مكوناته موجودة ، ولأكدت أن هذا البناء وراءه مهندس حتى ولو لم تشاهد هذا المهندس . . ذلك بأن الصنعة دليل على وجود الصانع ، ويجول خاطرك العلمي في محتويات هذا الكون من الذرة الى المجموعة الشمسية ، ومن كرة الدم الحمراء الى الكبد الذي يعتبر أضخم معمل كيميائي معروف ، الى قوانين الطبيعة والكيمياء والحياة ، فترى في كل منها ماهو أكثر صنعة واحكاما من قاموس مرتب أو قصر مشيد . . ، فالخلق دليل على وجود الخالق ، والله اذن حق .

بين الخير والشر :

وخلق الله الخلق . . أصغر ما فيه الذرة ، وهذه تحكمها قوانين علم الطبيعة . وتلتحم الذرات لتكون جزيئات ، تلتحم فيما بينها كذلك في نطاق قوانين الكيمياء . . وتتعقد الجزيئات حتى تصل الى جزيء حمض النوويك ، ذلك الذي يقدر أن ينشطر الى

نصفين يستطيع كل منها ان يكمل نفسه الى جزيء كامل جديد ، أي أن له خاصية النماء . . فهي اذن الحياة في أول أدوارها . ثم تتعقد صور الحياة وتتشعب ، ولكن وحدتها دائما جزيء حمض النوويك ، وترتقي الحياة في تراكيبها من المكروب الى الحشرات الى الطير والحيوان الى الانسان . . كل أطوارها تدور حول حامض النوويك ، وكل تركيبها من مادة الأرض وما يصنعها من ذرات ومن جزيئات ، وننظر الى الانسان ما هو وأين هو من ذلك السُلّم ؟ الذرات فيه تحكمها قوانين الذرة ،

والجزيئات فيه تحكمها قوانين الجزيئات ، والحياة فيه تحكمها قوانين الحياة . . وليس ذلك قصرا على الانسان ، اذ يشاركه فيه الحمار والحصان والقرد والكلب والجاموس ، التركيب الكيميائي واحد ،

والوظائف الحياتية واحدة ، ولا يكاد الغذاء والنماء والهضم والاخراج ودورة الدم والتنفس والتناسل والتحرك يختلف بين الانسان والحيوان . . فهل الانسان حيوان ؟

الجواب لا . . لأن الانسان صعد على السلم درجة لم يصعدها غيره . . وهي التي ميزت الانسان انسانا ولم تتركه حيوانا . . ارتقى الانسان فوق قوانين الحياة الى دائرة قوانين الأخلاق ، ولو لم يجاوز الانسان

حيوانيته الى تلك المنطقة لظل حيوانا ، ولعله لم يكن آنذاك خير حيوان . . فالأسد أقوى منه ، والحمار أصبر منه ، والفهد أسرع منه ، والنمل أدق منه نظاما ، والأرنب أغزر منه ذرية ، ولكن الانسان صاحب الدرجة الرفيعة ، لانه جاوز عالم لحمه ودمه الى عالم الضمير والأخلاق والوجدان ، لم نعرف حماراً جاع فتعفف عن حزمة برسيم حاضرة لأنها لا تخصه

ولكن تخص حماراً آخر . . أو عطش والماء أمامه فلم يشرب لأنه يهذب نفسه بالصيام ، أو ناداه الجنس فتعفف لأن الأتان السانحة غير حليلته ، الحيوانات تتصرف بغرائزها المركوزة فيها فقط . . وهكذا أراد لها خالقها ، فهي لم تزود بمفهوم الخير والشر ، وحتى الملائكة التي تفعل الخير ولا تفعل الشر فإنها لا تعرف الشر . . الا الانسان . . . فقد زوده خالقه بمفهوم الخير والشر ، وبالعقل الذي يفرق بينها ، وبالجهاز الداخلي الذي يقرر ما يختار إذْ تصارع الاغراء مع الواجب ، والحق مع الباطل والحلال مع الحرام . . ومادام الانسان هو الذي يختار ، فهو اذن مسئول عن اختياره ومُحاسب عليه .

الحريـــة والأمانة :

الانسان وحده هو الذي يعيش حياة مستمرة من التحليل واصدار القرار ثم تحمل مسئولية قراره ، ولعل هذا هو معنى الأمانة التي عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين ان يَحْمِلْنها وأشفقن منها وحملها الانسان . . . ولعل الله من أجل ذلك أمر الملائكة أن تسجد له رغم علمها أنه يصيب ويخطيء ، ويفسد ويصلح ، ويتبع الحق أو يسفك الدماء ، وتنمو الانسانية وتتعقد الحياة ، فيرسل الله بالرسل والشرائع تبين مواطن الشر ، وتدل الى مواطن الخير ، وتذكر الانسان بمسئولية القرار وعاقبة الاختيار عندما يحين وقت الحساب .

ويقضي العقل والمنطق وعدالة الله انه لا مسئولية على فاقد الاختيار ، ولما كان الله قد أكد للانسان أنه مسئول ، فمعنى ذلك أن الله وهب الانسان الحرية ،

بل ان هذه الحرية هي روح انسانية الانسان التي هو بها انسان . . . فإن ضاعت الحرية ضاعت الانسانية . . الفكرة الكامنة وراء خلق الله للجنس البشري هي مشيئته تعالى ان يخلق جنسا يتفرد على غيره من الأجناس بأنه الجنس ذو الحرية . . واذن فهو الجنس ذو المسئولية .

وعندما أنزل الله تعالى دينه الخاتم جعل الدخول فيه عن حرية . . فقال « لا إكراه في الدين » وأمر نبيه عليه السلام أن يدعو الى الحق « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » وحدد له مهمته فقال « انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » ، وبين له اداة الدعوة فجعلها « بالحكمة والموعظة الحسنة » ، وحذره من أن يستبد به الحزن ان لم يستجب الناس لدعوته « ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا ، أفأنت تُكْره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟ » هذه وأمثالها وصايا تحرص كل الحرص على حرية الانسان فيما يختار ، ففي أصل قضاء الله أن الناس أحرار .

ولقاؤنا كان الأخير

ومضيت . . والحسرات أغلبها وتغلبنى فأبداً بل أعيدْ
وتهولنى الذكرى وتعصف ثمّ بالصّبر الحديدْ
ويهولنى الأمس القريب يلوح كالوهم البعيدْ
وأراك من بين الضّباب سراب ظمان بيدْ
ياملهمي . . !
ولقاؤنا ياملهمي . . أنى يكون . . ؟ وبيننا دربٌ بعيدْ
ولقاؤنا نجوى الأحبّة . . دمعةُ عبْر القصيدْ
ولقاؤنا . . نسمٌ الرُّبي أو روْحُ أنفاس النخيلْ
ولقاؤنا بين الكواكب في هنيهات الأصيلْ . .
ولقاؤنا ياملهمي وهْمٌ جميلْ . .
ولقاؤنا ياملهمي حلْمٌ طويلْ . .

* *

وتلوح لى قبسا على الدّرْب البعيدْ
وتضيءُ بي فأراك أقرب ثم منْ حبْل الوريدْ
ياملهمي . . !
وألوذ بالقلب الوحيدْ
ويخونني الصّبْرُ الجليدْ
وتقهقه العبرات تخذلنى
كقهقهة الوعيدْ
ياملهمي . . !
فمتى أراك . . ؟ متى أراك . . ؟
وبهتنا بحر وبيدْ
ياملهمي . . !
ولقاؤنا حلمٌ بعيدْ
حلمٌ كأطياف الوصالْ
وهل لطيْفٍ من معيدْ . . ؟



يامُلهمي !
فمتى أراك ؟ متى ترانا نلتقي
فيكون عيدْ ؟!
يامُلهمي !
وعدوْتَ تأريجا عتيدْ
لحافقي ، وختمت بالنور القصيدْ
وحلدت كالوحي الأصيلْ
فرائدا في كل حيدْ
يامُلهمي !
وُطويت في صمت طويل
ودُفنت في شفق الأصيل
ودهبت ما أبقَيت إلاّ
همس قيثار عليل
يامُلهمي !
ورهدت بالقلب الكبير
وكفرت بي
والكفر بي أمر خطير
أفلا علمت بأنني وبأنني
يامُلهمي أفلا علمتَ ؟
وأصعتني وحلقْت أسباب الضَياع !
فلالقاء ولا وداع يامُلهمي
فلقاؤنا وهمٌ جميل
ولقاؤنا حُلمٌ طويل
ولقاؤنا لا لن يكون
لقاؤنا ياملهمي لا لن يكون
فلقاؤنا كان الأخير
لقاؤنا كان الأخير !



الطيران

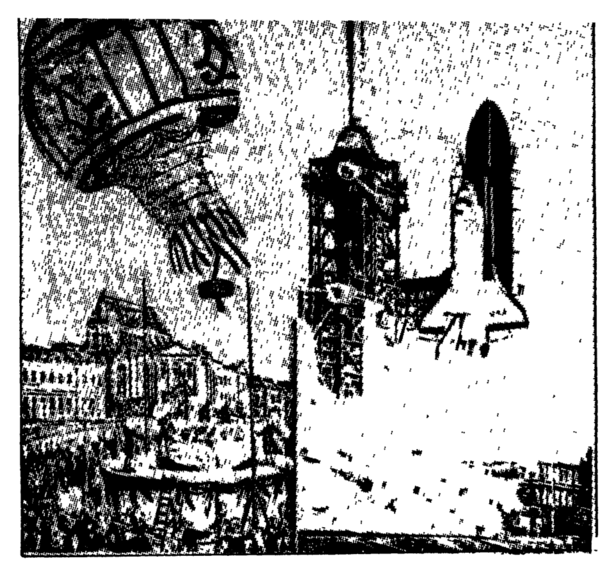
في نهايـة القـرن العشـريـن

بقلم : المهندسة ريا عارف الرفاعي*

باكتشاف الطيران ، تحرر الانسان من قوانين الجاذبية التي ربطته بالأرض دهورا ، وفتحت آفاقا جديدة أمام تنقلات الأشخاص والأشياء ، وتحولت الأرض الى مدينة واحدة أحياؤها قارات العالم . وهذا المقال محاولة لكشف الاحتمالات المتعلقة بهذا الحقل في نهاية القرن العشرين !

تعتبر جميع وسائط النقل البري من سيارات وقطارات ، والنقل البحري بالبواخر من الوسائط البطيئة السرعة ، قياسا بالطائرات ومركبات الفضاء ، وقد بقيت امكانياتها محدودة في موقع استعمالها ، في حين تعدت امكانية الطائرات . . البر والبحر والجو ، فبالنقل الجوي بالطائرة يمكن متابعة الرحلات الجوية بدون توقف خلال عبور المحيطات ، وبذلك يختصر الزمن الضائع في وسائط النقل الأخرى ، أثناء تبديل تلك الوسائط ما بين البر والبحر وبالعكس ، وبامكان الطائرات الوصول الى قمم الجبال وعمق الصحاري التي يتعذر الوصول اليها بوسائط النقل الأخرى ، ويقابل هذه المزايا الوفيرة ارتفاع تكلفة وأجور النقل الجوي ، ونقص كفاءة استيعابه في البضائع ونقل الركاب ، اضافة الى شدة ارتباطه بنظم الطيران الدولية ، وخضوعه للقوانين والاتفاقيات العالمية ، أكثر من أي واسطة نقل أخرى .

* مهندسة بدائرة الطيران بدولة الامارات العربية المتحدة أبو ظبي



حدثان هامان في تاريخ الجو - المنطاد - ومركبة الفضاء - كلاهما أطلقا من منصة الاول بحضور الملك لويس الرابع عشر والملكة ماري انطوانيت وما بين هذين الحدثين أكثر من قرن ونصف القرن

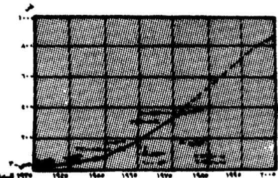
الانسان وحلم الطيران

رافق الانسان حلم الطيران والتشبه بالطيور منذ القدم ، وتحكي الأساطير الاغريقية عن « ايكاروس » الذي قلد أجنحة الطيور ، فوضع أجنحة من الشمع طار بها مقتربا من الشمس فذابت فمات هو ولكن بقيت الأسطورة ، ويحكي تاريخ الطيران عن عباس بن فرناس في عهد الخليفة عبدالرحمن الثاني الاندلسي ، وكيف أن أجنحة الريش لم تمكنه من الطيران ، بالرغم من جميع المحاولات في ذلك الحين .

وقد نجح الانسان في مسعاه بالتحليق في الجو ، مع اختراع المنطاد عام ١٧٨٣ م ، حين حلق به في الفضاء منطلقا من منصة اطلاق عالية أمام قصر فرساي في باريس ، ثم تتابعت المساعي ، فاخترعت الطائرة عام ١٩٠٣ ، وانتقل الحلم بالطيران بواسطة الأجنحة الى حيز الواقع ، وتتابعت البحوث لتحسين خواص الطائرات ، حتى توصل الانسان الى اختراع طائرة تطير بسرعة ١٨٥ كم بالساعة في عام ١٩٣٥ ، ولم تتوقف أبحاث الفضاء في سبيل زيادة سرعة الطائرات التي كانت تتكلل بالنجاح باستمرار ، ومع استخدام النفاثة في الطيران بلغت السرعات الى حدود ٥٠٠ كيلو متر/بالساعة ، كما ازداد مدى الرحلة الى ٧٧٠ كيلو مترا وما لبثت السرعة أن وصلت الى حدود ٩٠٠ كيلو متر / بالساعة عام ١٩٦٠ ، لكن التطور الحقيقي في الطيران تم مع ادخال الطائرات « الفوق صوتية » و« سوبر سونيك » بالخدمة ، حيث تصل السرعة في هذه الطائرات الى حوالي ٢١٠٠ كيلومتر / بالساعة .

وبذلك يعتبر تاريخ انطلاق أول طائرة كونكورد . الفوق صوتية - في الفضاء عهدا جديدا في الطيران . وبالرغم من التخوف الذي رافق صناعة الطائرات « الفوق صوتية » لكنها تحولت الى واسطة نقل مرغوبة لرجال الأعمال خلال انتقالهم لمسافات بعيدة عبر

الشكل رقم ٢
تطور أوزان الطائرات منذ عام ١٩٣٥ - ١٩٨٥



الوزن الاجمالي للطائرة طن = (الوزن الذاتي + الركاب + الوقود + البضائع)

القارات ، لكن الفوائد الناتجة عن تخفيض زمن النقل بالطائرات « الفوق صوتية » تترافق أيضا مع الضرر الذي تلحقه السرعات الفائقة أحيانا بالحيوانات البحرية ، وبزيادة احتمال الاصابة بسرطان الجلد ، نتيجة نقص أو خلخلة حزام الأوزون الذي تتصفى خلاله الأشعة فوق البنفسجية ، ومع كل تلك المساوىء تتسابق الدول الصناعية في مجال الفضاء للسيطرة على الكواكب ، وعلى احتمالات توفر المواد الأولية فيها .

الطائرات وحمولاتها :

بعد أن استخدمت الطائرات في ميدان النقل الجوي كواسطة نقل عام ، أخذت أوزانها بالتزايد باطراد ، وبالتالي تزايدت معها حمولة المسافرين ، والأمتعة والبريد الجوي ووزن الوقود ، وقد كان وزن الطائرة الكلي (الوزن الذاتي وأوزان الحمولات المختلفة من مسافرين وأمتعة ووقود) عام ١٩٣٥ لايتعدى ١٢ طنا ، فأصبح اليوم وزن الطائرة العملاقة بحدود ٣٧٥ طنا (طائرة البوينغ طراز ب - ٧٤٧ - ٢٠٠ ، ب ، حـ ، ف) وتتابع شركات صنع الطائرات سعيها في المخابر وفي الانفاق الهوائية الخاصة ، بتجريب هياكل الطائرات لدراسة تطوير أوزان الطائرات وحمولاتها ، وربما تكللت تلك البحوث في المستقبل ، وربما وضعت في الخدمة في مطلع القرن القادم طائرات تصل أوزانها الى ألف طن أي ثلاثة أضعاف وزن الطائرة الأعظم الحالي ، وليس ذلك بمستبعد ، اذا مالاحظنا منحنى تطور أوزان الطائرات خلال الخمسين سنة الماضية .

ويحتل وزن الوقود اللازم لرحلة الطيران نسبة مرتفعة بالنسبة للوزن الاجمالي للطائرة ، فمثلا تتطلب طائرة البوينغ ب - ٧٤٧ التي يبلغ وزنها ٣١٠ أطنان حوالي ١١٠ أطنان من الوقود لتغطية رحلة جوية عادية ، وهذا يشكل نسبة ٣٥٪ من الوزن الاجمالي ، في حين لاتزيد نسبة حمولة المسافرين والأمتعة والبريد الجوي عن ١٤٪ فقط أي ٤٣ طنا . واضافة لهذه الكمية الكبيرة من الوقود هناك كمية أخرى في الخزانات الاحتياطية تقدر بـ ٢٠ طنا لتغطية حالات الطوارىء ، وهذا ما يجعل تكلفة تشغيل الطائرات مرتفعة جدا ، وبالتالي يسبغ على النقل الجوي صفة النقل المرتفع التكلفة .

ومن خلال المناخ الاقتصادي العالمي المسيطر ، يعتبر توفير الطاقة على رأس قائمة الأفضليات في مختلف أنحاء العالم ، لذلك اتجهت صناعة الطائرات الى البحث عن تصاميم للطائرة الاقتصادية التي يتطلب تشغيلها كميات وقود اقتصادية ، ومن ناحية أخرى اتجهت شركات الطيران العالمية الى البحث عن المسارات الجوية الأكثر اقتصادية في مجال طول المسار ، أو ارتفاع التحليق . وتشكل تكلفة اطلاق تصميم جديد لهيكل الطائرة ، أو للمحرك ، عبئا كبيرا لا تحتمله شركة صانعة واحدة ، وهذا مايدعو لتوزع ذلك بين « كونسوريتوم » من الشركات العالمية المتعددة الجنسية ، ويلاحظ في السنوات الأخيرة تباطؤ هذه الشركات في وضع تصاميم لأجيال جديدة من الطائرات ، تستوعب ١٥٠ راكبا ، بل تعتمد على تطوير الأجيال القائمة ، ويلاحظ ذلك في طائرتي البوينغ الجديدتين من طراز ب - ٧٥٧ ، و ب - ٧٦٧ - اللتين حققتا تخفيضا ملحوظا في استهلاك الوقود ، بدأ تشغيلهما مؤخرا في مطلع عام ١٩٨٤ ، . ويطير يوميا من مختلف مطارات العالم أكثر من ثلاثة ملايين مسافر ، مستخدمين جميع الامكانيات المتطورة في مطارات العالم التي يقدر عددها بحوالي ثلاثة وثلاثين ألف مطار ، منها حوالي ثلاثمائة وخمسين مطارا في الوطن العربي ، وبذلك يتمتع الانسان في عصرنا الحاضر بحصيلة من التقدم في مجال الطيران الذي يعتبر محصلة لاجتماع علوم متعددة ومعقدة في آن واحد .

التطور والمعوقات

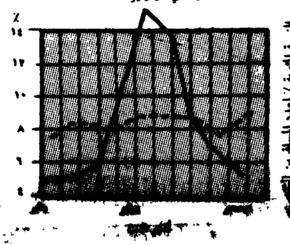
يرتبط تطور النقل الجوي بعدة عوامل منها :

- التطور الاقتصادي المحلي والاقليمي ، ويؤثر على حركة القادمين والمغادرين .
- التطور الاقتصادي العالمي ، ويؤثر على حركة مسافري الترانزيت ـ المسافرين العابرين .
- توفر وسائط متطورة من مطارات وخطوط جوية .

ويعتبر ارتفاع مستوى الدخل الفردي للانسان من جملة الأسباب الأساسية المؤدية الى تطور حركة النقل الجوي ، فبازدياد الدخل الفردي تزداد رغبات السفر ، ويزداد عدد السفرات والانتقال السنوي بالطائرة ، كما يعتبر أيضا ازدياد عدد السكان سواء بالتزايد الطبيعي أو بفعل الهجرات من جملة أسباب تطور النقل الجوي ، بما فيه نقل الأشخاص ونقل البضائع .

وأما تطور وسائط النقل وتجهيزاتها ـ من مطارات ومحطات استقبال ، وممرات وغيرها ، فهو مرتبط بمتغيرات متشابكة ، فاستيعاب المطارات وسعة محطة الاستقبال ، وبوابات المغادرة ووسائط التحميل جميعها توابع لمتغير أساسي هو عدد المسافرين الحالي والمستقبلي ، كما ان التصميم تابع لعوامل فنية وهندسية متعددة من أهمها : الوزن الأعظم لأكبر طائرة ترسو بالمطار أي ما يعرف بالوزن التصميمي ، وضغط نفخ دواليب هذه الطائرة ، وأشكال ونماذج دواليبها ، وطبيعة المنطقة المحيطة بالمطار والعوائق الطبيعية ، من جبال أو كثبان أو عوائق انشائية ، كالأعمدة الكهربائية والأبنية المرتفعة وغيرها ، وبطبيعة التربة والمياه الجوفية وغيرها وغيرها .

الشكل رقم ٣ نموذج تغير الحركة الشهري في مطارين أحدهما ذو ذروة موسمية - والثاني ذو وتيرة منتظمة .



وقد وضعت المنظمة العالمية للطيران الدولي « ايكاو » تصنيفات لأنواع الطائرات ، وفئات المطارات ، استندت فيها الى معايير تصميم المطار الهندسية والانشائية ، والى طريقة تشغيل المطار وأسلوب مراقبة الحركة الجوية فيه .

وتسعى مطارات العالم لرفع مستوى تصنيفاتها باستمرار ، وذلك بتزودها بالمعدات والتجهيزات الحديثة من رادارات وأجهزة انارة ، وأجهزة اتصالات سلكية أو لاسلكية والجسور الناقلة الكهربائية ، والأدراج والسلالم الكهربائية ، لتوفر على المسافر متاعب الانتقال من والى الطائرة ، وتجتذب بهذه الوسائل خطوط الطيران الجوي وحركة الترانزيت الجوي أيضا .

وتتغير وتتأثر الحركة الجوية تبعا للزمن ، فهناك تغيرات سنوية في عدد الرحلات وأعداد المسافرين ، وهناك تغيرات شهرية تبعا لأشهر السنة ، كما أن هناك تغيرات موسمية ويومية ، وساعية ، ولكل مطار من مطارات العالم وتيرته الخاصة ، فمطارات منطقة الخليج تشهد نشاطا موسميا خلال أشهر الصيف ، كما تشهد تراجعا بالحركة خلال أشهر الشتاء ، في حين تشهد مطارات أخرى في العالم ساعات ذروة خلال أيام الأسبوع ، كما تشهد تزايدا ملحوظا في الحركة في عطلة نهاية الأسبوع ، بينما لاتتأثر حركة الطيران في بعض عواصم العالم المهمة بأي تبديل خلال العام . شكل (٣)

ويمكن دراسة تغيرات الحركة من تحديد توقعات مستقبلية على مدى عشرين سنة ، ويشتق من هذه التوقعات آفاق المستقبل وخطط التطوير ، وتشكل هذه المعلومات الركيزة الأساسية في تحديد حاجة التطوير وسعة المنشآت الجديدة ، واستيعاب التجهيزات الميكانيكية وغيرها . □

قصة قصيرة

شارع النخيل الإفرنجي

بقلم : اسماعيل العادلي *

هي ليست صعيرة تعرف حيدا أن مثل هده الأمــور لايصلح فيهـا التلميــح والكلمـات العـامصـة ، لابـد فيهـا من التصــريـح والكــلام الواصح ، لايمع فيها التأحيل والانـتـطار وإصاعـه الوقت ، بل لابد من حسمها ، وطرق الحديد وهو ساحن

والا فمادا يريد بالصط ؟

وارت بـاب « العبـر » المستطيـل ، ، المطفـأ الأنـوار ، المفعم بروائـح الدواءوالـطعام والـبول ، حـرحت قالت ان الليلة يمكن أن تمـر بهـدوء ، لـو استسلم ، دلـك العحور الـدي أحرى حـراحة في الطهيرة لحصة المحدر ، وراح في بوم عميق

كما توقعت بـالصط ، كانت ريب قـد بامت ، وراحت تشحر وترفر ، حلست على سريرها المواحه للســرير الـدي تنام عليـه ريب ، أحدت في تـأمل حسدها الأبيص الصحم ، وقد انحسر مديل رأسها عن شعرها الاسود المفروق من الوسط

مـد أكثر من عـامين ، عـدما نقلوهـا الى عنبر الحراحة ، وحدتها قبلها في « وردية الليل » ، في كل ليلة ، ما أن ينتهي مرور الأطباء ، وقبل أن تدحل « الحكيمات » الى حجرتهن ، تكون ... راحت في النوم ، لاتصحوا الا بعد ...

لاحطت ريب ما حرى بينها وبين فكري عندما ... راقدا في العنبر صحكت وأشارت الى الأمر أكثر من مرة ، وعندما سمح لـه الاطباء بـالحلوس على السرير والحركة في « العنـبر » ، لاحطت ريب أنها يأتي قبل موعد عملها وتنمي بعد إنتهائه ، في ليلة من تلك الليالى ، وكان صوت التواشيح الدي يسبق اذان الفحر يصل اليهـا عبر النـافدة المفتـوحة ، حلست ريب في مواحهتها ، تحدثت اليها ، قالت لها أنـك ست السـات ، كريمه ، طيبة ، وما رلت صعيره ، وقادره على انحاب حيش من الاطفال ، لأن نسـوة أكبر منك يبحس ، ونصحتها أن تصع حول يديها مند الغـد « الغـوايش » الـدهبيـه ، وكـدلـك السلسله و (الماشاء الله) حول رقبتها ، لاشيء ، سوى أن الدهب يطهر المرأة بمطهر المستورة ، المكتفية ، التى لاتحتاح الى أحد

اليوم تكون قـد مرت خمسـة أيام ، عـدتهم على أصـابع يـديها ، الاربعـاء ، الخميس ، الحمعـة ، السبت ، الأحد

الليلة يكون قد حـرح من المستشفى مند خمسة أيام ، لم تغادر البيت أثناءها الا للعمل وكانت تحرح الى العمل قبل موعده بنصف ساعة ، حوفا من أن ... وهو يركب ...



باب المستشفى : سأستريح في البيت اسبوعا ثم أجيء ، هو الذي طلب العنوان ، سألها عن أهلها وأخوتها ، حدثها عن شقته ذات الغرفتين الواقعة في رحبة « المقدم بهادر » بالدراسة ، قال انه وحداني ، ويخاف أن يموت وحيدا في شقته ، تحدث عن قلبه الذي استراح اليها منذ مجيئه الى المستشفى ، وقال ان الله لابد أن يجيء لهما خيرا .

قامت ، أطفأت نور المصباح الكهربائي الكبير ، وأبقت المصباح الصغير مضاء كما تقضي التعليمات ، عادت لتستلقي على السرير ، وتحدق خلال الضوء الخافت في الخزانة الصاج البيضاء الصغيرة الموضوعة بجوار السرير ، ثم في الصينية « الموضوعة » فوقها ، وعليها كوب زجاجي مملوء حتى منتصفه بالماء . أدركت أن النوم لن يأتي ، قالت كنت قد استرحت من ذلك الهم ، ماشأني أنا بالرجال ؟ أشجار النخيل الافرنجي الممتدة التي تقسم الشارع الى نصفين ، (وكبائن) البحر البيضاء على الجانبين ، هما أول ماتذكره عن تلك الليلة ، والليلة ذاتها تبدو لها الآن وكأنها كانت منذ مائة عام ، في تلك الليلة ، عند واحدة من تلك الاشجار الغريبة وقفت تبكي ، وقد هانت عليها روحها ، والدنيا وكل شيء .

كانت خارجة لتوها من بيت خالتها ، بعد أن أفهمتها الخالة أن مايحتاجه البيت « حرام على الجامع » ، وأن عليها أن تبحث لنفسها عن مكان آخر تقيم فيه ، وقبل ذلك بيومين فقط كانت قد جاءت الى الاسماعيلية ، بعد أن أعطاها أخوها الأصغر (جنيهين) أقسم أنه لايملك غيرهما ، وأشار الى حجرته متسائلا : أين تنامين ؟ أنا والمرأة والأولاد الاربعة نملأ كل ثقب فيها .

وكان أخوها الأكبر قد استمع منها في اليوم السابق الى ما فعله سيد ، وهم يتناولون غذاء مكونا من محشي الكرنب واللفت والمخلل ، ثم غمز لزوجته فأخذت الأولاد وخرجت ، وعندما أصبحا وحدهما قال لها : أنا أعرف زوجتي جيدا ، امرأة صعبة مشاكسة لن تحتملك ، ستثير المشاكل والمشاجرات بلاسبب ، وأنا بصراحة ليس لدى مكان آخر استريح فيه ،

في تلك الليلة كانت على وشك أن تجلس الى جوار تلك النخلة الغريبة السامقة ، وتستغرق في بكاء طويل ممتد ، لكن شيئا ما ، غامضا ، وباردا ، وأزليا ، لاتعرف من أي منبع ، أخذ يتصاعد داخلها ، يطرد طولها ، يدفع بالدماء في جسدها ، يقول لها أنه ما زالت لديها ذراعاها وقوتها ، وستة جنيهات وبضعة قروش في منديل تحت ثديها الأيسر ، وأن عليها أن تمسح الدموع ، وتقوم الآن لتبحث عن الطريق ، أما جنس الرجال كله فعليها الا تفكر فيه ثانية .

نعم ، هي قالت ذلك ، ظلت تقوله لنفسها أياما طويلة ، لكن فكرى مختلف ، مختلف عن سيد ، فكري رجل ، وسيد بلطجي ، فكرى يريد أن يعيش ، وسيد لايعمل حسابا لشيء ، فكرى . . وأنا بالطبع لست صغيرة ، رأيت كل شيء في هذه الدنيا وأفهمه ، فكرى كفه كبيرة ومنبسطة ، وله ضحكة طيبة تكشف عن أسنان مفلوجة ، يكفي فقط أن يربت على كتفك لتزول همومك ، وتشعر بالسكينة والأمان ، فكري يريد بيتا ، وأنا كذلك ، أما الأولاد فأمرهم موكول الى الله ، هو وحده الذي يعلم .

سمعت صوت الاقدام تقترب من الحجرة ، توقعت أن تكون احدى « الحكيمات » ، أن تكون صفية بالذات قد أصابها الأرق وجاءت لتثرثر ، اعتدلت على السرير وتأهبت للقائها ، لكن الاقدام مرت من أمام الحجرة وتجاوزتها .



قامت واقفة في منتصف الحجرة ، فكرت في إلقاء نـظرة عـلى « العنبـر » أو الـذهـاب الى حجـرة « الحكيمات » ، كانت بحاجة الى تبادل الحديث مع أحـد ، لكنها خـافت أن تستـدرجهـا واحـدة من « الحكيمات » إلى الحديث عن فكري ، اتجهت الى الخزانة الصغيـرة ، أمسكت بـالكـوب الـزجـاجي وشربت ما فيه من ماء ، جلست في مـواجهة زينب النائمة ، فكرت في ايقاظها والحديث معها ، لكنها تراجعت ، استلقت على جـانبها الأيمن في مـواجهة الحـائط ، قالت أن أجيء الى العمـل مجهـدة مثـل زينب ، أشكو من الغسيل والطبيخ ومشاغل البيت التي لاتنتهي . . أن أحكي أنا أيضا عن الولد الكبير الذي فعل كذا ، والبنت الصغيرة التي قـالت كيت وكيت وأباهم موأباهم الذي أنهى الأمـر « شاخـطا زاعقا » . .

هي لم تضع الوقت ، فكرت في كل شيء خلال الايام الخمسة الفائتة .

تخيلت الحجـرتين اللتـين يعيش فيهـا فكـري ، عرفت بالضبط ما الذي ستأخذه من حجرتها ، وما الذي ستشتريه ، قررت أن تبيع الذهب اذا اقتضى الأمر . انها تعرف أنه ليس ميسور الحال ، هو لم يقل لها ذلك ، لكن من يجري جراحة في الدرجة الثالثة ، بالمجان ، لايكون ميسورا في العادة ، وذلك ليس عيبا في الرجل ، فقط عليه أن يأتي ويقول لها : أريد أن أتزوجك بالنهار .

هو لم يقل ذلك حتى الآن ، قال لها نحن أهل ، تحدث بثقة أكيـدة عن أشياء ستحـدث لهـا في المستقبل ، سألها عن كل أحـوالها ، حكى لها عن أحواله ، وعندما صنعت لـه أرزا ودجاجـة بعد أن أجرى الجراحة بثلاثة أيام ، أثنى طويلا عـلى مذاق الطعام ، وقال انه اشتاق لطعام البيوت .

ماذا بالضبط كان يقصد ؟

وهو لم يقل شيئا محددا ، لكن الطريقة التي كان يتحـدث بهـا اليهـا كـانت تقـول ذلـك انها تعـرف الرجال ، تعـاملت معهم في العمل والشـارع وكل مكان ، الطريقة التي كان فكري يتحدث بهـا اليها كانت مختلفة . سيد الذي كان زوجا لها لم يتحدث اليها هكذا أبدا ، حتى في أيام زواجهما الأولى ، لكن الم تكن خمسة أيام كافية ؟ الم يكن بوسعه أن يرسل أحدا ؟

تنهدت ، نفخت الهواء في الحائط ، أخيرا سمعت صوت السرير الذي تنام عليه زينب وهـو يئن تحت وطأة جسدها ، عرفت أنها قد استيقظت ، التفتت اليهـا ، كانت زينب جـالسة عـلى السريـر عـاريـة الرأس ، تهرش شعرها المنفوش ، وتقول لها شيئا لم تتبينه □



اهتمام المسلمين بالمعلم

المستقرئ لتاريخ التربية والتعليم في الاسلام يلاحظ ذلك الاهتمـام الكبـير الـذي أولاه المسلمـون ، في أن يتلقى الـطالب العلم من المعلم ، ونبذهم الاعتماد على الكتب وحدها كمصدر لتلقي العلم ، وقـد جاء في أقوالهم « من أعظم البليـة تشييخ الصحيفـة » وكذلـك قال أحـد الكتاب المسلمين القدماء « من لا شيخ له فلا دين له ، ومن لم يكن له أستاذ فإمامه الشيـطان » وقد قـال مصعب بن الزبـير : « الناس يتحـدثون بـأحسن ما يحفظون ، ويحفظون أحسن ما يكتبون ، ويكتبون أحسن ما يسمعون ، فاذا أخذت الأدب فخذه من أفواه الرجال ، فانك لا تسمع الا مختـاراً ولؤلؤاً منثوراً » .



بقلم : الدكتورة حياة جاسم محمد

يبدو أن الشعر الحر ، بعد ما يقارب من أربعة عقود على مولده ما زال في حاجة الى بطاقة تعريف تحدد أهم خصائصه ، وتوضح أبرز المعالم في رحلة نشوئه وتطوره ، وتجلو صلته بالتراث الشعري العربي ، فما الذي قالته الكاتبة في هذا المجال ؟ جمهرة من القراء توجه للشعر الحر سهام النقد ، لكنه نقد يغض الطرف عن ايجابيات الشعر الحر ، ولا يرى فيه الا سلبياته ، وهل خلا الشعر العربي التقليدي من السلبيات ؟

ان أدبيات الشعر الحر كثيرة كثرة الشعر نفسه ، وهي تؤرخ لهذه الحركة أو تنظر لها ، أو تكشف جمالياتها أو تقومها في صلتها بالشعر التقليدي ، باعتبارها امتدادا متطورا له ، أو تقارنها بحركات مماثلة في الآداب العالمية ، وعلى الرغم من كثرة تلك الأدبيات ، فان واقع الحال يفرض هذه العودة الموجزة الى حركة الشعر الحر ، ولعل في العودة نفعا .

محاولات سابقة

من المعروف أن حركة الشعر الحر بدأت في أواخر الأربعينيات في شعر رائديها بدر شاكر السياب ونازك الملائكة ، لكن هذه الحركة لم تكن أولى المحاولات للتطوير والتجديد في الشعر العربي الحديث ، بل سبقتها محاولات أخرى أهمها .

الشعر المرسل الذي يتحلى عن القافية ، وقد وردت منه أربعة أبيات لأحمد فارس الشدياق في كتابه « الساق على الساق » (١٨٥٥) ، ونظم فيه جميل صدقي الزهاوي (١٩٠٥) ، كذلك حربه عبدالرحمن شكري في ديوانه ضوء الفجر (١٩٠٩) ، ومارسه أحمد زكي أبوشادي ، دعا اليه في مجلته أبولو التي كانت تصدر في الثلاثينيات من هذا القرن ، أما على أحمد باكثير فقد اعتبره الوسط الملائم للمسرحية ، فنظم مسرحية أخناتون ونفرتيتي (١٩٤٣) ، وترجم مسرحية شكسبير روميو وجوليت (١٩٤٦) ، مستخدما هذا النوع من

الشعر ، لقد ظلت تلك المحاولات في الشعر المرسل محاولات جزئية ، ولم تتطور الى حركة ناضجة شاملة .

الشعر الحر في مدرسة أبولو ، ومنشئها أبو شادي الذي نظم الشعر الحر باعتباره شاعرا ، وكتب عنه بوصفه ناقدا ، وقد حافظ في شعره على الوزن ، لكنه استخدم أبحرا مختلفة في القصيدة الواحدة ، وكان انتقاله من بحر لآخر على غير نظام معين ، وكذلك تخلى عن القافية ، وظهرت أول قصيدة له من الشعر الحر بعنوان « الفنان » في ديوانه « المشفق الباكي » (١٩٢٦) ، لقد أخفقت هذه القصيدة وقصائد أبي شادي الأخرى من الشعر الحر ، لأنها تفتقر الى الموسيقا الداخلية ، على الرغم من وجود الوزن فيها كما جاء الانتقال الاعتباطي السريع من بحر الى آخر صادما للأذن العربية ، لذلك لم يجد هذا الشعر قبولا ، وظل هو الآخر محاولة جانبية لم تنته الى حركة منظمة ناضجة .

وقد أفادت حركة الشعر الحر في أواخر الاربعينيات من نواقص الشعر الحر الذي كان لدى أبي شادي ، وقلة من الشعراء حذت حذوه ، فحرصت الحركة الأخيرة على صلتها بالتراث الشعري العربي ، وعلى أن يكون التطوير تدريجيا ، تمليه ضرورات التجارب الشعرية الجديدة ، لا الرغبة في الخروج على القديم فقط ، لذلك حافظت على الأوزان العربية والتزمت في بدايتها بحرا في القصيدة ، ولم تتخل عن القافية ، بل لجأت الى تنويعها ، لكن شعراء الشعر الحر استخدموا التفعيلة بحرية ، فلم يتقيدوا بالبيت ذي الشطرين المتساويين في عدد تفعيلاتها ولا الأبيات المتساوية في عدد تفعيلاتها، انما جعلوا البيت شطرا واحدا ، لئلا ينقطع المعنى بالوقفة بين الشطرين ، واستخدموا من التفعيلات ما يقتضيه التعبير عن المعنى ، حتى اذا كانت التفعيلات أقل أو اكثر مما يفرضه العروض الخليلي ، وأهم من ذلك كله أنهم جعلوا البيت متصلا بما قبله وبعده ، فقضوا على استقلال البيت الذي قامت عليه القصيدة العربية في غالب الأحيان ومنحوا القصيدة من الشعر الحر وحدة عضوية ، مكنتهم من متابعة دفق التجربة الشعرية ، كذلك جعلوا القصيدة الجديدة معبرة عن هموم وتطلعات ذاتية وجماعية معاصرة ، عبر تجربة فعلية لاتقليدا لنماذج جاهزة .

الاتجاه المحافظ

يمكن الاشارة الى ثلاثة اتجاهات واضحة في تاريخ حركة الشعر الحر وهي : الاتجاه المحافظ ، والاتجاه المعتدل ، والاتجاه المتطرف .

تمثل الشاعرة نازك الملائكة الاتجاه المحافظ في شعرها وفي تنظيرها للشعر الحر في كتابها « قضايا الشعر المعاصر » ، فهي تعالج الشعر الحر بوصفه ظاهرة عروضية لاغير ، وتجد فيه تطويرا لعروض الخليل، وتدعو الشعراء الجدد الى الالتزام بقوانين العروض التقليدية ، وكأنها لاتريد لهم أن يواصلوا التجريب أبعد من الخطوة الأولى التي خطوها في جعل التفعيل لا البيت أساسا للشعر الجديد ، إن في قصيدة « الكوليرا » وهي القصيدة الأولى من الشعر الحر للشاعرة نازك الملائكة نظاما ثابتا في تنويع التفعيلات والقوافي ، يجعل الباحث العراقي مصطفى جمال الدين يعتبر تلك القصيدة موشحا لا قصيدة من الشعر الحر ، وان التركيز على التغيرات العروضية في الشعر الحر يصرف النظر عن التغيرات التي هي أهم فيه ، وهي اختلاف المضامين وطريقة معالجة هذه المضامين .

الاتجاه المعتدل

أما الاتجاه المعتدل فيندرج تحته الجزء الأكبر من نتاج الشعر الحر منذ نشوئه حتى الوقت الحاضر ، وقد تأثر شعراء هذا الاتجاه في مرحلته الاولى ، وكذلك نقاده ، بالشاعر ت .س إيليوت ، وتأثر الآداب ببعضها ظاهرة طبيعية ومشروعة ، ويحمل الشاعر إيليوت تقديرا للماضي ، ويرى فيه ظاهرة مستمرة تعيش في الحاضر ، وتتطور في اطاره باتجاه المستقبل ، والتجديد لديه خير من التكرار ، ولكن التقاليد ذات أهمية كبرى ، غير أن التقاليد ليست الا احساسا تاريخيا بالماضي ، لا باعتباره ماضيا فقط ، وانما بوصفه حاضرا أيضا ، ويعتقد إيليوت أن الشاعر يختلف عن أسلافه لكن أسلافه ماثلون في شعره بطريقة أو بأخرى ، ولذلك فمهمة الشاعر أن

يستجيب للمتغيرات ، وفي الوقت نفسه يحترم الماضي ، وينظر إليوت الى الشعر الحر لا بوصفه متحررا من الشكل ومتطلباته ، وانما بوصفه قائما على حرية تؤدي الى نظام ، وهو يؤمن بضرورة الموسيقا للشعر ، ولكنها ليست الموسيقا الخارجية فقط التي تولد من الوزن والقافية ، وانما أيضا موسيقا الايقاع الجوهرية في الشعر .

وأبرز شعراء هذا الاتجاه بدر شاكر السياب الذي يتميز شعره بالموسيقا العالية والعناية بالعروض ، وقد ظل السياب ينظم قصائد العروض التقليدي حتى نهاية مسيرته الشعرية ، كما جمع العروض التقليدي والعروض الجديد في بعض قصائده ، وكل ذلك يؤكد صلة الشاعر بالتراث ، على الرغم من محاولته تطويره ، وكانت تجاربه في الجمع بين بحرين في القصيدة الواحدة ، أو النظم في الأبحر الممزوجة المتكونة من نوعين مختلفين من التفعيلات ـ والأخير مما تحظره نازك الملائكة ـ تجارب رصينة ، ويندرج تحت الاتجاه المعتدل أيضا شعر صلاح عبدالصبور ، وعبدالوهاب البياتي من الجيل الأول ، وشعر أكثر من جيل من الشعراء من بعدهم في مختلف أرجاء الوطن العربي .

وقد ظهرت ضمن أدبيات هذا الاتجاه ، دراسات نقدية ، ناقشت قضايا الشعر الحر بعلميه ، ونظرت له ، وجلت كثيرا من الغموض الذي لابس جمالياته ، وتكفي الاشارة الى الدراسات التالية على سبيل المثال : قضية الشعر الجديد لمحمد النويهي ، والشعر العربي المعاصر لعزالدين اسماعيل ، وموسيقا الشعر العربي لشكري عياد ، والايقاع في الشعر العربي لمصطفى جمال الدين ، وقد خالف هؤلاء الدارسون وسواهم نازك الملائكة في كثير مما نظرت له من قضايا الشعر الحر .

الاتجاه المتطرف

الاتجاه المتطرف ينحو الى أن يؤسس للشعر العربي عروضا جديدا يحتوي التجارب الجديدة المختلفة للشعراء الجدد ، وقد بدأ مع جماعة مجلة شعر اللبنانية .

ومن أبرز رواده يوسف الخال ، وأدونيس ، وجبرا ابراهيم جبرا ، ويلاحظ أن الشعراء أنفسهم ـ في الأغلب ـ ناقدو هذه الحركة ودارسوها ، وهم يرون الشعر العربي الحديث ثلاثة أنواع :

١ ـ الشعر الموزون ، وهو الذي يعتمد على التفعيلة ، مع احداث التغييرات في نظامها ، وهم لهذا يشيرون الى الحركة التي بدأت في أواخر الأربعينيات ، وعرفت باسم الشعر الحر ، وسبقت الاشارة اليها في هذا المقال .

٢ ـ الشعر الحر ، وهو الشعر المتحرر من الوزن والقافية ، ولكنه يحتفظ بنوع من النظام في أبياته ، يولد ايقاعا يعوض عن الوزن والقافية المفقودين ، وهذا النظام قد يقوم على تكرار فكرة سائدة ، أو كلمة أو مجموعة من الكلمات أو صورة من الصور ، بحيث تعود القصيدة دوما الى حيث بدأت ، وتصبح كلا عضويا ناميا ، ويرى جبرا ابراهيم جبرا أن الموسيقا الداخلية للشعر الحر تتحقق باستخدام الفاظ تحتوي على حروف العلة .

٣ ـ قصيدة النثر : وهي قصيرة ومركزة ، وتختلف عن الشعر الحر ـ والمقصود به ما سبق لقصيدة النثر في التصنيف ـ في أنها لا تقوم على نظام الأبيات ، انما تنساب انسياب النثر ، لكنها في الوقت نفسه تختلف عن النثر في أن لها ايقاعا أقوى ، وتأثيرات صوتية ، وكثافة في التعبير ، ويتراوح طولها بين صفحة وثلاث أو أربع صفحات ، وهو طول القصيدة الغنائية .

ويندرج أغلب شعر هؤلاء المتطرفين تحت الشعر الحر ـ وفق تحديدهم له ـ وقصيد النثر ، واذا كتبوا شعر التفعيلة أحدثوا فيه الكثير من التغييرات .

رأي العقاد

يتضح من هذا العرض أن تسمية الشعر الحر ، التي تطلق على عموم شعر التفعيلة ، لاتعني افتقار هذا الشعر الى الوزن والقافية ، كما ان الشعر الحر ـ بالمصطلح الدقيق ـ عوض عن الوزن والقافية بموسيقا داخلية تقوم على ضوابط مدروسة ، ولذلك جار العقاد على الحقيقة حين حكم على الشعر الجديد بأن يحال الى لجنة النثر ، ولم يحل هذا الحكم دون أن يزدهر هذا الشعر ، ويغدو المعبر عن احتياجات الحاضر وتطلعات المستقبل ، والعقاد الذي ناهض الشعر الجديد كان داعية التجديد في أوائل العشرينيات من هذا القرن ، فيما يتعلق بالوحدة

العضوية للقصيدة العربية الحديثة ، فإن العقاد في كتاب الديوان الذي ألفه مع زميله المازني قد هاجم شوقي هجوما عنيفا ، لان شوقي في رأي العقاد يمثل استمرار القصيدة العربية القديمة القائمة على البيت المستقل ، ورمى العقاد شعر شوقي بالتفكك ، وشبه قصائده بكومة رمل ، اذا وضعت على أي وضع بقيت كومة رمل كما كانت ، وعمد الى ترتيب الأبيات في قصيدة شوقي ترتيبا جديدا ، ولم يجد في ذلك صعوبة ، كما أوضح ، مما يدل - في رأيه - على انعدام الشعور الذي ينتظمها ويؤلف بينها ، وبالتالي على افتقارها الى الوحدة العضوية ، وتحدث العقاد عن الوحدة العضوية للقصيدة ، مستندا الى مفاهيم نقدية غربية ، وكما كان سعي القصيدة العربية الحديثة الى الوحدة العضوية مقبولا ومحمودا ، كذلك ينبغي أن يكون سعي الشعراء الجدد الى تطوير العروض القديم لتلك القصيدة ، ولاننسي أن من أبرز خصائص الشعر الحر حرصه على تحقيق الوحدة العضوية للقصيدة العربية .

أسباب الغموض

أما الغموض الذي يتذرع به البعض لمهاجمة الشعر الجديد ، فهو ظاهرة لاتخص الشعر الحر وحده ، انما هو سمة الكثير من النتاج الشعري في مختلف العصور ، ومن البديهات أن لغة الشعر لغة ايحاء لا تقرير ، ولا يطلب من الشعر أن يكون في وضوح النثر ، والا فقد جوهره الموحى ، وقد عرف شعرنا العربي القديم تيارين بارزين ، اتجه أحدهما الى الوضوح المباشر ، واستخدام لغة الحياة اليومية ، وخير ممثليه أبو العتاهية ، واتجه الثاني الى الصنعة الفنية واللامباشرة واللغة المختارة ، وخير ممثليه أبوتمام الذي سئل مرة : لم لا تقول ما يفهم ؟ فأجاب : ولم لا تفهم ما يقال ؟ واذا كان أبو تمام قد رمي بأنه يقول مالا يفهم فما بالنا ننكر على الشعراء الجدد هذا الغموض الذي يكافىء غموض وتعقيد الحياة الحاضرة ؟ من صفة الشعر الجيد أن لايقدم للمتلقي كل شيء جاهزا ، انما يترك للمتلقي ان يغني تجربة النص بمخزون تجاربه ، ولكن ينبغي الاحتراز بالاشارة أن الغموض غير الالغاز ، وشتان ما بينهما .

ان قضية الشعر الحر لم تعد موضع جدال ، فقد حسمها الزمن ، وتقبلت جماهير القراء في العربية هذا الشعر ، ووجدت في قصائده مضمونا وشكلا ، تعبيرا عن همومها وتطلعاتها ورغبتها في التطور ، انطلاقا من تحولات العصر ، لقد رسخ الشعر الحر ، وأصبحت له تقاليده وجمالياته ، وغدت قصائد أواخر الأربعينيات والخمسينيات من الموروث الشعري الذي انطلقت وتنطلق منه الأجيال التالية ، برغبة تجاوزه لا الوقوف عنده .

ان القضية ليست قضية شعر تقليدي وشعر حر ، ولكنها قضية شعر جيد وشعر رديء ، ويقع الجيد والرديء في الشعر التقليدي كما يقع في الشعر الحر .

وبعد فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض . □



■ ان الأمة لا تكون أمة قوية الا اذا كانت تؤمن بالله (أفلاطون) .

■ أحسن وسيلة للتمتع بالسعادة ، هي أن تشرك فيها غيرك (بيرون) .

■ ان مؤهلات الحاكم تتلخص في كلمة واحدة : الأمانة.(توماس جيفرسون) .

■ ان موقف الحقيقة غالبا ما يكون صعبا ، ولكنها لا يمكن أن تتحطم (شوبنهاور) .

■ قلما تتذوق شيئا صافيا أو لذة خالصة (مونتي) .



أول وزير "للذكاء في العالم"!!

بقلم : الدكتور عادل عبد الكريم ياسين

الثروة المادية ثروة عابرة ، تخضع لظروف لايمكن التنبؤ بها ، وتبقي ثروة العقول هي الثروة الحقيقية للأمة. . لأي أمة أما كيف تستطيع الأمة أن تصبح أمة مفكرة خلاقة ؟ حول هذا التساؤل يتحدث . المقال .

منذ بضع سنوات خلت ، أو في شهر مايو من عام ١٩٨١ على وجه التحديد ترامي لمسامعي اسم « ماشادو » في حلقة دراسية في جامعة سري في انجلترا ، شارك فيها البروفسور « سكمب » عالم النفس والرياضي المعروف ، حيث تعرض للكتابة عن « الذكاء الانساني » وكان مما قاله :

« هناك رجل يدعى « ماشادو » بدأ عملا فكريا غير مألوف ، ومن السابق لأوانه الحكم على هذا العمل المثير ، فهذا الرجل يزعم بأنه يمكن « تعليم » الذكاء لمجموعة أفراد الأمة ، واقترح على المهتمين في الحقل التربوي أن يتابعوا هذه التجربة بجدية .

وفي فبراير ١٩٨٢ قرع مسامعي نفس هذا الاسم مصحوبا « بالعظيم » في حلقة دراسية في الجامعة المذكورة عن « التعليم الأفضل » وكان المحاضر حادا في نقده للتعليم في بريطانيا خصوصا ان تقرير كوكروفت كان آنذاك يجلجل ، مشيرا الى الضعف في بنية التعليم البريطانية وخصوصا بالنسبة لمادة الرياضيات ،

مناهج التعليم

وكان بعض ماقاله المحاضر يتلخص في أنه : « يجب أن نعيد النظر في جميع مناهج التعليم وأساليبه ، ففي عصر تفجرت فيه المعرفة لدرجة تصعب حتى على المتخصص متابعة ميدان تخصصه ، فلا يبقى أمامنا الا أن نتوقف لنختار مانراه أساسيا لتزويد المتعلم به ، اذ لايجب أن نستمر في معاملة العقل كسلة للنفايات ، والحل الوحيد في رأيي يكون في جعل « تعليم التفكير محورا للتعليم الأفضل » !

وتطرق بعد ذلك الى من أسماه « ماشادو العظيم » الذي ينفذ تجربة رائدة في « تعليم الذكاء » لأمة كاملة !!

وفي صيف عام ١٩٨٤ ، وبينما كنت مع وفد في مهمة علمية للولايات المتحدة ، التقيت بالبروفسور « جوزيه حيلرمين » البورتوريكي الأصل ، في حلقة دراسية حول « العجز عن التعلم » وأعقب المحاضرة نقاش ثري تحدث فيه « جيلرمين » باعجاب عن التجربة الفنزويليه الرائدة التي يقودها « ماشادو » أول وزير قال بامكان « تعلم الذكاء » . وقد ذكر بأنه عمل مستشارا له خلال السنوات الخمس المنصرمة كما عمل ممثلا لوزارة الذكاء الفنزويلية ، من مارس - ديسمبر ١٩٧٩ ، في الفريق الذي يتعاون مع جامعة هارفارد في الولايات المتحدة لتطوير مقررات تستهدف تعليم مهارات التفكير ، وهو يرى في « ماشادو » رجلا فذا وعالما بارزا يجدر أن تفيد منه دول العالم كافة ، ودول العالم الثالث بالذات بصفة خاصة .

من هو ماشادو ؟

ترى من هو هذا الرجل « ماشادو » ؟

لقد ولد لويس البرتو ماشادو في عائلة فنزويلية ثرية في بداية الثلاثينيات ، ودرس المحاماة في اسبانيا ، وامتهنها لفترة ، وعاد فتحول عنها الى الفلسفة والشعر والسياسة ، وربما كان للظروف المحيطة به تأثير على توجهاته ، فنزويلا تنعم بقدر جيد من الديمقراطية في منطقة تخضع لنظم الحكم العسكرية ، ولو أنها تنعم بثروة نفطية كان مردودها المادي كبيرا في السبعينيات ، رغم أنها مازالت تعج بالفقر والبؤس والشقاء .

وعلى الرغم من الازدهار النفطي آنذاك ، فلقد كان ماشادو يصر على أن « النفط ثروة عابرة تخضع لظروف لايمكن التنبؤ بها وتبقى « ثروة العقول » هي الثروة الحقيقية للأمة ، وهو يرى أن الأمة الذكية هي التي تحافظ على حريتها ولو أنها قد تتعرض لقيام حكم دكتاتوري ، ولكن ذلك حتما سيكون أمرا عابرا ، اذ سرعان مايلفظه هذا الصنف من الأمم الذكية .

ويعتقد « ماشادو » بأنه يمكن تطوير الذكاء الانساني « بمعنى العمل على انمائه » وقد كان هذا أساسا لبرنامج طموح للأمة الفنزويلية بطلة ذلك الرجل الفريد والصلب الذي وصف يوما « كمبعوث مطلق الصلاحية للذكاء الانساني » وفاز البرنامج بدعم الرئيس الفنزويلي « لويس هيريرا كامبنز » الذي أنشأ لأول مرة في تاريخ الانسانية المعروف « وزارة تطوير الذكاء الانساني » في بدايات عام ١٩٧٩ ، ليكون « ماشادو » وزيرا لها ، وليصبح بذلك أول وزير للذكاء في العالم .

أما البرنامج فكان شاملا ، بحيث شمل مستشفيات الولادة والمدارس والجامعات والقوى المسلحة وأفراد الخدمة المدنية بدعم مباشر من الرئيس كامبنز ووزراء الصحة والتربية والتعاون والاعلام ، لكن ماشادو كان وزيرا بلا حقيبة وزارية ، بمعنى أنه لايشرف على ادارة حكومية خاصة ، كما لم تخصص له ميزانية كبيرة .

بعض قناعات الرجل

لم تتغير بنية الدماغ منذ الخليقة .

* التربية وراء نهوض الأمم وتخلفها .

كان « ماشادو » يهوى الحديث في البدء عن المفاهيم العامة ، حيث كان من الصعب تحوير الحديث معه باتجاه التفاصيل ، اذ كان يصر على ترك المجال للتطبيق » العملي ، والبرنامج الفنزويلي لايقوم على نظريات محددة تعود لأية مدرسة أو لأي فرد ، فالمدخل اليه ذو صفة انتقائية عالية ، كما يفيد من منهجيات متعددة ، ومع ذلك فان « ماشادو » يزعم بأنه مبادئه العلمية واضحة ، وقد تجنب هو وأعوانه الخوض في أي نقاش يدور حول الذكاء في الولايات المتحدة ، لينأى عن أي جدل مبكر حول التقليل

(كما يعتقد) من دور الذكاء الموروث ، أو من دور (اختبارات) الذكاء ، التي يختفي خلفها بعض ممن يرون بأن هناك عروقا ذكية وأخرى ليست كذلك !!

العوامل البيئية

وينحو « ماشادو » نحوا آخر ، اذ أنه يعتنق وجهة النظر التي تقول بأنه لم يجر تطور كاف للطاقات الفكرية للكائنات الانسانية العادية ، « فنحن نتجه لأن » نمنح هؤلاء الفرصة لرفع قدراتهم الفكرية الى أقصى مدى وهو لاينكر الفروق في المواهب الموروثة بين الأفراد ، ولكنه يعتقد بأن العوامل البيئية ذات أثر أعظم وأكثر أهمية اذ يقول :

« كل الأطفال العاديين موهوبون : وواجبنا تطوير طاقاتهم الكامنة الموروثة » .

واحد من المبادىء التي تقود تفكيره ، يؤكد كما أسلفنا على ضرورة أن تصبح « فرص » تطوير الذكاء متاحة للجميع وليس للقلة ، ثم يقول « اذا سمحنا للقلة أن تطور ذكاءها فانها لامناص من احتكار القوة ، بحيث يكون هناك الطغيان الأعظم » .

وواحدة من الفرضيات المهمة التي يعتبرها أساسا لحواره تقول بأنه « **يتضح مما تفيده علوم اليوم ، بأن بنية دماغ الانسان الحالي لاتختلف في الشكل والجوهر عن مثيلتها منذ فجر التاريخ ، فما الذي تغير اذن حتى تنهض أمم وتتخلف أخرى ؟** »

ويجيب : **انها التربية ، وانه التعليم الذي تعاقب على أجيال الأمة !!** كما يرى بأن الاختلاف بين الأذكياء وغيرهم يعود للأساليب التي توصل المعلومات للدماغ « والتربية من أفضل السبل » لتطوير عملية المعالجة هذه لرفع طاقات الأفراد الفكرية ، ولكل انسان الحق في « تطوير هذه الطاقة » فمن واجب الأمة العمل على اتاحة فرصة التطوير هذه للجميع منذ أن يكون الفرد جنينا ، وعلى امتداد حياته على الأرض .

وهكذا فان برنامج تعزيز الذكاء الفنزويلي ينطلق من التأكيد على العناية بالجنين قبل الولادة وبعدها ، وكان أن تم تدريب الأطباء والهيئات التمريضية والمتطوعات في مستشفيات الولادة ، لتزويد الأمهات بالارشاد ، فيما يتعلق بالعوامل المؤثرة لدى الأطفال



حديثي الولادة ، في محاولة لتحفيز الطفل واثارة فعاليته ، ليكون أكثر استعدادا لاكتساب مهارات التفكير مع نموه ، واضافة الى ذلك فقد تم تسجيل هذه المعلومات على أشرطة الفيديو لعرضها على أجهزة التلفزيون في غرف الولادة ، وهو على قناعة بان السنوات الست الأولى من عمر الطفل هي أهم فترة في حياته على الاطلاق ، فيما يتصل بتطوره الفكري ، فكانت هذه المرحلة من أهم المجالات الرئيسية للبرنامج من خلال التركيز على الأسرة ، بالاستعانة بوسائل الاعلام الوطنية ، وقد أعدت سلسلة شيقة من النقاط القصيرة ، كان يجري تكرار عرضها في التلفزيون باستمرار ، كما هو الحال في الاعلانات التجارية ، وقد عم البرنامج كل أنحاء فنزويلا ، حيث انهمك طلاب المدارس وموظفو الحكومة وعمال الانتاج والفلاحون والجنود في استيعاب البرنامج الذي أسموه « الذكاء أو تعلم طرائق التفكير » وأصر على أن يخوض كل سكان فنزويلا (١٤ مليونا) التجربة في محاولة جادة لرفع ذكاء الأمة بمجملها .

تعليم التفكير

وهو ينادي بضرورة اجراء جراحة جذرية في بنية مناهج « معاهد وكليات المعلمين والمدرسة والجامعة » واعادة تشكيلها لتصبح قائمة على « تعليم التفكير إذ

أن هذا خير وسيلة لانماء الذكاء « فتعليم التفكير هو تعليم الذكاء » .

وفي السنة الأولى شارك في المشروع أكثر من مليون طفل بين التاسعة والرابعة عشرة « ليتعلموا كيف يفكرون » وكان ذلك في خريف ١٩٨١ .

اذا اخذنا برأي « هب » الذي يقول بأن الذكاء موروث ومكتسب واستثنينا رأي « فيرنون » الذي يربط الذكاء بروائز الذكاء (ولهذه المقولة ناقدون كثيرون في الغرب وعلى رأسهم « جاردنر » الذي يرى بأن هذه وثيقة الصلة بثقافة الغرب فحسب) ان « ماشادو » يركز كما رأينا سابقا على أهمية الجانب المكتسب ، بل يرى في ذلك أساسا جوهريا لاختلاف الأمم في ذكائها ، فالأمة الذكية ـ كالفرد الذكي ـ تكتسب « كما » من الخبرات ، توظفها في التقدم والتفوق ، مما يجعلها جديرة بصفة الذكاء ، وقد يكون السؤال الجوهري ماهي الخبرات التي تساعد على رفع ذكاء الفرد وبالتالي الأمة ؟ ومانعنيه بالذكاء هنا ببساطة هو ما يأخذ به « بركينز » أحد العاملين في مشروع الذكاء في هارفارد اذ يرى فيه « كل مايجعل المرء يفكر بصورة أفضل » وهو موقف وظيفي وغائي معا ، وبالتالي فان هذا يشتمل على كل ما نتصور : المهارات الدراسية والقدرة الجيدة على حل المشكلات اليومية ، والمحاكمة العقلية الجيدة ، وقدرة التحكم بالذات وغير ذلك .

دور التربية

وهذه الجوانب تتضمن ما يبحث السؤال السابق عنه ، وبالطبع فان هذه تطرح السؤال المثير للجدل : هل يمكن للمرء ان يكتسب هذه الصفات أو الخبرات عن طريق التعلم ؟ وبمعنى آخر : **هل يمكننا أن تعلم الذكاء ؟ وكيف ؟**

ولايستقيم البحث عن اجابات مناسبة لمثل هذه الأسئلة دون أن نعي بالمسلمات التي يطرحها « ماشادو » وهي :

* نعم : يمكن لكل فرد أن يكون ذكيا .
* التفكير مهارة يمكن للمرء ان يتعلمها .
* تعلم التفكير وسيلة لرفع (تعلم) الذكاء .
* التربية أفضل السبل لتعلم الذكاء .

ويتفق « ماشادو » مع « دي بوتو » الذي يعلم طرائق التفكير في جامعة كمبردج في انجلترا ، والذي ألف كتابه « آلية العقل » الذي يفترض فيه بأن التفكير مهارة لايحتكرها القلة ، وهي بمتناول كل انسان ، اذا ما أحسنا اعداده لذلك .

وقد أرسلت الصين ٤٠ مبعوثا رسميا الى فنزويلا برئاسة نائب وزير التربية لدراسة ونقل افكار ماشادو الى بلادهم ، وهناك نشاط حاد في دول أمريكا اللاتينية لدراسة أبعاد التجربة ، كما أن اليونسكو أولت اهتماما بارزا بالمشروع .

واذا كان « ماشادو » يهوي أن يسميه الناس « بشاعر الذكاء » فهو يرى بأن أبرز حدث في هذا القرن سيكون مايسميه « انفجار الذكاء » الذي قادته بلاده ، بل ان عالم النفس « سكنر » يرى بأن عمل « ماشادو » أجرأ ما حدث في هذا القرن .

ويتنبأ « ماشادو » بأنه اذ قدر لرياح المشروع أن تستمر ، فان بلاده **ستتصدر الذكاء في العالم .**

لا أغالي اذا قلت بأننا أمة لاتواجه تحديات الاستمرار ، فحسب ، بل والوجود أيضا فهل نعي الدرس ؟ وهل نستطيع نحن التربويين أن نتلمس دورا أفضل ؟ . □

■ **الانسان الذي لا يفقد عقله أمام الاغراء . . ليس لديه ما يفقده (ليسنج) .**

■ **الناس نوعان : نوع ينظر الى الطين أو نوع ينظر الى النجوم (فريدريك لانجبريدج) .**



بقلم : عبدالله زكريا الأنصاري

خالد العدساني ، سياسي وأديب من الكويت ، أدى دوره ، وسجل بعض ما عرفه وعايشه في كتبه وأشعاره .

لكن كتابا من بينها لم ينشر وبقي حبيس الأدراج ، فما هي الأسباب والدواعي ؟ وما هي قصة العدساني .... مع العمامة ؟

العمامة هي اللباس العربي ، والعمائم هي تيجان العرب ، ولعلهااللباس العربي الذي يدل على الجد ، ويدل على العمل ، ويدل على العزم والحزم ، وخوض الحروب ، لأن صاحب لسان العرب يقول في العمامة ، ان الرجل إذا أرخى عمامته فمعناه أنه ، أمن ، وترفه ، لأن الرجل يرخي عمامته عند الرفاه ، ويشدها عند الجد .

يقول الشاعر العربي : ـ

ألقى عصاه وأرخى من عمامته

وقال : ضيفٌ ، فقلتُ : الشيبُ ؟ قال : أجل

يقول الشاعر ، إنه ألقى عصاه وأمن ، وأرخى من عمامته ، وتمدد قائلاً إنه الضيف ، أعني الضيف الذي جعله يتمدد ويرخي عمامته ، ويُلقي عصاه ، ويخلد إلى الراحة والهدوء ، فلا حزم ولا عزم ، ولا جد ولا كد ، ولا تعب ولا حروب ، وعندما سأله السائل عن هذا الضيف الذي حلّ به وهل هو الشيب ؟ قال : نعم : إنه الشيب الذي يُلقي العصا ، ويُرخي العمامة ، ويبعث في الانسان الوهن والضعف والفتور ، ويدفعه إلى إلقاء السلاح .

نعم إنه الضّعف والوهن ، وهما الشيب ، لكن ما بال أولئك الذين ألقوا بعصيّهم ، وأرخوا عمائمهم ، واستسلموا دون شيب ، أي دون ضعف في الأبدان ، ودون وهن في الأجسام ؟ وينطلق صوت من وراء الستار مردّداً قول أبي الطيب المتنبي : ـ



المرحوم خالد العدساني

وإذا كانت النفوسُ كباراً
تعبت في مُرادِها الأجسامُ

قلت نعم ، فهمت ماذا تعنى أيها الصوت ، إنك تعنى متسائلاً ، وماذ يحدث إذا كانت النفوس صغاراً ؟ أجل : يحدث الخَوَر والوهن والاستسلام ، لكن أهذا ما أردت ؟

من التاج الى الشعار

وتطور وضع العمامة بعد أن كانت تاجاً ، إلى أن أصبحت شعاراً أو شبه شعار يلبسه دارسو الدين ، وها أنت ترى في بلادنا العربية أشكالاً من العمائم على رؤوس دارسي الدين ومعلميهم لا تشدها الشدائد ، ولا يرخيها الرخاء ، وإنما هي عمائم تعلو الرؤوس وقت الدرس ، وترتخي وقت العرس ، وتُلقى أو ترفع ، أو تُنَحّى جانباً وقت النوم ووقت التمدد والاسترخاء .

المرحوم خالد العدساني لبس العمامة أو ألبِسَها يوم حل كلية الامام الأعظم ، وعمائم هذه الكلية تختلف شيئاً عن عمائم الأزهر الشريف ، ولا ندرى متى اتخذت العمامة طابعاً دينياً ؟ ومع ذلك فنحن نرى اليوم بعض الناس في بعض البلدان العربية ما زالوا يستخدمون العمامة غطاء للرأس ، لا سيما في الأرياف والقرى والمناطق النائية عن المدن الكبيرة ، وهؤلاء قد لا يكون لهم علاقة بالدرس والتدريس في علوم الدين ، لكن على العموم فهي طابع يتخذه رجال الدين شعارا لهم هنا في أقطارنا العربية ، وفي بعض البلاد الاسلامية الأخرى .

ولا نريد أن نتحدث عن الذين يتخذون من العمامة ذريعة للتظاهر بالدين مثلاً ، أو ذريعة للغش والخداع ، أو وسيلة للحيلة والمكر بالطيبين من الناس ، فهي على كل حال كانت لباساً عربياً يدل على الجد والمهابة والحزم ، فأصبحت لدى رجال الدين لباساً يُضفي عليهم شيئاً من الوقار ، واتّخذها البعض ذريعة لحاجات يقضونها ، ومع ذلك فهي لباس وقور طالما اتخذه حاملو العلم والمتفقهون بالدين شعارا مميزاً يدل على المهابة والوقار ، وطالما لبسه الأفاضل من الرجال العاملين المصلحين ، والمخلصين في عملهم ، الصادقين في أقوالهم .

والعمامة على كل حال مظهر لا جوهر ، ولهذا غدت لباساً يلبسه الصالح والطالح ، ويستعمله العامل والخامل ، ويضعه على رأسه الصادق والكاذب على حد سواء .

العدساني والعمامة

وربما فُرضت العمامة على المرحوم خالد العدساني عندما كان يدرس في بغداد في كلية الامام الأعظم في الجامعة الهاشمية ، وأنت ترى مع هذا الحديث صورته بالعمامة ، وقد علق عليها بخط يده هكذا : - (رسمى أخذ في سوق السراى ببغداد في يوم الخميس ٢٧ جماد الأول سنة ١٣٤٣ ، الموافق ٢٥ كانون الأول سنة ١٩٢٤) . وكانت هذه الصورة مخفية بين أوراقه ، ونشرت لأول مرة بعد وفاته مع المقال الذي نشرته عنه في مجلة (العربي) من قبل . ولعله كان لا يريد أن ينشرها وقت حياته ، ولما توفي أصبحت ملكاً للناس وللباحثين عن تاريخ حياته .

كان المرحوم قد انتقل إلى عالم الخلود مساء يوم

السبت الرابع من شهر سبتمبر سنة ١٩٨٢ ، الموافق ١٦ من شهر ذي القعدة سنة ١٤٠٢ . ووجدنا في بعض أوراقه التي تركها ، تاريخ ميلاده بخط يده يقول فيها : - (ولدت في شهر رجب سنة ١٣٢٣) وهذا التاريخ يوافق شهر سبتمبر سنة ١٩٠٥ ، أي أنه توفي عن عمر يبلغ تسعة وسبعين عاماً هجرياً .

ترك المرحوم وراءه شيئاً قليلاً من الفكر ، شعراً ونثراً ، طُبع منه كتيبٌ « نصف عام للحكم النيابي في الكويت » وهو ملخص أعمال أركان العهد النيابي الأول في الكويت ، وجاء فيه وعدٌ بكتاب مفصل يصدر في ظروفه وميعاده المقدور ، وصدر له بضع قصائد وقت حياته أسماها « عدسانيات » . أما الكتاب الذي لم يطبع بعد فهو أهم أثر أدبي للمرحوم ، ففيه يسجل باسهاب حركة المجلس النيابي الأول ، كيف قام ، وكيف عاش ، والأحداث التي مر بها ، والملابسات التي حصلت له ، ثم نهايته السريعة التي عجلت به ، وهو كتاب مهم للذين يرصدون تاريخ الحركة النيابية في الكويت ، بل للذين يرصدون تاريخ الحركة السياسية . صحيح انه يسجل تاريخ فترة قصيرة من حياة الكويت ، لكنها فترة حافلة مليئة بالأحداث ، سواء في الكويت ، أو في المنطقة ، لا سيما بعض البلاد العربية المجاورة ، وبجانب تسجيله لحياة الكويت ، فهو سجل مهم لبعض رجالات الكويت الذين ساهموا في الأحداث من الذين اشتركوا بالمجلس أو الذين لم يشتركوا .

لقد كانت الكويت في تلك الفترة تعيش حياة بسيطة عادية ، بعيدة عن مظاهر الترف ، بل كان معظم أهلها يعيشون عيش الكفاف ، على الغوص والسفر إلى سواحل الخليج وسواحل الهند وسواحل أفريقيا ، وهناك قلة من التجار الذين يتعاملون مع البلدان المجاورة ، وبعضهم مع بعض بلدان العالم في الشرق والغرب ، واستخراج اللؤلؤ جعل هؤلاء القلة من التجار يمدون تجارتهم إلى أوروبا وإلى آسيا ، لا سيما الهند الموحدة في ذلك الوقت ، والى أفريقيا .

وكانت هناك قلة من الشباب تتطلع إلى حياة أفضل ، وكانت هذه القلة على جانب من الثقافة والاطلاع أدى إلى طموحها ورغبتها في تطوير البلاد ، وتنظيم بعض شئونها مثل التعليم وارسال البعثات إلى الخارج ، والعناية بالصحة العامة وجلب الأطباء والأدوية والاهتمام بالنظافة عن طريق البلدية وتطويرها ودعمها بالكفاءات ، وسن القوانين لتنظيم مختلف شئون البلاد ، وكانت الكويت في ذلك الحين صغيرة بعدد سكانها ، لكن كان لأهلها امتداد إلى كثير من بلدان العالم ، لا سيما تلك البلدان التي سبقت الكويت بسن القوانين ، وتنظيم شئون البلاد ، ولا يتم ذلك إلا بالوعي وبالعلم والفهم والادراك .

ملامح وملابسات مرحلة

وكان المرحوم خالد العدساني يعايش هذه الأحوال ، ولهذا سجلها في كتابه المفصل الذي وعد به ، وربما دفعه حرجه من اخوان أعزاء عليه إلى عدم نشره ، لأنه رحمه الله سجل الأحداث بصراحته المعهودة ، وروى الملابسات بكل وضوح ، ورسم تصرفات أبطال هذه الأحداث والذين شاركوا فيها بكل حرية ، ومنهم الصديق ، والقريب ، والعزيز ، لكن التاريخ لا بد أن يأخذ حقه في الصدق والأمانة والاخلاص ، وهذا ما حدث لكتابه ، ولم يغفل الأيدي الأجنبية التي أرادت أن يكون لها دور ، وأن تقوم باللعبة حتى نهايتها ، ولم يغفل أيضاً الذين شاركوا باللعبة .. فقد سجل تصرفات الرجال المخلصين ، وسجل تصرفات غير المخلصين إما جهلاً أو تعمداً ، فهناك بعض الذين أساءوا التصرف ، أساءوا عن جهل وليس تعمداً ، وهؤلاء مخلصون طبعا ، لكن إخلاصهم مشوب بالجهل أو الغفلة لكن هناك بعض الذين أساءوا التصرف عن عمد ، وهؤلاء غير مخلصين للبلاد بلا شك ، والأذكياء المخلصون هم الذين يريدون البناء ، ويريدون الاصلاح ، لكن الخبثاء هم الذين يسعون أبداً إلى الدس والفتن ، وإثارة العداوة والبغضاء بين الناس ، والناس تختلف طبائعهم ، منهم من يسعى للبغضاء إذا اعتقد أنه يستفيد منها .

إذن فالمرحوم خالد صور بكتابه هذا كل شيء على علاته ، وربما كشف هذا الكتاب لدى بعض الناس من أهل الكويت صوراً مختلفة عما كانت في أذهانهم ، وربما عكس حقائق تغير مفاهيم لبعض الناس مختلفة ، فالمصور لا بد أن يصور الأشياء على حقيقتها ، سواء كانت هذه الأشياء جميلة أو قبيحة ،

والناس من التراب ، والتراب يحتوى على معادن مختلفة منها الثمين ، ومنها الرخيص ، ولهذا فأنت ترى الأجسام عندما تدفن في التراب تتحلل ، وكل عنصر يذهب إلى عنصره ، فالذهب يذهب إلى الذهب ، والحديد إلى الحديد ، والتراب إلى التراب وهكذا بقية العناصر .

خلاصة القول أن كتاب المرحوم هذا الذي وعد به في ظروفه يفيدنا في الاطلاع على الحركة السياسية في الكويت ، ويفيدنا أيضاً في الاطلاع على الحركة الفكرية ، ويفيدنا في معرفة ثقافة الكاتب ، ويعطينا صورة واضحة على مقدرته في الكتابة ، ومدى متانة أسلوبه وسلامته ، فقد وجدنا المرحوم شاعراً ، لكن أشعاره المنشورة وغير المنشورة لا تدل على تمكنه من الشعر ولا على قوة شاعريته ، بل تدل على حبه للشعر ، وحبه لمحاولة كتابة الشعر والتعبير به عن معاناته ، وفعلاً جاءت بعض أبياته موفقة استطاع أن يعبر بها بوضوح عن بعض أفكاره وآرائه السياسية وغير السياسية ، لكن لعل كتاباته النثرية تزيدنا وضوحاً وتعطينا صورة جلية عن آرائه وأفكاره ، زد على ذلك مقدرته على الكتابة النثرية ، ومقدرته على صوغ أفكاره بصورة أكثر قوة ، وأبلغ بياناً .

هذا فيما يتعلق بالأدباء ، وبالنسبة لما يتعلق بأرباب السياسة ، وأهل التاريخ فلا شك أن الكتاب سيعينهم على معرفة تلك الفترة معرفة واضحة ، تلك الفترة التي سجل فيها الكتاب ، وهي وان كانت فترة قصيرة ، إلا أن أحداثها مهمة ، ذلك أن بعض الفترات تكون مليئة بالأحداث ، بعكس تلك التي يخيم عليها الركود والهدوء ، ولا تتمخض عن أحداث ذات بال ، ولا يخفى أن الأحداث التي سجل لها المرحوم في كتابه ، أعني أحداث المجلس الأول لم تتعد نصف العام ، إلا أن لها ذيولاً سابقة وذيولاً لاحقة ، تعين المؤرخين على رصدها وتسجيلها بشكل جيد ، لا لبس فيه ولا ابهام .

ولم نطلع على آثار ذات بال للمرحوم أهم من هذا الكتاب ، لكن هناك رسائل أدبية بينه وبين المرحوم الشاعر خالد الفرج ، تحتوى على صور أدبية جميلة ، وكان المرحوم خالد العدساني يتسمّى باسم « خالد فوزى » ولهذا ترى رسائل خالد الفرج يوجهها إليه بهذا الاسم ، وكان الفرج رحمه الله يتنقل بين أنحاء الجزيرة العربية ، مرة في البحرين ، ومرة في القطيف ، وأخرى في الدمام وهكذا ، وكان يرسل خطاباته من هناك إلى صديقه وسميه خالد العدساني المقيم في الكويت ، والمرحوم خالد العدساني سبق أن عمل خارج الكويت ، وفي هذه البلاد التي ذكرناها ، لا سيما البحرين .

وكان كل من الخالدين يبث شكواه ومشاعره لأخيه ، وهكذا يتبادلان الرسائل ، ويتحاوران في أمور مختلفة ، لا سيما تلك التي يعانيان منها ، وكم كنت أتمنى من المرحوم خالد الفرج قصيدةً يصف بها عمامة زميله المرحوم خالد فوزى كما يسميه ، إذن لكانت قصيدة تضم إلى قصائده التي يداعب فيها زملاءه ، والمرحوم خالد الفرج كان يتحين الفرص ليداعب أصحابه ، وربما أتت مداعباته جارحة ، فهو شاعر والشاعر لا يرد خاطرة شعرية ترد إليه ، بل يلقطها ويضمّها إلى مداعباته حتى لو أتت بشكل قاس شديد ، ومن يدرى لعل المرحوم زميله الفرج لم يطلع على صورة زميله المرحوم خالد العدساني بالعمامة .

نقول إن المرحوم خالد العدساني لبس العمامة ، وان لم يكن شديداً التدين ، مما يدل على أن العمامة مفروضة عليه ، ولم تشع صورته بالعمامة بين الناس ، حتى بين أهله ، وكتب الشعر ، وتغزل به ووصف ، ونظم بالقوميات والاجتماعيات ، وهو شاعر مقل ، وكتب النثر ، أدباً وسياسةً وتاريخاً ، وأهم ما كتب كما ذكرنا ، تاريخه الموعود ، ورسائله مع أصحابه ، ومن المؤسف أن تكون رسائله مع الزملاء والأصدقاء رسائل مبتورة ، فقد يكتب رسالة لزميل لم يحتفظ بصورة منها فتضيع ، ويختلط أمر المناسبة التي كتب فيها فلم تتضح بشكل كاف ، ونقرأ الرد عليها فيعطينا بصيصاً منها ، لكن يبقى الغموض محيطاً بها .

هناك بعض الرسائل التي كان يحتفظ بصورة منها ، لكنها قليلة ، وهناك مع ذلك الكثير من الرسائل التي لم نطلع عليها ، ولا ندرى إن كانت موجودة بين أوراقه ودفاتره ، أم أنها ضاعت فيما ضاع من آثاره الكتابية والأدبية ، ولعل الظروف تسمح في الاطلاع على المزيد من آرائه وأفكاره فيما يوجد من آثاره ، كتابة [illegible] □

أرقام

بقلم : محمود المراغي

أصحاب النفوذ

طبقاً لأوضاع عام ١٩٨٠ ، حاول بعض الاحصائيين القيام بدراسة حول النفوذ الدولي .. من الذي يملكه ؟.. ما هي الدول التي تملك مقوماته ؟.. كيف ينتقل التأثير من دولة الى أخرى .. و.. كانت النتائج على غير المتوقع !

تم البحث في ٧٧ دولة تضم (٨٥) بالمائة من سكان العالم ،واتضح أن عوامل النفوذ الدولي تتركز في أربعين فقط .

وبطبيعة الحال كان ، كل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية في المقدمة .. ولكن بفارق كبير حيث حصل السوفيت على (٤٥٨) نقطة ، بينما لم يحصل الامريكيون الا على (٣٠٤) نقاط .. ثم .. يأتي في الترتيب مع فارق كبير كذلك : البرازيل ـ المانيا الغربية ـ اليابان ـ استراليا ـ الصين .. وبعدها تأتي اثنتان من الدول الغربية التي تحمل اسم « الكبرى » ، والتي قادت حركة الاستعمار لفترة طويلة من الزمان وهما : فرنسا وبريطانيا .

الترتيب على هذا النحو يعكس ما اعتبره الاحصائيون عناصر قوة .. فضم : القوة العسكرية والقوة الاقتصادية ، وامتلاك استراتيجية واضحة بالاضافة الى عوامل أخرى مثل : المساحة التي تحتلها الدول ، وعدد السكان الذين تضمهم حدودها .

و.. يبدو أن العنصرين الآخرين (المساحة والسكان) من العوامل الحاسمة بالفعل .. فوفقا لبيانات الأمم المتحدة حول ١٨٨ بلدا ، هناك عشرة بلاد تحتل أحدها أكثر من نصف المساحة .. وبالتحديد (٥٢٪) من مساحة هذه البلدان ، .. بل ان هناك ثلاث دول تقترب مساحة كل منها من ربع المساحة الكلية وهي : الاتحاد السوفييتي وكندا والصين .. الأولى تحتل وحدها ١٤٪ من مساحة ما أمكن حصره من بلدان(وهي كل العالم المأهول بالسكان) .. أما الثانية والثالثة فتحتلان ٦,٦٪ و ٦,٤٪ من المساحة على التوالي ، وتليهما الولايات المتحدة الامريكية التي تمثل ٦,٢٪ فقط من المساحة

وبكلمات أخرى فان ست دول مما أطلق عليه اسم العشرة الكبار من حيث النفوذ تعتبر من الأكبر حجما في العالم على الاطلاق .. كذلك فان معظمها يتمتع بتعداد سكاني ضخم ، فالاتحاد السوفيتي طبقا لاحصاءات البنك الدولي في عام ١٩٨٣ بلغ عدد سكانه (٢٧٢,٥) مليون نسمة .. كما أن الولايات المتحدة الامريكية قد بلغ تعدادها (٢٣٤,٥) مليونا ، والبرازيل (١٣٠) مليونا .. أما الصين (وهي السابعة في النفوذ حسب الدراسة السابقة) فقد بلغ تعدادها ١٠١٩ مليوناً .

.. القاعدة والاستثناء

واذا كانت هذه هي القاعدة ، فإن الاستثناء أمر وارد .. وعلى مجال واسع .

فليس الأكبر .. أكبر قوة أو نفوذا على الدوام .
وليس الأصغر .. أقل نفوذا أو قوة في كل الحالات ..

وتسجل الارقام أن دولتين عربيتين هما : السودان والجزائر تقفان بين أكبر عشر دول في العالم من حيث المساحة ، حيث تمثل كل منها : ١,٧٪من مساحة الدول التي تم حصرها . . ومع ذلك فان هذه المساحة الضخمة لم تدعم نفوذها الدولي كثيرا . . بل أن دولة كبرى من حيث المساحة والسكان وهي الهند التي تحتل ٢٪ من المساحة ، ويبلغ عدد سكانها عام ١٩٨٣ (٧٣٣) مليونا ، تقف بعيدا في سلم النفوذ الدولي

الاستثناء اذن قائم ، ولكن تبقى حقيقتان تبرزهما الارقام الأولى ، انه في كل الحالات فان الرباط وثيق بين المساحة والسكان وقوة الدولة ، وليس من بين العشرة الكبار من حيث التأثير والنفوذ دولة صغيرة واحدة ، فالشكل من الحجم العملاق والكبير والمتوسط . .

واذا كانت اليابان لاتحتل مقعدا أول من حيث المساحة والسكان ،فان حجمها يدخل في هذا النطاق الذي نتحدث عنه « الدولة متوسطة الحجم » حيث يبلغ سكانها ٦٢ مليون نسمة (١٩٨٣) ، ومساحتها ٢٤٩ ألف كيلومتر مربع .

أما الحقيقة الثانية ، فانه على العكس من ذلك ، ومن بين الدول ذات الحجم القزمي ، لاتدخل دولة واحدة نادي اصحاب النفود .

وطبقا لبيانات البنك الدولي ، فان هناك ٣٥ دولة في العالم تتمتع بعضوية البنك ، كما تتمتع بعضوية الأمم المتحدة ، ويقل عدد سكان كل منها عن المليون نسمة ، وبالتالي فهي لاتظهر في الجداول الاحصائية التى تقدم المؤشرات الاساسية للنمو في العالم . . و . . بفحص هذه الدول نجد أن أكبرها بوتسوانا التي يقترب سكانها من المليون ، ومساحتها من (٦٠٠) ألف كيلومتر مربع . . أما أصغرها (مثل مالطا وبادوس ومالديف) فان مساحة كل منها يقل عن ألف كيلو متر مربع ، ويتراوح السكان بين ربع المليون وثلث مليون ، وكلها كما قلنا لاتملك عوامل نفوذ دولي .

. . عوامل أساسية

المساحة والسكان اذن من العوامل الاساسية . . لكن تراجع أهميتها النسبية وفقدانها للتأثير في بعض الحالات يجعلنا نقول : ان العبرة بتوظيف ما تملكه الدولة من أرض وموارد مادية وبشرية ، ان حسن استخدام ما هو متاح هو العنصر الحاسم . .

لذا ، وعندما وضع الاحصائيون عوامل للنفوذ الدولي ، اختاروا من بينها كما قلنا :ـ مدى امتلاك استراتيجية واضحة . . بالاضافة الى القوة العسكرية والقوة الاقتصادية ضمن العوامل الاساسية للنفوذ ، ومن هنا كان من الطبيعي أن نجد الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية في مقدمة ذوى النفوذ ، بما تملكانه من موارد تحولت بحسن التخطيط والادارة الى قوة عسكرية مؤثرة ، وقوة اقتصادية جبارة .

وقد يكون مفاجئا أن نجد البرازيل الثالثة من حيث امتلاك عوامل النفوذ الدولي ، بينما لاتتمتع في الواقع بمثل هذا النفوذ

وبقي ذلك أيضا : انه لا يكفي أن تمتلك الدولة عوامل النفوذ حتى تصبح ذات نفوذ . . فالامكانيات شيء ، وتوظيف هذه الامكانيات شيء آخر .

و . . قد يرد السؤال عن الوطن العربي أو الشرق الأوسط ، وتأتي الاجابة : هناك دولة واحدة تقترب من أعلى السلم في امتلاك عوامل النفوذ وهي : مصر التي تسجل ٤٦ نقطة ، ويأتي ترتيبها الرابعة عشرة . . بينما تسجل اسرائيل ٣٩ نقطة ، وتسجل بريطانيا على سبيل المثال ـ ٦٨ نقطة ، ومرة أخرى ، وحين ننتقل للوطن العربي تبرز القضية : كيف يتحول مالدينا من امكانيات الى قوة حقيقية ؟

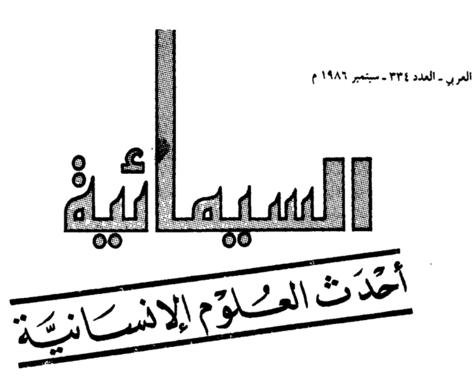
وقد يكون السؤال أكثر اثارة لو تصورنا الوطن العربي وقد أصبح دولة واحدة . . أو كتلة حقيقية واحدة ، توظف كل ما لديها من امكانات جغرافية ، وبشرية ، واقتصادية وعسكرية .

ألا تصبح احدى القوى العظمى ؟

انه الحلم ! □

■ صنع الله الريف ، وصنع الانسان المدينة (كوبر) .

العربي ـ العدد ٣٣٤ ـ سبتمبر ١٩٨٦ م



بقلم : كمال أبو ديب

استطاعت « السيمائية » وهي أحدث العلوم الانسانية ، أن تبلور غايات محددة ، وأن تجد مجالا ومناهج عمل خاصة بها خلال العقدين الماضيين ، فما هي السيمائية ؟ وما هي غاياتها ومجالات البحث فيها ؟ .

السيمائية « Semiotics » أحدث العلوم الانسانية ، فقد استطاعت أن تبلور غايات محددة لها ، ومجالا محددا لعملها ، ومناهج عمل خاصة بها ، خلال العقدين الماضيين .

وعلى حداثة هذا العلم ، فان النشاط السيمائي الذي يشكل مادته المعرفية هو أقدم النشاطات الفكرية الانسانية على الاطلاق : فهو النشاط الدال لدى الانسان ، والنشاط المكتشف للدلالات القائمة في الطبيعة ، أو ضمن الوجود الانساني ، أي أنه النشاط الذي يرافق ظهور الكائن الحي ويلازمه ، لايسبقه في تكونه الا النشاط البيولوجي الصرف ، أي فعل الحياة .

وفعل الدلالة والاستدلال (القراءة المفسّرة للرموز) ، اذن ، وفعل الحياة ، هما الفعلان الجوهريان المتميزان في تلازمهما للوجود الانساني ، وبمعنى من المعاني ، فان تعريف ارسطو عن الانسان بأنه حيوان ناطق يمكن أن ينقلب الآن ليصبح « الانسان حيوان سيمائي » ، أي أنه يخلق الدلالات ويقرأها مترجما الرموز التي تحملها ، وأنا حتى الآن أستخدم المصطلحات الأساسية « الدلالة » ، « القراءة » ، « الرموز » بطريقة فضفاضة شاملة ، لكنني سألجأ الى استخدامها في أبعادها الدقيقة بعد قليل ، ذلك أن طبيعة العلم الذي أتحدث عنه تتحدد أصلا بأنها عملية اكتناه وتمييز وتحديد للاشارات والرموز والعلامات والعلاقات المنتجة للدلالة في النشاط السيمائي بكل أشكاله وفي أبعاده الدقيقة .

أمران مهمان

لكن قبل أن أتابع التقصيّ ، لابد من الاشارة الى أمرين : الأول هو أن المصطلح الذي أستخدمه لترجمة « Semiotics » وهو « السيمائية » ، يبدو لي أفضل ما يوجد في العربية لتأدية هذا الغرض ، وذلك لسببين : الأول هو قربه من الكلمة الأوروبية في لفظه

وتركيبه ، والثاني هو اشتقاقه المباشر من كلمة « سيماء » العربية التي تعني العلامة ، أو الاشارة ، ولقد كنت ، في بداية كتابتي عن « السيميو طيقا » بالعربية أميل الى استخدام « السيميائية » ، لكنني بعد زمن من التأمل والتمحيص ، أميل الآن الى الاستقرار على « السيمائية » ، والأمر الثاني هو أن صيغة المفرد « السيمائية » ينبغي ، في تصوري ، أن تتطور في الاستعمال لتصبح « السيمائيات » ، مجسدة بهذا صيغة الجمع في المصطلح الأوروبي « tics » ومحققة انسجاما مع صيغ مشابهة كالصوتيات ، واللسانيات . والسعي الى ضبط المصطلح العلمي ومنحه درجة عالية من الانسجام في اللغة العربية ، وتطوير قدرات هذه اللغة على تمثل المعارف الحديثة ، أمر جوهري ، وشرط لازم لتحقيق التطور المعرفي ـ الحضاري الذي نطمح اليه الآن في الحياة العربيةالمعاصرة ، ولذلك أقترح تخصيص صيغة الجمع المؤنثة هذه للتعبير عن مثل هذه المفاهيم ، والعمليات العلمية ، والحقول المعرفية الجديدة ، ولا مسوِّغ ، من وجهة نظري ، لاستخدام « اللسانيات » في صيغة الجمع ترجمة لـ « Linguistics » ثم استخدام « الشعرية ترجمة لـ « Poetics » ثم استخدام « السيميائية » ترجمة لـ « Semiotics » و« الاسلوبية » ترجمة لـ « stylistics » ، فمثل هذا السلوك يقضي على فرص تحقيق الاطراد في الاستخدام اللغوي ، ويعمق حالة التشتت والتشرذم الحضارية والثقافية السائدة في العالم العربي الآن . وسعيا الى مقاومة هذا التشتت والتشرذم ، والى تطوير طاقات اللغة على التعبير ، والى تحقيق سلاسة عالية في صياغة المصطلح العلمي ، أود أن ألح على ضرورة المغامرة اللغوية ، والتمسك بدرجة عالية من الانتظام ، ويبدو لي أن شيوع مصطلح « اللسانيات » وانتشاره بهذه السرعة ظاهرة مشجعة جدا في هذا المسار ، فلقد غلب هذا المصطلح على « علم اللغة » و « الألسنية » وغيرهما من مصطلحات اقترحت الى جانبه خلال السنوات العشرين الأخيرة . واذا كنت أستخدم في هذه الدراسة مصطلح « السيمائية » ، وأدعو ، في الوقت نفسه ، الى استخدام « السيمائيات » فان لذلك سببا وجيها يتعلق باستخدام مصطلحين في اللغات الأوروبية نفسها ـ حيث نشأ هذا العلم ـ أحدهما « Semiotics » والآخر « semiology » وذلك مما سينجلي في الفقرة التالية .

يمكن أن ينسب ابتكار هذا العلم الجديد ، دون تردد ، وفي حدود المعرفة التي نملكها الآن عن تطور الدراسات الأوروبية خلال هذا القرن ، الى اللغوي السويسري فرديناي دوسوسير الذي يعتبره كثير من الباحثين مؤسس اللسانيات الحديثة « linguistics » وليس غرضي الآن مناقشة دور سوسير في تأسيس اللسانيات ، بل الاشارة الى تلك الفقرات من عمله التي يرى فيها الباحثون أول تحديد جلي لمجال معرفي جديد هو « السيمائية » . وأبرزهذه الفقرات المقطع التالي من كتابه التأسيسي المشهور « منهاج في اللسانيات العامة » .

« ان اللغة نظام من العلامات يعبر عن أفكار ، ولذلك فانه قابل للمقارنة مع نظام الكتابة ، وأبجدية الصم ـ البكم ، والطقوس الرمزية ، وأشكال آداب اللياقة ، والاشارات العسكرية . . الخ . ولا تعدو اللغة أن تكون النظام الأكثر أهمية بين هذه الأنظمة » .

وبوسعنا ، لذلك ، أن نتصور علما يقوم بدراسة حياة العلامات ضمن المجتمع ، ونسمي « السيمائية » « Semiology » من الكلمة اليونانية « semion » (علامة) . وسيعلمنا (هذا العلم) ما تتألف منه العلامات والقوانين التي تحكمها ، ولأن هذا العلم غير موجود بعد ، فليس بوسعنا أن نقول ما سيكون ، بيد أنه يملك الحق في الوجود ، وان مكانته لمضمونة سلفا ، واللسانيات ليست الا جزءا من هذا العلم ، وستكون القوانين التي تكتشفها السيمائية ذات انطباق على اللسانيات التي ستجد نفسها ، بذلك ، ملتصقة بمجال من الظواهر الانسانية محدد تحديدا جيدا .

علم جديد

هنا يدعو سوسير الى تأسيس علم جديد يختص بدراسة « حياة العلامات ضمن المجتمع » . وهنا أيضا يعتبر اللغة أهم نظام سيمائي في الوجود ، ويعتبر اللسانيات علما فرعيا منضويا تحت العلم العام الشامل ، علم العلامات ولذلك يمكن ترجمة -semi

ology بـ « علم العلامات » أو « العلاماتية » ، بيد أن خصائص اللفظة الصوتية ، والاشتقاقية ، والاستعمالية تجعلها ، في تقديري ، أقل طواعية وملاءمة من لفظتي « السيمائية » و « السيمائيات » .

وفي أماكن أخرى يشير سوسير الى بعض النتائج الاولية المهمة التي يعتقد أن تأسيس مثل هذا العلم سيولدها في مجال دراسة اللغة ، من جهة ، ودراسة تجليات النشاط السيمائي الأخرى ، من جهة ثانية .

« ان جوانب من اللغة تبدو لأول وهلة على قدر عظيم من الأهمية (كاستخدام الآليات الصوتية) ستبدو اعتبارات ثانوية الأهمية اذا كانت لا تؤدي غرضا سوى تمييز اللغة عن الأنظمة السيمائية الأخرى ، ومثل هذا الاجراء لن يجلو المشكلات المتعلقة باللسانيات فقط ، بل ان الطقوس ، والعادات ، الخ . . ستظهر ، كما نعتقد ، في ضوء جديد اذا درست كعلامات ، وسيدرك المرء أنها ينبغي أن تدرك في مجال السيمائية ، وتوضح تبعا لقوانينها » .

تنطلق السيمائية ، اذن ، من افتراض دقيق : هو أنه ما دامت العلامات ، أية علامات ، تعني ، أي تؤدي معنى ما ، مُشَكِّلةً نظاما متميزا ، فلا بد أن ثمة آلية لأداء المعنى (ما سأسميه منذ الآن ، « آلية العَنْي » ، مشتقا مصدرا من الفعل « عني : يعني » للحاجة الماسة اليه) . ولا بد ، بشكل دقيق ، من أن تستند هذه الآلية الى مجموعة من الأعراف والقوانين ، ومن هنا تحدد وظيفة الدراسة المتأنية العلمية الدقيقة ، بأنها السعي الى تمييز هذه القوانين ، والافصاح عنها وعن آلية العَنْيْ التي تؤدي اليها .

واذا اتخذنا من اشارات المرور مثلا لجلاء ما يقال هنا ، فان أول ما نلاحظه هو أن هذه الاشارات اعتباطية ، بمعنى أنه ليس ثمة من علاقة طبيعية أو حتمية بين ضرورة التوقف عن المسير وبين اللون الأحمر ، فرؤية لون أحمر في مقصف الجامعة ، مثلا ، أو في فستان ترتديه طالبة جميلة ، لا تعني ضرورة التوقف ، (واذا حدث ذلك فسيكون التوقف لأسباب أخرى ، جمالية صرف) . وليس ثمة من علاقة طبيعية بين اللون الأخضر والسماح بالحركة ، وينطبق ذلك على اللون البرتقالي ، لكن الاصطلاح التنظيمي الصرف « بين واضعي أنظمة المرور في العالم) أعطى لكل من هذه الألوان ، من حيث هو علامة ، دلالة محددة ، ثم إننا نلاحظ أيضا أن هذه الاشارات تعنيْ بسبب تمايزها وتشكيلها لنظام كلي (هو نظام اشارات المرور) ووجودها في هذا النظام ، وهي تكتسب معناها من شبكة العلاقات التي تنشأ بينها ضمن هذا النظام : أي من الموقع المكاني لكل منها بالقياس الى الأخريين ، ومن الفواصل الزمنية التي تفصل بين اشتعالاتها وانطفاءاتها ، ومن الترتيب الذي تتم به عملية الاشتعال والانطفاء . (فلو اشتعلت وانطفأت في وقت واحد لما عَنَتْ) ثم اننا بعد ذلك نلاحظ شيئا آخر على قدر كبير من الأهمية ، هو أن شرطا ضروريا يجب أن يتوفر من أجل أن يكون هذا النظام قادرا على العَنْي : هو أن يكون مفهوما مسبقا من قبل المجتمع الحركي (الأفراد الذين يستخدمون هذا النظام) ، والنكات الكثيرة التي تروى حول القرويين ، أو السذج الذين يفدون الى المدينة ، دون أن تكون لديهم معرفة مسبقة بدلالة العلامات ضمن النظام ، وبالمعنى الكلي له ، وما يقعون فيه من متاعب نتيجة الجهل ، هي تعبير عضوي عن لزوم توفر هذا الشرط من أجل أن يكون النظام قادرا على العني ، وهذه نقطة بالغة الأهمية في سياق آخر من هذه المناقشة ، ولذلك سأعود اليها فيما بعد .

ويساعدنا المثل الذي ضربناه على ادراك حقيقة أساسية : ما دام ثمة نظام من العلامات ، فلا بد أن يكون ثمة **أعراف وقواعد تحكم آلية عمل النظام** ، ولا بد أن يكون ثمة معنى ، وهذه الحقيقة هي الشرط المحدد لمجال السيمائية ولطبيعة العمل فيه ، وللمناهج التي لابد أن تتوفر له من أجل أن يتبلور ويكتمل .

واذا انتقلنا من نظام اشارات المرور الى أنظمة سيمائية أخرى ، ودرسنا خصائصها جميعا دراسة مقارنة ، فاننا سنصل بالضرورة الى النتيجة التي قررها سوسير في المقطع الأول المقتبس أعلاه : وهي أن اللغة هي الأهم بين الأنظمة السيمائية في الوجود . فبالمقارنة مع اللغة تبدو جميع الأنظمة الأخرى ، مهما ارتفعت درجة تعقيدها وثرائها عن النموذج الأبسط ـ نظام اشارات المرور ـ بسيطة وفقيرة نسبيا ، ان الطقوس في الحياة الاجتماعية تشكل نظاما

سيمائيا متميزا على درجة عالية من التعقيد ، وكذلك الازياء ، والأطعمة ، والأساطير ، بيد أن كلا من هذه الأنظمة على انفراد أقل تعقيدا وثراء وأهمية ـ على مستوى النشاط الانساني الهادف الى تكوين الحضارة والثقافة والحياة الاجتماعية ـ من اللغة من حيث هي نظام سيمائي .

نموذج الأنظمة السيمائية

وبما أن اللغة هي النظام السيمائي الأكثر أهمية والأبعد غورا وتعقيدا ، فانها تصلح أنموذجا للأنظمة السيمائية كلها ، أو قاعدة لدراسة جميع أوجه النشاط السيمائي التي يمارسها الانسان ـ من حيث هو عضو في بنية اجتماعية ، ومن هنا ، فان الخصائص التي يمتلكها النظام السيمائي اللغوي ستكون قادرة على اضاءة الخصائص التي تتوفر في الأنظمة السيمائية الأخرى ، بابرازها من خفاء أحيانا ، وتحديدها بطريقة دون أخرى أحيانا ، وتأكيد درجة أهميتها أو هامشيتها أحيانا أخرى . وينبغي أن يكون جليا أن هذا الكلام لايعني ، ولا يراد له أن يعني ، أن الخصائص التي يمتلكها النظام اللغوي هي الخصائص التي تملكها الأنظمة السيمائية الأخرى ، فكل نظام يشتق خصائصه من طبيعة العلامات المستخدمة فيه ، ومن نمط العلاقات التي تنشأ بينها ، ومن الوظيفة التي يسعى الى تحقيقها ، والدور الذي يمارسه في الحياة الاجتماعية .

بيد أن ثمة خصيصة أساسية تبدو مشتركة بين جميع الأنظمة السيمائية المجتمعية (تمييزا لها عن الأنظمة التي تقرها فئات فنية صغيرة) والتي تتجاوز النمط البسيط المتمثل في نظام اشارات المرور : هي أن آلية العَنى في هذه الأنظمة ، والأعراف والقوانين التي تحكمها تكون ، بشكل طاغ ، لا واعية ، أو تفعل على مستوى اللاوعي في الذات الانسانية ، حتى حين تكون بعض مقوماتها بارزة ومدركة بشكل واع . ان قواعد الأداء اللغوي ، التي تتشكل على صعيد البنية العميقة للغة ، مثلا والتي يستدخلها الفرد في نموه من الطفولة الى المراهقة ، هي قواعد لاواعية ، ولذلك فان المتحدث بلغة ما قادر على انتاج جمل لغوية سليمة نحويا ، وقادر على محاكمة الجمل التي ينتجها الآخرون من حيث سلامتها أو عدم سلامتها ، لكنه لا يكون واعيا بصورة عفوية لقواعد الأداء التي تحكم الجمل التي ينتجها أو التي يتلقاها من الآخرين ، وإدراك هذه القواعد والافصاح عنها بشكل واع لا يأتيان عادة الا نتيجة للدراسة التدريجية والمتخصصة غالبا ، ولقد استند أحد أبرز علماء اللسانيات المعاصرين (تشولسكي) الى هذه المقولة في تأسيس النظام المعروف بالنحو التوليدي ثم التحويلي الذي أصبح ركنا أساسيا من أركان البحث اللساني المعاصر في العالم .

لعل أهم المرتكزات النظرية للسيمائية أن تكون تلك الخصائص التي سمحت لسوسير بأن يعتبر اللغة « النظام السيمائي الأنموذجي » ، أعني ، أولا ، الطبيعة الاعتباطية للعلامة اللغوية ، فهذه الطبيعة الاعتباطية جلية في حالة اللغة جلاء تاما ، (رغم أننا قد نختلف مع سوسير حول درجة الاعتباطية في العلامة اللغوية ، من جهة ، وحول شمولية المبدأ لكل ألفاظ اللغة ، من جهة أخرى) وهي الخصيصة التي تسمح لنا بتطوير المنهج الكفء لدراسة الأنظمة السيمائية ، ولو اتخذنا من نظام سيمائي آخر أنموذجا للتحليل والتطوير المنهجي ، لبدت الأمور أقل حسما وجلاء ، ففي أنظمة كثيرة تبدو العلامات المكونة للنظام ، لا لأول وهلة فقط ، بل حتى بعد قدر معقول من التأمل ، كأنها غير اعتباطية ، أي كأن ثمة علاقة طبيعية أو حتمية فيها بين تكوين العلامة المادي ودلالتها ، ويحدث هذا في شروط تاريخية كثيرة ، يطغى فيها على وعي الممارسين للنظام السيمائي اعتقاد أنه طبيعي ، لا اعتباطي عرفي اصطلاحي . ان الطقوس ، مثلا ، تبدو لممارسيها طبيعية أو حتمية ، كما تبدو العلامات المكونة لها طبيعية أيضا ، فالتحليل والتحريم المتعلقان ببعض الاطعمة في بعض الديانات لهما أصل الهي ، ولذلك فان دلالتهما تبدو حتمية طبيعية ، وممارسة أشكال أداء معينة في الصلاة ، مثلا ، هي في جميع الأديان علامات ذات دلالات طبيعية حتمية ، ومن الصعب جدا ابراز طبيعتها الاعتباطية ، من جهة ، كما أن من الصعب اقناع الممارسين لها بهذه الطبيعة الاعتباطية ، من جهة أخرى ، ويصدق ما يقال هنا على الأخلاق والآداب في أبعادها السيمائية ، ذلك أن كون سلوك ما مهذبا

أو بذيئا ، خيرا أو شرا ، هو في معظم الحالات والبيئات خصيصة طبيعية في هذا السلوك ، بمعنى أن ثمة علاقة داخلية تماما ، بالنسبة للجماعة ، بين هذا السلوك وبين كونه شرا أو بذيئا أو مهذبا أو خيرا . وقد يكون من الصعب جدا اظهار كون السلوك المعين ذا دلالة على الشر أو البذاءة أو الخير أو التهذيب لا طبيعيا ، بل بحكم مجموعة قواعد الأداء والتنظيم ، وآلية الدلالة التي تحكم موقعه في نظام أخلاقي سيمائي كامل ، أي كونه ، في الحقيقة ، اصطلاحا خاضعا لأعراف معينة وتقاليد معينة ، ورغم أن هذا الحكم ليس مطلقا ، بمعنى أن من السهل تصور أحداث معينة لا تكون دلالتها اعتباطية تماما ، فان القاعدة تبقى سليمة ، وسلامتها شرط أساسي من شروط تشكل النظام السيمائي ، وتطوير المنهج الملائم لدراسة الأنظمة السيمائية جميعا .

الاعجاز والبيان

لقد دار جدال حاد في الثقافة العربية حول مفهوم الاعجاز القرآني ، ارتبط لزمن طويل بمقولات جاهزة حول قيمة العلامات اللغوية في ذاتها (بمعنى أن بعض العلماء اعتبروا الكلمات جميلة أو قبيحة في ذاتها) ،

ولقد استمر هذا الجدال في العصر العباسي ، مركزا الآن على شعر أبي تمام بشكل خاص ، ولقد شن الآمدي هجوما عنيفا على أبي تمام ، متهما اياه بفساد الذوق ، لاستخدامه كلمات معينة ، مثل « الأخدع » و « الشيء » ، ولم يتطور فهم عميق ينقل كلا من دراسة الاعجاز القرآني وشعر أبي تمام الى مستوى نقدي جديد ، الا حين جاء باحثون كالخطابي ، أولا ، ثم عبدالقاهر الجرجاني ، ممثلا ذروة الموجة ، لينكروا أن تكون ثمة قيمة للالفاظ المفردة في ذاتها ، ويصروا على أن الجمال والاعجاز والامتياز أشياء كامنة في شبكة العلاقات التي تنشأ بين مكونات التعبير القرآني أو التعبير الأدبي عامة ، وان الألفاظ المفردة لا قيمة لها في ذاتها ، ولا يمكن أن يحكم عليها بالجمال أو بالقبح ، ولا ينشأ بينها تفاضل من حيث هي مفرداته ، وكان عمل الجرجاني ليمثل [illegible] تاريخية خالصة في هذا السياق ، فعمله [illegible] في [illegible] في مرحلته التاريخية ،

بل في القرن الذي نعيش فيه .

يجدر بنا أن نقرر هنا حقيقة أخرى مهمة تتعلق بدور الباحثين العرب في تأسيس علوم اللغة على أسس نظرية سليمة . هذه الحقيقة هي أن السيمائية ، التي قلت في الفقرة الأولى من هذه الدراسة ، إنها يمكن أن تنسب الى سوسير دونما تردد كبير ، هي في الواقع ، على مستوى تحديدها وابراز بعض أشكالها الأساسية ، علم بَلْوَرَهُ الجاحظ لأول مرة في التاريخ اللغوي مستفيدا ، فيما يحتمل ، من مقولات أرسطية ، فلقد قال الجاحظ في (البيان والتبين) في مقطع له عظيم الأهمية يحدد فيه « البيان » ما يلي :

« . . والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله عز وجل يمدحه ، ويدعو اليه ويحث عليه . .

والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ، وهَتَكَ الحجاب دون الضمير ، حتى يفضي السامع الى حقيقته ، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ، ومن أي جنس كان الدليل ، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري اليها القائل والسامع ، انما هو الفهم والافهام ، فبأي شيء بلغت الافهام وأوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان في ذلك الموضع ، وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد : أولها اللفظ ، ثم الاشارة ، ثم العقد ، ثم الخط ، ثم الحال التي تسمى نصبة . . والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف . . ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبتها ، وحلية مخالفة لحلية أختها . . . . »

ومن الجلي فورا ، ودون أية امكانية للتشكيك أو التردد ، أن ما يسميه الجاحظ هنا « البيان » هو هو العلم الذي سماه سوسير « semiology » والفرق بينهما فرق منظوري تصوري : ففيما ركز الجاحظ على غاية العلم ، وهي الابانة والتعبير والافصاح ، فقد ركز سوسير على مكونه الآلي ، وهو العلامة ، لذلك أسماه الاول « البيان » ، وأسماه الثاني « العلاماتية » أو ما ترجمته « السيمائية » ، ثم ان الفرق بين الباحثين والتسميتين هو فرق بين ثقافتين لا بين عالمين فقط :

ثقافة تركز على المعنى ، وثقافة تركز على المكون الشكلي وآليات التشكيل . □

قضية

مفاهيم تربوية خاطئة

بقلم : يوسف ميخائيل أسعد

من الأخطاء التي شاعت في مجتمعنا العربي ، الاعتقاد بأن من حصل على مؤهل دراسي مرموق في أي مجال معرفي أو تقني ، يكون بالتالي قد حاز المعرفة ، والقدرة على الاضطلاع بالمهام التربوية على خير وجه ، فالطبيب والمهندس والجيولوجي جديرون بأن يكونوا آباء صالحين لتربية أبنائهم ، وعلى نفس النحو فان الطبيبة والمهندسة والجيولوجية جديرات بأن يكن أمهات صالحات لتربية أبنائهن .

والخطأ البيّن في هذا المفهوم يكمن فيما يسمى بالتعميم ، فنحن نميل بطبيعة تكويننا النفسي الى التعميم على الكل في ضوء ما يتصف به الجزء ، فما دام الشخص قد تمكن في فنون الطب أو الهندسة أو الجيولوجيا أو أي مجال علمي أو تقني آخر ، فاننا نقرر إذن ونحن مطمئنون الى أنه قد تمكن من كل شيء ، والى أنه بالبديهية يكون والدا حصيفا في شؤون التربية ، والواقع أن الشخصية يمكن أن تنجح وأن تتعمق في قطاع ما من قطاعات الحياة ، بينما تكون متخلفة وسطحية ، بل ضامرة في بعض تلك القطاعات .

أما الخطأ التربوي الثاني فإنه يكمن في الاعتقاد السائد في أن قطاعي العاطفة والارادة من شخصية المربي يخضعان لما يحوزه من معرفة ، وبتعبير آخر فان ما يقتنع به المربي من أفكار ومفاهيم ، لا بد أن يتحكم فيما يحمله المربي - والدا كان أو معلما - من عواطف ، وفيما ينحو اليه من تصرفات ، أو فيما يصدر عنه من سلوك ، والواقع أن الكثير مما نقتنع به لا يجد له رصيدا في وجداننا ، ولا يجد له صدى فيما ننزع إليه ، أو فيما نصدره من قرارات ، وفيما نضطلع به من مهام . ولقد أماط فرويد وغيره اللثام عن أن حياتنا السلوكية محكومة بعوامل لا شعورية معتملة فينا ، وأن خبرات الطفولة ومراحل العمر التالية التي مررنا بها تظل نشيطة في أغوارنا ، حتى وان خبت وتلونت كما تتلون الحرباء ، وحتى وان تمنطقت ووجدت لها ما يبررها ، ويصبغها بصبغات عقلانية تخفي حقيقتها الخبرية اللاشعورية ، أضف الى هذا ما ذهب اليه كارل يونج من أن خبرات أسلافنا البعيدين جدا والقريبين نسبيا ، تنزل الينا وراثيا فيما أسماه « باللاشعور الجمعي » .

ومعنى هذا في الواقع أن لتنقية خبرات المربي التي حصل عليها منذ طفولته الباكرة من جهة ، والضرب على أوتار صحته النفسية من جهة أخرى ، الأولوية على شحن ذاكرته بالمعلومات التربوية ، وبحقائق علم النفس ، ولسنا نقول هنا بعدم أهمية تلك المعلومات وهذه الحقائق ، بل نؤكد أهمية مستوى الصحة الوجدانية للمربي واعطائها الأولوية .

أما الخطأ التربوي الثالث فانه يتمثل في جعل الطفل أو المراهق أو الشاب بمثابة شريط تسجيل أو فيلم يلتقط الصور ، وبتعبير آخر جعل الطفل

مستقبلا بينما يكون المربي مُرسلا ، ولا يخفى على أحد أن الوالدين والمعلمين يكلفون أشد الكلف بالذاكرة ، وقد أهملوا الى حد بعيد الادراك والتخيل والتصور والتفكير الذي يضطلع بحل المشكلات ، ناهيك عن أن المربين قد أغفلوا تربية التذوق والمشاعر الوجدانية والابداع لدى ناشئتهم ، فالدروس تستذكر لكي تسترجع ، ولكي تُسرد كما وردت الى الذهن بنصها ، وحتى بالترتيب الذي تم استقبالها به . والأحرى بالمربين أن يؤمنوا بمبدأ التفاعل الخبرى الذي يجعل العناصر الخبرية التي يتلقاها المرء أشبه ما تكون بالعناصر الغذائية التي تستقبلها المعدة لتهضمها ، لا لكي تحفظها كما وردت اليها ، فالهضم الخبرى يجب أن يكون الهدف التربوي الذي لا محيص عنه بأي حال .

أما الخطأ التربوى الرابع فانه يتمثل في عدم التمييز بين رغبات الطفل أو المراهق وبين حاجاته ، والواقع أن الرغبة قد تتطابق مع الحاجة ، كرغبة العطشان في شرب الماء ، وحاجة جسمه في نفس الوقت الى استيعابه ، ولكن قد تتضارب الرغبة مع الحاجة ، فالمريض بالكولسترول قد يرغب في تناول المواد الدسمة ، بينما تكون حاجته الصحية متمثلة في العزوف عن تناول تلك المواد التي تهدد حياته ، وقد تتمثل حاجة المرء في تحمله لبعض الآلام ، كما هو الحال في بعض العمليات الجراحية المؤلمة ، وواضح أن المرء لا يرغب في تحمل الألم .

وبالنسبة للتربية فإننا نجد أن بعض رغبات الطفل أو المراهق تكون متمشية مع حاجاته التربوية ، كما هو الحال بصدد الرغبة في الجرى والقفز بالنسبة للطفل العادى ، ولكن قد ينبو الطفل عن اتباع النظام أو عن القواعد الصحية والنظافة ، مع أن حاجته كانسان متحضر تحتم ذلك ، فطبيعي اذن أن يرجح المربي حاجات الطفل على رغباته ، وعلى نفس النحو قد تكون رغبة الطفل في أن يظل نائما بالسرير الدافيء وقد أزف موعد المدرسة ، ولكن حاجته التربوية تحتم حمله على ترك سريره والاستيقاظ بحيث يصل الى مدرسته في الموعد المحدد ، وهكذا نستطيع القول إن عدم التمييز بين الرغبات والحاجات ، أو اعتبار رغبات التلميذ هاديا وحيدا في معاملة الطفل أو المراهق من الأخطاء التربوية الخطيرة .

وأخيرا وليس آخرا هناك خطأ خامس يتمثل في اعتبار مجموعة التلاميذ بالفصل الواحد بمثابة عقلية واحدة ، ثم معاملتهم تعليميا في ضوء ما نسميه بالمفهوم الأحادى ، والواقع أن تلاميذ الفصل الواحد ليسوا في مستوى واحد في أي مادة من المواد الدراسية المقررة ، كما أن مواهب كل منهم تتباين تباينا بعيد المدى عن مواهب الآخرين ، ولقد دأب المدرسون بكل أسف على إعداد درس واحد وكمية واحدة من الخبرات للحصة الواحدة لجميع تلاميذ الفصل ، ولقد توصل الحصيفون من المدرسين الى حل لا نوافق عليه في تدريس وتقييم التلاميذ ، يتمثل في مخاطبة واختبار وقياس مستوى متوسط الفصل ، والواقع أن هذه الفلسفة الأحادية لا تستطيع إبراز المواهب وتشجيعها واستثمارها ، بل على العكس فانها تئد المواهب الفذة ، ولا تجلى عن العبقريات الموجودة بين صفوف الأطفال والمراهقين ، بل هي تؤدى الى تنشئة أمة وسيطة ، لا تبارى الأمم المتفوقة في مجالات الحياة المتباينة .

والمبدأ الذي ترتكز عليه الفلسفة التربوية الفارقية يقول « أعط الضعيف ما يستطيع أن يتفاعل معه ، وأعط المتوسط ما يناسبه ، وقدم أمام المتفوق من التلاميذ ما لا يستطيع الانتهاء منه ، بل قدم له ما يتحدى ذكاءه وقدرته وسرعته كيفا وكما » . □

يناجيني وأناجيه

يقول ابن أبي الحديد المعتزلي : ان عالما فاضلا زاهدا كان يضيق بمجالسة الناس ، فلا يرى إلا معتزلا ، ناظرا في كتاب ، أوقارئا في مصحف ، فقال له قائل : ياهذا ما أصبرك على الوحدة . قال : كلا . . انى أجالس ربي ، فان شئت أن يناجيني قرأت القرآن ، وان شئت أن أناجيه دخلت في الصلاة .

تعقيبات

حول : مشروع المعجم العربي العصري

بقلم : الدكتور علي خليفة الكواري

أصاب المفكر العربي الاستاذ الدكتور اسماعيل صبري عبدالله عندما دعا الى اعداد قاموس عصرى عربي (العربي - العدد ٣٢٩ - أبريل ١٩٨٦ م) للحفاظ على اللغة العربية وتيسير تجددها ومتابعتها للتطور ، وكانت حجته راجحة عندما أكد أن أول ما يجمع بين العرب هو وحدة اللغة .

ان هوية الأمة العربية ترتكز أساسا على وحدة الثقافة أكثر من ارتكازها على وحدة السلالة ، انها أمة انصهرت في بوتقة ثقافتها العربية - الاسلامية ، شعوب وسلالات تكونت بهم أمة انسانية غير مسبوقة في التاريخ ، واللغة العربية هي وسيلة ذلك الانصهار الثقافي وأداته الفعالة .

ان الدكتور اسماعيل على حق فيما أشار اليه من افتقار لغتنا العربية الى قاموس عصري يحفظ لغتنا من تشتت ألفاظها وتباعد مدلولاتها ، ويفتح المجال الى تيسير تجددها ومتابعتها للتطور ، في عصر تسارعت فيه ايقاعات الحياة ، وتزايدت فيه الاكتشافات العلمية والتطبيقات التقنية ، وفي وقت ارتبط فيه أغلب الكتاب العرب بمدارس خارج الوطن يستقون ثقافتهم من لغات غير لغاتنا ، ويجتهدون في تعريب ما عرفوا في غياب مرجع لغوي يسترشدون به فيما يترجمون وفيما يكتبون باللغة العربية .

وقد خلص الدكتور اسماعيل الى أن اعداد معجم عصري ، أمر تنوء به « العصبة من الرجال ولو كانوا من أولى العزم . . . » ثم أضاف قائلا « وهكذا تقودنا ضرورة المعجم العربي المعاصر الى بديهية أغفلناها تماما في كل « عملنا العربي المشترك » ألا وهي انشاء مجمع قومي واحد للغة الواحدة ، يكون المرجع الأخير في أمور اللغة ، والمسئول الأول عن اصدار المعجم . . . » .

ولنا على هذا الاقتراح ملاحظتان :

أولاهما : أن المعجم العصري المقترح يتطلب وجود مؤسسة أهلية عربية غير هادفة للربح .

وثانيتهما : أن رعاية هذه المؤسسة يجب أن تكون مهمة ذوي العزم من رجالات العرب المعنيين بالأمر ، بعيدا عن معوقات العمل الرسمي العربي المشترك .

١ - فمن جهة نجد أن « العمل العربي المشترك » لم يهمل هذا الأمر من حيث الشكل على الأقل ، فقد أفادني الدكتور عبدالعزيز الجلال - المدير العام المساعد السابق للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - أن الجامعة العربية أنشأت مكتبا لتنسيق التعريب منذ ما يزيد عن عشرين عاما ، وهذا المكتب موجود في الرباط ، ويتبع في الوقت الحاضر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ومهمته تعريب المصطلحات ، والتشاور على ما يعرب مع المجامع المختصة ، ومن ثم اعداد قوائم موحدة تعرض على

مجامع اللغة العربية ، ثم يتم طرحها في مؤتمر قومي للتعريب يعقد دوريا ، حيث يقر ما يمكن اقراره من مصطلحات ، وقد ذكر الدكتور الجلال أن من مهمات المكتب تولى انتاج مراجع لغوية مثل المعجم الذي دعا اليه الدكتور اسماعيل .

وقد أشار الدكتور الجلال في رسالته الى أن مشكلة المكتب هي مشكلة العمل العربي المشترك كله ، أفكار جيدة ، ووسائل مناسبة ، وأهداف راقية ، ولكن تعانى من سوء التنفيذ ، وأن نفذت جيدا تعانى من قلة الاستفادة .

ومن هنا فانني أرى أن إنشاء مجمع قومي واحد للغة العربية من قبل مجامع اللغة العربية لن يحل المشكلة ، وسوف تعوقه محددات العمل العربي الرسمي المشترك عن أداء مهمته ، وأقترح بدلا عن ذلك أن تؤسس هيئة أهلية غير هادفة للربح ، تكون مهمتها اصدار المعجم في طبعاته الثلاث الكامل والوسيط والموجز ، ولا بأس أن تقوم هذه الهيئة بعد أن تنجح في مهمة اصدار المعجم ، باصدار موسوعات عربية مثل دائرة المعارف العربية وغيرها من الموسوعات الأخرى اللازمة من أجل خلق اتصال حي بين قنوات المعرفة العربية وتعميقها ، وتمكين اللغة العربية من استئناف دورها ، في توثيق وحدة المعرفة العربية ، وتهيئة العرب الى أداء دورهم شركاء في الحضارة الانسانية .

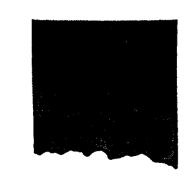
٢ ـ ومن ناحية أخرى فان رعاية المؤسسة الأهلية تحتاج الى جهود ذوى العزم من رجالات العرب ، ان ايجاد المعجم العربي العصري مهمة استراتيجية لها تأثير مباشر على وحدة أداة الثقافة العربية ، وما تؤدى اليه من تقارب فكري عربي ، واتصال حي بين قنوات المعرفة العربية ، ومثل هذه المهمة ـ في اعتقادي ـ فوق طاقة العمل العربي الرسمي المشترك في الوقت الحاضر ، واذا لم يتصد لها فريق من المهتمين فانها مهمة مؤجلة التنفيذ ، الى أن تعود الروح الى العمل العربي المشترك .

وأرى أنه حتى يتغير مسار العمل العربي الرسمي المشترك وتتوفر له الارادة السياسية التي تضمن مصداقيته ، فإن العمل العربي الأهلي المشترك هو المؤهل في الوقت الحاضر لتوفير العديد من مؤسسات العمل المشترك التي تحتاجها الأمة العربية ، باعتبار هذه المؤسسات أداة تشكيل عقل وضمير عربي حي قادر على بلورة منطلقات العمل العربي وترشيد مساراته وضمان فعالية جهوده ، فضلا عن توفيرها متطلبات التكامل الضروري بين جهود العمل الرسمي والشعبي .

نخلص مما سبق الى اقتراح تأسيس هيئة أهلية عربية غير هادفة للربح ، تكون مهمتها تيسير تجدد اللغة العربية ، وتهيئتها لمتابعة التطور ، تمكينا لها من أداء دورها في توحيد مدلولات لغة العرب وتهيئتهم ، مجتمعين الى مواصلة أداء دورهم في الحضارة الانسانية .

وانى أرى أن نقطة البداية في اخراج هذه الفكرة الى حيز الوجود تتطلب في المقام الأول أن يتم تبنى أمر رعايتها من قبل عدد من الاعلام العرب ٢٠ ـ ٤٠ شخصية عربية من ذوى الاهتمام ـ ممن يعترف لهم بالفضل ، ويتمتعون بالمصداقية لدى الرأى العام ، متطوعين بالوقت ، ومستعدين لمواجهة المصروفات الشخصية اللازمة ، لحضور اجتماعات تحضيرية ، من أجل بلورة الفكرة ، وارساء أسسها ، واخراجها الى حيز الوجود ، في شكل مؤسسى سليم ، بعد أن يتم ارساء أسس الفكرة يصبح أمر تمويلها ـ حسب اعتقادي ـ أمرا ممكنا ، طالما توفرت لها مقومات النجاح من حيث سلامة اطارها المؤسسى ، ومصداقية القائمين عليها .

ان اقتراحى هذا جاء استجابة للفكرة التي طرحها الأستاذ الدكتور اسماعيل صبري عبدالله للنقاش على صفحات مجلة « العربي » وهو اقتراح أومن أن مقومات تنفيذه متاحة لنا ، وقد لمست ذلك من خلال طرحى للموضوع مع عدد من القادرين على العطاء العلمي ، وعدد من القادرين على الدعم المالي ، من منطلق ايمانهم بأهمية العمل العربي غير المباشر ، من أجل تحقيق وحدة الأمة العربية ، ويبقى بعد ذلك أن نسمع من الراغبين في رعاية هذه الفكرة واخراجها الى حيز الوجود ، فبفضل عزيمة العصبة من الرجال ، تصبح مسألة اخراج فكرة المعجم العربي العصري الى حيز الوجود أمرا يسيراً باذن الله . □



الأيّام الأخيرة للسّلطان عبد الحميد

قرأت في العدد ٣٢٩من مجلة العربي مقالا بعنوان (الأيام الأخيرةللسلطان عبد الحميد) للدكتور محمد عيسى صالحية ، وقد رأيت أن أقول كلمة في هذا الموضوع .

ففي ضوء الأحداث التي جرت في عهد السلطان عبد الحميد ، والتي كنت معاصرا لها أقول:

ان الكتاب الذين يؤرخون للحوادث التي يعاصرونها ، يتأثرون بما يحملونه من مبادىء فلسفية أو سياسية وميول دينية أو اجتماعية .

لذلك ، نجد اختلاف مضمون المصنفات التاريخية باختلاف مؤرخيها .

وكتاب السيدة عائشة عن والدها السلطان عبد الحميد ، واحد من هذه المصنفات المتحيزة ، فالواضح أنها متأثرة فيه برابطة البنوة ، فجاء متضمنا الاشادة بما كان عليه والدها من تمسك بأهداب الدين ، واستقامة في الأخلاق ، واخلاص لوطنيته ووطنه ، وأغفلت ما كان عليه من بطش واستبداد .

فأما عن تقواه ، فقد أظهرته بمظهر المسلم الغيور على الاسلام والعرب ، لكونه خليفة المسلمين ، مع أن غالبية المؤرخين الاتراك العثمانيين أجمعوا على أنه كان يفضل البقاء في الحكم ، ولو على أشلاء الوطنيين الأحرار ، وأن كل ما كان يردده عن العدالة واطلاق الحريات وسيادة الدستور في أنحاء المملكة كان مجرد وعود لم تجد طريقها الى حيز التنفيذ .

وتذكر كتب التاريخ ـ والوقائع التي عاصرتها ـ معاملته السيئة لأخيه السلطان مراد الخامس ، بعد خلعه ، واتهامه مدحت باشا الملقب بأبي الدستور بقتل السلطان عبد العزيز ، وخلعه من الصدارة ، ثم نفيه بحجة أنهمن خلع عبد العزيز يمكنه خلع عبد الحميد .

أما الرعية ، فمن كان ينجو منها من الاغراق في البوسفور ، فانه لاينجو من الإبعاد الى بنغازي ، أو النقل الى وظيفة في بلد الموت فيه أهون من العيش .

أعود الى ما ذكرته السيدة عائشة في كتابها عن قول والدها أنه يسلم البلاد بمثل ما وجدها عليه ، وانه لم يفرط بشبر واحد من أراضيها لأحد ، مع أن الثابت تاريخيا أن ما سلخ في عهد حكمه بلغ ما مساحته / ١٦٦٠٠٠ كيلومتر ، يقطنها أربعة ملايين شخص ، عدا جزيرة قبرص التي انتقلت الى السيادة الانجليزية في عهده .

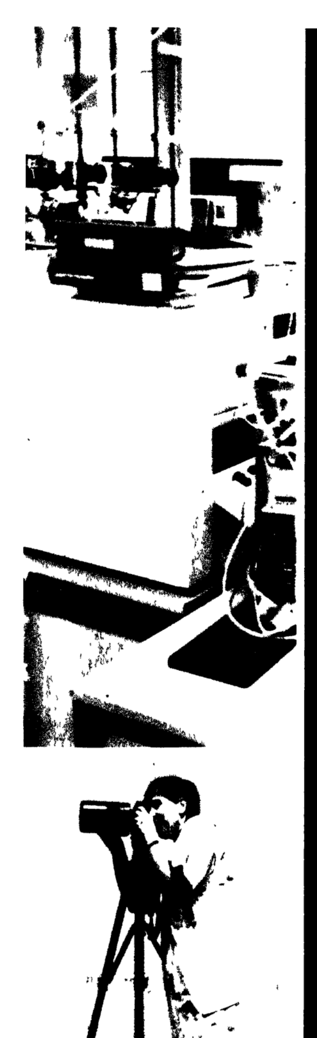
أما عن أفراد الوفد الذي أبلغ والدها السلطان عبد الحميد قرار عزله ، فتذكر أنه كان من بينهم المدعو (ايمانويل قراصو) ، وتقول بأنه يهودي أرمني ، وهذا غير صحيح ، لأنه ليس بين أفراد الأرمن من يدين باليهودية ، فضلا عن أن اسمه يؤكد ذلك .

وبصدد ما ذكرته عن حادث التفجير الذي وقع يوم ٢١ تموز / يوليو ١٩٠٥ وكون الذي قام به هو الأرمني (ادوار جوريه) ، هو أيضا قول بعيد عن الصحة ، لأن المذكور بلجيكي وان الكاتبة ذكرت بنفسها أن والدها السلطان عبد الحميد قد عفا عنه وأعاده الى بلاده بلجيكا .

تبقى علينا الاشارة الى ماذكرته بخصوص حماية عبد الحميد للعرب والعروبة ، وهو ادعاء غريب على العرب أنفسهم ، الذين كانوا ـ كسائر أبناء السلطنة ـ يشكون الجور والظلم والاستبداد ، مما دعا الكثيرين الى الهرب نحو أوروبا وخاصة فرنسا ، وكذلك الى مصر ، حيث لاتصل اليهم يد السلطان ، وراحوا من هناك ينددون بحكمه وسياسته ، أمثال عبد الرحمن الكواكبي ، وولي الدين يكن ، ويعقوب صروف ، وسواهم من أحرار العرب . . .

وهكذا نجد أن المؤلفة لم تهدف من وراء كتابها الى كشف الحقائق ، وانما هدفت الى التستر على أخطاء والدها .

ابراهيم كسبو



البحث العلمي.. من أجل غد أفضل

استطلاع : منير نصيف

تصوير : طالب الحسيني

بفضل العلوم تستطيع الدولة ... كل دولة الى تحقيق المزايا التي تمكن التوصل اليها عن طريق اكتساب المعرفة العلمية وتطبيقها ... والهدف مزيد من الرفاهية لشعوبها. والمكاسب التي تجنى من وراء العلم وتطبيقه، ليست مادية فحسب، بل هي قبل ذلك مكاسب ثقافية وروحية. فهي الجوهر الذي تتشكل معه صورة المستقبل

كلمات قرأتها لوليام جيمس الذي عاش في القرن التاسع عشر، وامتد به العمر الى مطلع القرن العشرين ... ولم يكن جيمس عالما، ولكنه كان فيلسوفا ... شهد بداية عصر العلم الذي جاء مبكرا في العالم الجديد ... في امريكا، حيث عاش وشهد ونشر العلم الهائل الذي احدثته الاكتشافات العلمية في حياة البشر



باحثة في ... النبا

... تجري قياس المذيبات

المعدنية ... في ...

...

المسجلة ...

... تجري

قياس الذوب المعقد في

النبا الحديثة ... إلى

النبا ...

قال هيروهيتو امبراطور اليابان يوصي ابنه « لا مستقبل لليابان يا بني الا في العلم .. ان معركة الحياة الحقيقية ، هي معركة علمية ، ومن أجل الفوز فيها لابد لنا من تجنيد كل طاقات اليابان ! » .

ووعى الابن الدرس ، ولم يكن وحده الذي نفذ وصية أبيه ، وانما شاركه جميع أبناء اليابان ، وتحققت المعجزة اليابانية فوق قاعدة العلم العريضة ، وصعدت بلادهم الى القمة . .

ماذا نريد أن نبرهن بهذه المقدمة ؟ وهل خفيت هذه الحقيقة عن أذهاننا ، ونحنُ نعيش فوق الأرض التي أنبتت فحول العلماء العرب ؟ .

من الذي صنع ماذا ؟

ان المشتغلين بالبحث العلمي مازالوا عاجزين حتى يومنا هذا عن الوصول الى بداية الطريق الذي سار فيه الأولون ، أو الكشف عن منافذ هذا الطريق وفروعه ، ولعل الشيء الوحيد الثابت الذي توصلوا اليه ، هو كما قال وليام هارفي يوما : « من الذي صنع ماذا ؟ » .

وقد دخل كل هؤلاء التاريخ . . . وكان هارفي واحداً منهم ، فهو الذي اكتشف الدورة الدموية الكبرى ، بعد أن التقط الخيط الذي أمسك بطرفه الأول ابن النفيس العالم العربي ، قبل مجيء هارفي ، بقرون طويلة ، عندما أعلن اكتشافه للدورة الدموية الصغرى . .

وغير ابن النفيس كثيرون ، جاءوا بعده ومن قبله ، وساروا في الطريق ، وعندما بلغوا نهايته ، كانوا قد تركوا بصماتهم واضحة راسخة ، ما تزال تعيش بيننا حتى اليوم . . الرازي ، وابن الهيثم ، وابن سينا ، وابن خلدون ، والخوارزمي وغيرهم . . هذه الحقيقة قد توصلنا الى فهم أوسع لما حدث في تلك الحقبة من الزمن ، منذ أن بدأ العلماء العرب يشتغلون بالبحث العلمي وتطبيقه ، فمازال الكثيرون يعتقدون ان هذه البحوث كانت حكراً على الغرب ابان الثورة الصناعية في أوروبا . . وهو اعتقاد يجافي الواقع ، فقد اهتم العرب بالبحث العلمي ، بينما كانت أوروبا تعيش عصر الظلمات . .

حاملو الشعلة :

لقد سطعت شمس الحضارة العربية قبل الاسلام في عهد الفينيقيين الذين اخترعوا البوصلة ، ثم جاء الاسلام ، وسيطر العرب المسلمون على معارف الشرق والغرب . . وراحوا يحملون شعلة العلوم ، وينهلون من المعرفة ، ويطبقون العلم على العمل ، ولم يجيء هذا كله من فراغ أو عن طريق الصدفة ، وانما جاء حصيلة تعاليم الاسلام ومبادئه ، ولعلنا نجد في سورة الأنعام بعضا منها : « قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون » .

لقد انتشر الاسلام منذ قرونه الأولى في الهند والأندلس ، وتركزت الخلافة ونشاطات البحث العلمي في بغداد وقرطبة . .

واذا كان صحيحا أن المخطوطات الاغريقية القديمة قد حملت بين ثناياها الذخائر الفكرية لرواد العلم الأوائل في الفلك والرياضة والطب والكيمياء ، الا أن نقل هذه الأفكار الى اوروبا تم في أغلبه على يد العلماء والمترجمين المسلمين ، فالترجمات اللاتينية للمخطوطات الاغريقية القديمة كانت في الأصل مبنية على ترجمات عربية لتلك المخطوطات ، ومع ذلك كله فلم تقتصر الخدمة التي قدمها العلماء العرب الى البشرية ، على مجرد نقل ذخائر الحضارة العلمية الاغريقية ، وانما على تطويرها والاضافة اليها . . لقد كانوا هم الذين حملوا شعلة العلم في أكثر حقبات التاريخ تعطشا الى المعرفة . .

والكثير من الخلفاء المسلمين ناصر العلم والعلماء ، ولعلنا نجد في « بيت الحكمة » الذي أسسه الخليفة المأمون ، دليلا على مدى الاهتمام الذي كان يوليه العرب لكل ما يمت الى العلم بصلة ، فقد كان مكتبةً جامعةً ومجمعاً علمياً متكاملاً ، واهتم العرب بالتجارب العلمية الى حد أن جعلوا لها مكانة عظيمة في نهج البحث العلمي ، وتطورت المعارف العربية في علم الكيمياء بالطرق التجريبية العلمية ، وهي أهم

أدوات العلم الحديث ، وقد نقل روجر بيكون هذه الطريقة الى أوروبا ، بعد أن مارسها العربي الكيميائي جابر بن حيان بخمسمائة عام . .

. . ومقدمة ابن خلدون :

ولعلنا نجد في مقدمة ابن خلدون ما يغنينا عن البحث في مدى اهتمام العرب بالبحث العلمي . . لقد كتب العلامة المفكر الذي عاش في القرن الثامن الهجري في الطب والتطبيب يقول : « تنظر في بدن الانسان من حيث يمرض ويصح ، فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية ، بعد ان تبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن ، وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها ، وما لكل مرض من الأدوية ، مستدلين على ذلك بأمزجية الأدوية وقواها ، وعلى المرض بالعلامات المؤذنة بنضجه وقبوله الدواء أولا في أنسجته والعضلات والنبض ، محاذين لذلك قوة الطبيعة ، فهي المدبرة في حالتي الصحة والمرض » .

ربما نكون قد أطلنا بعض الشيء في هذه المقدمة التي سقناها لتقودنا الى حيث نريد أن نلتقي بكم . . وأما مكان هذا اللقاء فهو معهد الكويت للبحث العلمي . ولكن لماذا الآن ؟.

لأن هناك أكثر من مناسبة نكتفي بذكر اثنتين منها ، الأولى للاستعدادات التي يقوم بها المعهد للاحتفال بذكرى مرور عشرين عاما على مولده ، والثانية ، انتقال المعهد الذي قام ومازال يقوم بدور أساسي في بناء الكويت الحديثة الناهضة الى مبناه الجديد . .

والبحوث ، ليست مبنى ، ولكنها انجاز . . .

انجازات المعهد :

ولعل أهم انجازات المعهد هي تنمية روح البحث العلمي بين المواطنين ، من الشبان المتعلمين الذين يحملون عبء تطوير الحياة في بلدهم ، وخلق كوادر جديدة من الباحثين الذين يلجون اليوم باب البحوث العلمية التي تبنى الأمم مستقبلها على نتائجها وانجازاتها . .

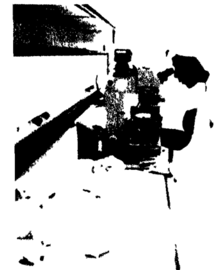
ولقد أنجز المعهد . . فهو لم يعد يتوقف عند بحث معين يبدأ العاملون فيه من حيث ينتهون ، وتدور الساعة وهم بعد في بحوثهم مشغولون ! . ولقد كانت انجازاته خلال تلك المسيرة القصيرة في هذا الاستثمار الطويل الأمد شيئا يستحق كل التشجيع .

ونترك هذا الجانب من الحديث عن انجازات المعهد للرجل القائم عليه الدكتور عدنان شهاب الدين . . يقول مدير معهد البحوث : « لقد أنجزنا على امتداد سنى عمر المعهد ، حوالي ثلاثمائة مشروع بحثي ، أكثر من نصفها بحوث تعاقدية ، قامت بتمويلها ثلاث وخمسون هيئة حكومية ومؤسسة في القطاعين العام والخاص . . بعضها هنا داخل حدود الكويت ، والبعض الآخر خارج الكويت . ومعنى هذا أن أكثر من نصف جهد المعهد كان له مردود مباشر لهيئات ومؤسسات كويتية وأخرى في مختلف أرجاء وطننا العربي . .

وفي هذا المعنى الذي ذهب اليه مدير المعهد ، أكد السيد خالد بوحمزة نائب العضو المنتدب ، ومدير مصفاة الشعيبة بشركة البترول الوطنية الكويتية ، على أهمية البحوث والدراسات العلمية التي قام بها المعهد لحل المشاكل التي تواجه صناعة النفط ، وأشاد بالتعاون القائم بين الشركة ومعهد الكويت للأبحاث العلمية في دراسة هذه المشاكل ، ووضع الحلول المناسبة لها . .

وقال السيد بوحمزة:« إن المعهد قام بتنفيذ دراسة تفصيلية لصالح الشركة حول نوعية العوامل المساعدة المستخدمة في المصافي ، وكذلك نوعية المعادن والملوثات والمواد السمية للعوامل المساعدة ، وقد أسفرت الدراسة عن اقتراحات جيدة تشكل اساسا لقيام مصنع في الكويت لمعالجة هذه العوامل ، والتخلص منها بطريقة تحفظ لهذه الصناعة استمراريتها وتطورها ، وأهم من ذلك أنها تحفظ البيئة من التلوث بهذه المخلفات ، وربما كانت مشكلة تآكل المعدات المستخدمة في مصافي البترول من أهم المشاكل التي استطاع المعهد من خلال دراساته وبحوثه أن يقدم لنا الحلول . . ونحن نطبق الآن نتائج هذه الدراسات ، التي استطعنا بفضلها أن نحقق نتائج طيبة في مواجهة هذه المشكلة ».







مبنى معهد الكويت للأبحاث العلمية في مختبراته القديمة (الى اليمين) وصرحه الجديد (الى اليسار) وباحثان كويتيان في مختبرات العلوم الأرضية اثناء فحص الخصائص الطبيعية والمعدنية لعينات من مصادر الرمل والصلبوخ





د. عدنان شهاب الدين
البحث العلمي أساس كل تقدم

د. نجلاء النصار
رعاية الشباب وتنمية مواهبهم

السيد نزار ملا حسين
مشكلة الغذاء أهم مشاكل العالم

التعاون مستمر :

ويقول الدكتور عبد الرحمن العوضي وزير الصحة العامة ووزير التخطيط بدولة الكويت « ان هناك علاقات مثمرة وكبيرة بين الوزارتين ومعهد الكويت للابحاث العلمية ، وان التعاون بين الطرفين يتركز في النواحي الخاصة بالمحافظة على البيئة في الكويت بشكل عام ، والبيئة البحرية بصفة خاصة

ويشير الوزير الى البحوث التي قام بها المعهد في هذه المجالات ، وأذكر منها الدراسات التي أجريت عن الملوثات النفطية في الخليج ، ودراساته عن الأحياء البحرية في منطقة المد والجزر ، ومدى تأثرها بالمشاريع المقامة على الساحل ، كمشروع الواجهة البحرية ، والنتائج الناجمة عن حركة العمران بصفة عامة ، لما يصاحبها من عمليات الردم الخاطىء ، أو تلويث منطقة المد والجزر ، وأثر هذا كله على الحلقة الغذائية التي تعتبر البيئة المائية جزءا منها

« ان التعاون دائم مع معهد الكويت للأبحاث العلمية ، وربما كان أهم مجال هذا التعاون هو دراسات الأحياء المائية وتأثرها بالملوثات الصناعية ، عن طريق المصانع ، وكذلك التلوث الناتج عن ناقلات النفط ، لما هذه القضية من تأثير مباشر على صحة الأفراد في الكويت ، حيث تعتبر الثروة السمكية من اهم موارد الغذاء في الدولة ، وقد كانت نتائج هذه الدراسات مطمئنة الى حد كبير ، حيث اثبتت ان نسبة التلوث لا تشكل اية اخطار حقيقية »

احتياجات المجتمع :

ووزارة التخطيط ايضا ، لقد افادت فائدة كبيرة من النموذج الاقتصادي الذي اعده المعهد ، في وضع الخطة الخمسية الحالية ، حيث تم تحديد مسارات التنمية والخيارات المختلفة للاولويات والأهداف الرئيسية عن طريق هذا النموذج ، وهو مجال اخر استطاع معهد الكويت للأبحاث العلمية أن يثبت جدارته فيه ، ويؤكد ارتباطه التام والكامل باحتياجات المجتمع الفعلية

يقول الدكتور عدنان شهاب الدين « ان مشاريع البحث التي تتسم بالطابع بعيد المدى ، بدأت تؤتي ثمارها ، وربما تكفي الاشارة هنا الى مثالين من أمثلة كثيرة بارزة ، أولهما ، ما حققه المعهد من نتائج ايجابية في مجال استزراع الأسماك المحلية والمستوردة ، والوصول بها الى مرحلة التطبيقات التجارية ، ودوره في تقييم وتطوير تقنية التناضح العكسي لتحلية مياه البحر بتكلفة لا تقارن بما تنفقه




د محمد العطار
أينما وجد الماء قامت الزراعة



د . فكري خلف
المحافظة على البيئة



د لطيف حمدان .
استقطاب العقول العربية

الدولة الان من أجل توفير المياه العذبة بطريقه التبخير والتكثيف .

وبدأ من حيث بدأنا ، أو كما يقول مدير معهد الكويت للبحث العلمي : « من الثروة البشرية التي تتمثل في تلك الأعداد المتزايدة من الشباب الكويتي الذي يقوم اليوم بأهم وأعظم تجربة ساهمت ومازالت تسهم في تقدم المجتمع ورفاهيته . » . .

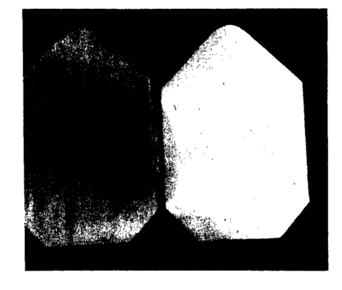
ولم يكن ممكنا أن تقتحم هذه البراعم الشابة وحدها مجال البحث ، ومن هنا كانت أيضا بداية أخرى ، عندما نجح المعهد الوليد في بداية عهده منذ حوالي عشرين عاما في قلب نظرية هجرة الأدمغة ، أو كما أسماها الانجليز « البالوعة التي تمتص العقول »

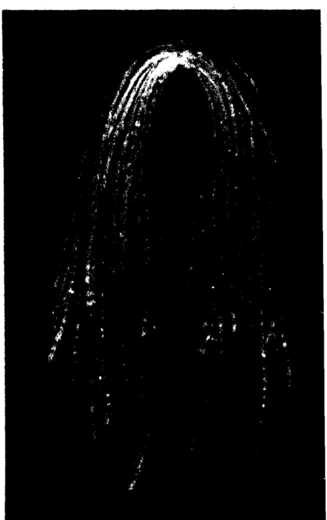
وقد كانت انجلترا احدى الدول التي عانت من هجرة علمائها الى الولايات المتحدة الأمريكية ، لا بحثا عن المادة ، بل بحثا عن البحث نفسه ، فهناك المجال أوسع ، والامكانات أكبر ، فاذا كان هذا هو حال الانجليز فماذا كان حالنا نحن العرب ؟ لقد امتصت مراكز البحوث في امريكا عددا لا يستهان به من العقول العربية . . ولكن معهد الكويت وهو يضع لبناته الأولى في مجال البحث العلمي ، استطاع أن يستقطب بعض هذه العقول ، ويعيدها الى الأرض التي نبتت فيها . . وجاءوا يحملون خبرتهم ، وهم يرون هذا العمل الجاد الذي أرادوا أن يسهموا في استكمال بنائه العلمي .

يقول الدكتور عبدالله عيسى الدباغ مدير معهد البحوث بجامعة البترول والمعادن بالظهران في المملكة العربية السعودية ، حيث نجح معهد البحوث السعودي في تحقيق انجازات ما كان من الممكن التوصل اليها بعيدا عن البحث العلمي ، ولعل أهمها وأكثرها نفعا وجدوى ، هي تحقيق الاكتفاء الذاتي من القمح ، فالرجل يتحدث اذن من واقع تجربة مماثلة فوق أرضه . . انه يقول : « لقد أخذت الكويت الريادة في حسن استثمار فوائض عوائدها النفطية ، الا ان انشاء معهد الكويت للأبحاث العلمية يعتبر بحق أفضل هذه الاستثمارات التي تستهدف تنويع مصادر الاقتصاد الوطني وتنمية الثروة الحقيقية . . والثروة البشرية بصفة خاصة ، على اساس علمي يحقق للكويت مكانا لائقا بين الأمم ، والعارفون متفقون على ان لا تنمية حقيقية ولا صناعة منافسة دون مراكز بحوث وتطوير ، ولقد حققت دول الخليج العربي استقلالها السياسي ، وها هي الكويت وهي تحتفل بالعيد الفضي لهذا الاستقلال ، تسعى جادة الى تحقيق استقلال أخر بتحررها من قيود التبعية التقنية .

غرفة المراقبة والتحكم في محطة الدوحة للتناضح المكسى

الدكتور محمود عبدالجواد يراقب عملية أداء وحدات التحلية على شاشة الكومبيوتر





صورة عامة لقاعة وحدات تحلية مياه البحر بالتناضح العكسي (فوق) وصورتان لنوعين من انواع الأغشية التي تستخدم في الوحدة النمطية لتحلية المياه ، والأغشية الشعرية الدقيقة المجوفه (الى اليمين) والأغشية المسطحة (الى اليسار) مصنوعة من اللدائن .

الثروة البشرية

والتدريب ثم التدريب ، هو أول الخطوات التي يهتم بها المعهد لاعداد جيل جديد من الباحثين ، وتقول الدكتورة نجلاء النصار مديرة ادارة التدريب بالمعهد ان الدور الرئيسي والمؤثر الذي يقوم به معهد الكويت للبحث العلمي هو اقامة الدورات التي تسهم بصورة فعالة في مساعدة الطالب او الطالبة من ابناء الكويت واشقائهم العرب ، على اختيار الطريق الذي يتفق مع ميولهم ، للسير فيه بعد الالتحاق بالجامعة ، فنحن هنا نقوم بتدريب طلبة وطالبات المرحلة المتوسطة والثانوية في مجالات الكومبيوتر ، والهندسة ، والفيزياء ، والالكترونات ، والكيمياء بفروعها ، والعلوم الحيويه ، والبيئة البحرية ، والمسح الساحلي الخ فالطالب في هذه المرحله من التعليم يكون غير واثق تماما من الفرع الذى اختاره ، لكي يكمل فيه دراسته ، وهذه الدراسات التدريبيه في المعهد ، تساعده بصورة فعالة على التعرف على ميوله واتجاهاته واكتشاف نفسه وقدراته

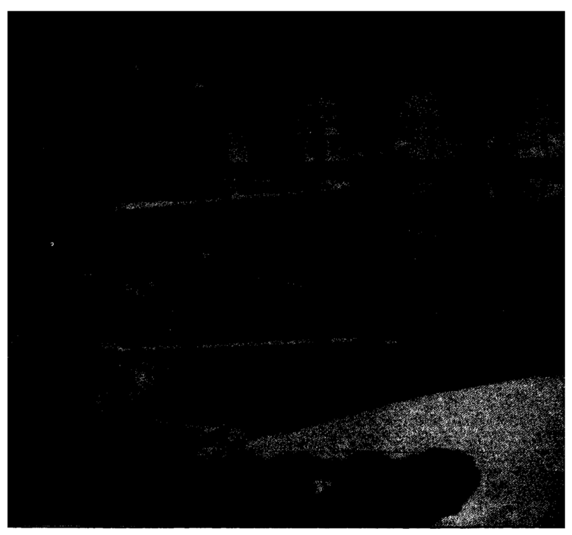
« ثمة هدف آخر يسعى اليه المعهد من خلال هذه الدورات التدريبية ، وهو تطبيق العلم على العمل ، فنحن نعلم أن النظريات التي تدرس للطلبة في المرحلة الثانوية ، أو في الجامعة فيما بعد ، هي في واقع الأمر نظريات اكاديمية بحتة ، قد تتخللها بعض التطبيقات العملية ، ولكنها ليست بالحجم الذي يكفي لدراسة هذه النظريات عمليا ، وهنا يجد الطالب هذه الفرصة وعلى أوسع نطاق ، وسرعان ما يكتشف أنها ليست نظريات جافة ، وانما هي تطبيقات عملية لهذه النظريات العلمية ، وهذه المرحلة من التدريب تفيد الطالب وتفيد المعهد في الوقت ذاته ، فهي تتيح للطلبة المتدربين فرصة التعرف على مجالات العمل في المعهد ، كما تتيح للمعهد فرصة اكتشاف الكوادر المتميزة التي يمكن الاستعانة بها مستقبلا بعد التخرج ، وعندما يلتحق ابناء الكويت بالعمل في المعهد بعد تخرجهم في الجامعة ، يبدأ برنامج تطوير هؤلاء الخريجين الذي تشرف عليه ادارة التدريب

« ثم هناك بعد ذلك برنامج التطوير الوظيفي للكوادر الوطنية ، كما ان ادارة التدريب تسهم ايضا في عملية تكويت الوظائف ، ونحن الان بصدد اعداد مشروع لتكويت الوظائف الفنية والى جانب ذلك نقوم ايضا بتدريب الكوادر الفنية من مختلف المؤسسات في الدولة ، ومن دول مجلس التعاون الخليجي ، وبقية أقطار الأمة العربية

وتصل الدكتورة نجلاء الى نهاية حديثها للعربي فتقول « ونأتي الى الهدف الأخير ، وهو يتصل اتصالا مباشرا بدعم العلاقات بين مختلف الادارات التي تعنى بتنشئة الشباب ورعايتهم ، واعني بها وزارة التربية ، وجامعة الكويت والهيئة العامه للتعليم التطبيقي ، ومجلس حماية البيئة ، ومؤسسة الكويت للتقدم العلمى ، ثم مؤسسة الخطوط الجوية الكويتية التي تسهم في تمويل هذا التدريب ، ونختار من بين المتدربين من كان عنده استعداد للعمل في مجال الطيران ، سواء في الجو أو على الأرض ، فالطيران هو المستقبل ، أو قل أحد أوجه المستقبل الذي يمضي في تطوير مستمر ، والذي أصبح العالم بفضله قرية صغيرة »

* * * *

الواقع أننا توقفنا طويلا ونحن نتجول في أقسام المعهد المختلفة ، ونتنقل بين معامل بحوثه وتجاربه فقد كنا في حيرة ونحن نرى هذا الكم الهائل من البحوث التي تجري في شتى مجالات العلوم والحياة التي تتصل اتصالا مباشرا بالبيئة التي قام بها المعهد وبمتطلبات واحتياجات المجتمع الذي ينتمي اليه العاملون فيه ، وكان منبعث حيرتنا ذلك السؤال الذي يتردد في اذهاننا بالحاح من أين نبدأ ؟ وما هي الصورة التي يمكن ان نقدمها من خلال هذا الاستطلاع القصير لهذا العمل الكبير الذي يجري في هدوء بعيدا عن الأضواء ؟



نموذج فيزيائي لمنطقة الشعيبة الصناعية البحرية حيث تجري الدراسات في المعهد لايجاد الحلول المناسبة لمنع دورات المياه الساخنة الناتجة عن عمليات التبريد في مصانع الشعيبة من التأثير على محطات تحلية مياه البحر . . .

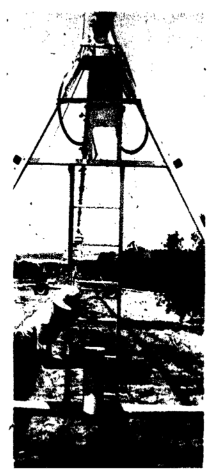
الغذاء صيحة العصر :

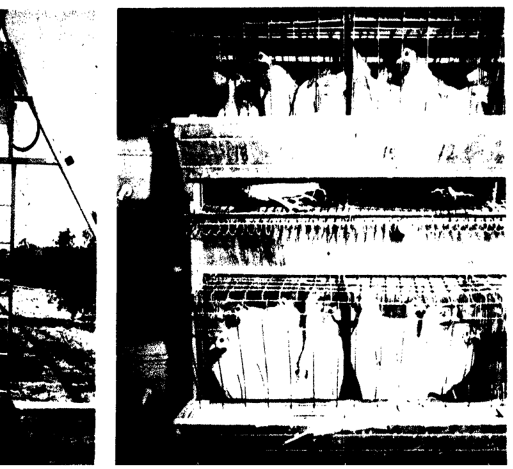
ولم تطل حيرتنا ، فقد أخرجنا منها بعض كبار الباحثين في المعهد ، ووجدنا أنفسنا خلال الأسبوعين اللذين أمضيناهما بين أقسامه ، نقف حيث يجب أن يكون التوقف ، أمام الغذاء ، وكل ما يتصل به لقد كانت رحلتنا في هذا العرض السريع ، الذي كان ، من وجهة نظرنا على الأقل ، أشبه بمحاولة من أراد أن يجمع ماء البحر في وعاء ! فالعمل الذي يجري امامنا كبير ومتشعب . . أكبر من أن تتسع له هذه الصفحات المعدودة !

وفي حديث السيد نزار ملا حسين ، نائب المدير العام للعلوم البيئية والحيوية ، وجدنا ما يؤكد لنا صحة النتيجة التي توصلنا اليها ، قال : « مشكلة الغذاء هي في واقع الحال ، أهم مشكلة تواجه العالم كله اليوم ، ودول العالم الثالث بصفة خاصة ، حتى تلك التي تملك ثروات تتيح لها شراء ما تحتاج اليه من مواد غذائية ، ذلك لأنه لابد أن يأتي يوم تغلق فيه أبواب هذه الأسواق ، لعدم وجود فائض عندها للتصدير ، أو لأسباب أخرى سياسية ، وكلنا يذكر ما قاله احد كبار السياسيين المخضرمين : « ان الدولة التي لا تستطيع أن تحقق الاكتفاء الذاتي من الغذاء ، تصبح غير قادرة على تحقيق استقلالها التام » والغذاء ماء وزرع ، ثم هو لحوم وأسماك . .

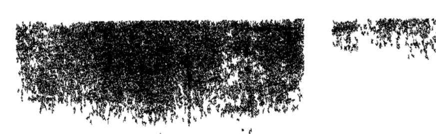
وبدأنا رحلتنا مع الماء أولا . . الماء الذي بدونه لا تكون هناك حياة . . .

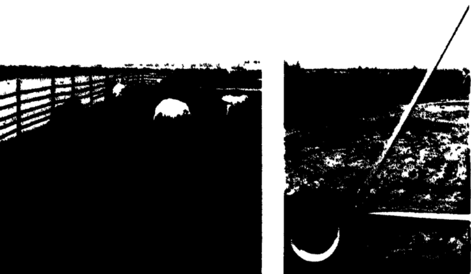
الأسماك . . احدى موارد الغذاء الرئيسية أولاها المعهد اهتماما خاصا . . ونجحت البحوث الخاصة باستزراع
الاسماك وأقلمتها في احواض طبيعية وصناعية .

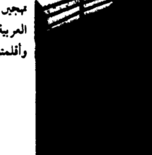




الثروة البشرية وتدريبها وتطوير امكانياتها العلمية والعملية أهم احارات معهد الكويت   محاضرة عمليه لمجموعة من شباب دول الخليج في المعهد







تجارب على تحسين الانتاج المحلي للدواجن (الى اليمين) ثم أحدث طريقة للرى المحورى لتحسين كفاءة الاستهلاك في البيئة المحلية ثم تجارب على تهجين انواع من الماشية العربية وتحسين انتاجها وأقلمتها (الى اليسار)

الماء في الصّحراء :

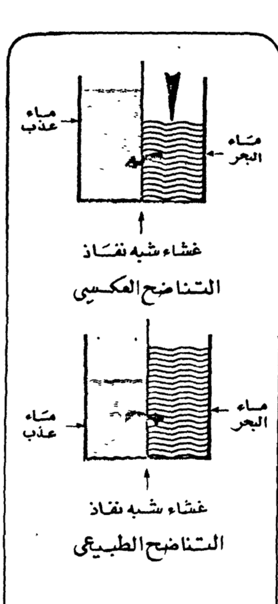
ومنذ أوائل الخمسينيات ، والكويت شأنها في ذلك شأن بلدان الخليج الأخرى ، تعتمد على عملية التقطير لانتاج المياه العذبة لسد احتياجاتها ، حتى أصبح لديها الآن أربع محطات لتقطير مياه البحر او تبخيرها ثم تكثيفها . . ويصل معدل انتاجها الى مائة مليون جالون امبراطوري يوميا في الوقت الحاضر ، الا أن الطاقة الانتاجية لهذه المحطات تصل الى ضعف هذه الكمية اذا عملت المحطات بأقصى قدراتها أي حوالي (٢٠٠ مليون جالون) ، الى جانب كميات المياه الجوفية التي تصل الى ٤٥ مليون جالون يوميا .

وعملية تقطير المياه عملية مكلفة تتحملها الدولة . . صحيح أن الماء العذب يباع للمستهلك ، ولكن بأسعار رمزية لا تقارن بالتكلفة الحقيقية لتحلية المياه .

ومن هنا بدأ الاهتمام بايجاد بدائل لمحطات تقطير المياه ، وكانت احدث هذه المحاولات هي تلك التي بدأت منذ عام واحد ، على اثر البحوث التي أجريت ومازالت مستمرة للوصول الى الطريقة المثلى التي تحقق انتاج الماء العذب والارتقاء بنوعيته ، والتقليل من تكلفته .

وفي منطقة الدوحة خارج مدينة الكويت ، كان لنا لقاء بالدكتور محمود عبد الجواد ، القائم على المحطة الجديدة التي تجرى فيها التجارب الآن لانتاج المياه العذبة بطريقة « التناضح* العكسي » وهو نظام تطور تطورا كبيرا خلال العقد الماضي ، فقد تزايد استخدامه حتى أصبحت تلك التقنية تدخل ضمن الأساليب المعتمدة لتحلية المياه الصليبية ومياه الصرف الصناعية ، الا أن تطبيق هذه التقنية ذاتها في تحلية مياه البحر الشديدة الملوحة لا يزال يخطو خطواته الأولى ، ويحتاج الأمر الى مزيد من أعمال البحث والتطوير للارتقاء بأداء وحدات تحلية مياه البحر بالتناضح العكسي ، وزيادة امكانية الاعتماد عليها .

يقول الدكتور عبد الجواد : « ان هذا البرنامج



اذا فصل بين ماء البحر والماء العذب بغشاء شبه نفاذ ، وكان الضغط على سطح السائل متساويا على جانبي الغشاء ، فان جزيئات الماء غير المحملة بالأملاح تنتقل عبر الغشاء الى ماء البحر ، وذلك تبعا لظاهرة التناضح الطبيعية . ويستمر انتقال الجزيئات هذا حتى يتعادل فارق الضغط في عمود الماء (الذي تسبب عنه الانتقال) مع الضغط الأسموزى ، او ان يتساوى التركيز على جانبي الغشاء ، وتسمى هذه العملية بالتناضح الطبيعي ، ويمكن عكسها باستحداث ضغط على سطح الماء المالح ، يزيد عن الضغط الأسموزي ، فينعكس بالتالي اتجاه التناضح عبر الغشاء .

الجديد للبحث والتطوير الذي تدعمه حكومة دولة الكويت ، ممثلة في وزارة الكهرباء والماء ومعهد الكويت للأبحاث العلمية ، يجري تنفيذه بالاشتراك مع جمهورية ألمانيا الاتحادية ، ممثلة في وزارة البحث العلمي والتقنية ، ولقد بلغ انتاج الماء العذب بعد عام واحد من بداية البحوث ثلاثة آلاف متر مكعب يوميا أو ما يعادل مليون متر مكعب سنوياً .

والهدف في هذه المرحلة ليس انتاج المياه ، بقدر ما هو جمع وتقييم وتحليل واستخلاص أفضل النتائج التي يمكن الحصول عليها ، لاستخدامها مستقبلا في بناء وحدات أكبر ، تعتمد على طريقة التناضح العكسي في تحلية مياه البحر ، وحل مشكلة توفير المياه العذبة بتكلفة اقل في المناطق الصحراوية الجافة المطلة على البحار .

ثمة حقيقة مزعجة ينقلها الدكتور لطيف حمدان مدير دائرة العلوم الأرضية ، انه يقول : « هل تعلمون كم يبلغ متوسط استهلاك الفرد اليومي من الماء العذب في الكويت ، انها اكبر كمية يستهلكها الفرد في اي بقعة من العالم ، فهي تصل الى ستين جالونا يوميا » . . بينما لا يزيد متوسط استهلاك الفرد في اوروبا او امريكا عن عشرين جالونا ، رغم ان الماء عندهم لا يمثل مشكلة ، فالانهار العذبة تجري في اراضيهم !! » .

ومن أجل هذا يستعد المعهد من الآن لاقامة ندوة عالمية في شهر ابريل من العام المقبل ١٩٨٧ ، لبحث وسائل زيادة مصادر المياه الحلوة ، والتقليل من الاستهلاك في المناطق الصحراوية ، حيث تشتد الحاجة الى المياه ، مع التركيز على منطقة شبه الجزيرة العربية ، وسيشارك في الندوة الادارات التنظيمية والمؤسسات المهتمة بالمياه وتوفيرها في الخليج العربي .

الـــزراعـــة ومَوارد الغذاء :

« في القرن العشرين ، ومع توفر التقنيات الحديثة ، لا نستطيع القول بأن هناك ارضا صالحة للزراعة واخرى غير صالحة ، وبناء عليه يمكن القول وبكل ثقة بأن كل أراضي الكويت او معظمها صالح للزراعة ، هذا اذا توفرت المياه التي هي أساس كل شيء حي » .

بهذه المقدمة استهل الدكتور محمد العطار مدير ادارة موارد الغذاء حديثه معنا ، ونحن نسأل عن الانجازات التي حققها معهد الكويت للبحث العلمي في مجال تنمية موارد الغذاء في الكويت .

ويمضي الدكتور العطار : « ان مساحة الأرض المزروعة فعلا بالكويت ، مازالت صغيرة ، لأن الأرض التي خصصت للزراعة ليست مستغلة الاستغلال الكامل ، ثم هناك عامل آخر ، وهو أن طريقة الري في هذه المناطق المزروعة ليست هي الطريقة المثلى في منطقة كالكويت ، حيث ترتفع درجة الحرارة في موسم الصيف ارتفاعا كبيرا ، فنحن للأسف ، مازلنا نلجأ الى طريقة الري عبر القنوات المفتوحة ، وهذه الطريقة لا تناسب جو الكويت ، ولا الأرض التي تجري فيها المياه في القنوات ، لأن نسبة البخر تكون عالية في الصيف ، ولأن طبيعة الأرض الرملية تساعد على تسرب المياه بسرعة ، وتكون النتيجة أن ما يصل من المياه الى حيث نريد ان نستفيد به في ري المحاصيل يكون ضئيلا . .

« هذا لا يمنع أن نسجل لبعض الاخوة الكويتيين التجاءهم الى وسائل الري الحديثة توفيرا للماء ، ومن بين هؤلاء المهندس حسين قبازرد أو « أبو الفراولة » الذي يقوم بزراعة مساحة تزيد على المليون متر مربع في منطقة الوفرة من هذه الفاكهة وغيرها من الفواكه والخضروات ، فالمياه في حقوله وبساتينه تجري داخل أنابيب مغلقة ، حتى تصل الى حيث يريد لها الوصول » . .

والحديث عن الزراعة يجرنا الى حديث أشمل وأعم ، وهو تحقيق الاكتفاء الذاتي في المحاصيل الأساسية على الأقل ، وهنا لابد أن نتعرض لبعض العوامل المهمة التي يجب توفرها لتحقيق هذا الهدف الذي تسعى اليه كل الأمم .

ويقول مدير ادارة موارد الغذاء : « نحن نعلم ان الكويت بمساحتها الصغيرة وقلة مواردها البشرية ، وافتقارها الى التقنيات الحديثة في الزراعة ، وفي الأيدي العاملة المدربة على استخدام هذه التقنيات ، لا تستطيع أن تحقق اكتفاء ذاتيا في هذه المرحلة من انطلاقتها . . .

الري بالتنقيط لترشيد استهلاك مياه الري العذبة في احدى المزارع الخاصة

ونجحت التجارب التي اجريت على زراعة الخضراوات بانواعها في الكويت ، وقامت شركات خاصة لزراعة هذه الخضراوات مستعينة في مسيرتها بنتائج البحوث التي توصل اليها المعهد

طماطم وفلفل وخيار وبادنجان



المبنى الجديد لمعهد الكويت للابحاث العلمية يوم افتتاحه وعلم الكويت يرفرف بجوار علم المعهد ، وفي المدخل زهور ترسم خريطة الكويت بألوان علمها . .





ولذلك فان أية محاولة تقوم بها الكويت منفردة لن تحقق هذا الهدف ، فلابد اذن من قيام تعاون بين الاخوة من أبناء مجلس التعاون الخليجي الذين يستطيعون بفضل مساندة الاخوة العرب من الاقطار العربية الشقيقة ، والزراعية منها بصفة خاصة ، أن يضعوا أقدامهم على الطريق نحو إيجاد نوع من التكامل يقودهم الى تحقيق هذا الاكتفاء في بعض المحاصيل الرئيسية .

وقد ثبت من خلال الدراسات المرجعية التي أجراها المعهد أن مخلفات خزانات النفط يمكن استغلالها في استصلاح الأراضي الصحراوية واعدادها للزراعة . . فاذا ما استطعنا أن نبسط هذه المخلفات فوق رمال الصحراء ، وتركناها لفترة طويلة تتراوح بين ثمانية أشهر وسنة كاملة ، فسوف يؤدي هذا الى نوع من التفاعل بين البكتريا الموجودة في التربة ، وبين مخلفات النفط ، وتكون النتيجة حصولنا في النهاية على تربة أكثر نفعا وصلاحية للزراعة .

ثم لا ننسى بعد هذا أن الكويت كانت دوما غنية بمواردها الطبيعية التي تتمثل في النباتات البرية التي تنمو وتزدهر في موسم الأمطار في الشتاء ، وقد أثبتت التجارب والبحوث التي أجريت عليها أنها غنية بالبروتينات التي تصلح علفا لتربية الأغنام والمواشي وتسمينها ، ولكن الذي حدث بعد اكتشاف النفط في الكويت ، أن أهملت هذه المراعي الطبيعية اهمالا يبعث على الأسف ، وكانت النتيجة أن تضاعفت مساحة الأراضي الصحراوية ، وأعني بها الأرض التي لم تعد تصلح لنمو هذه النباتات التي انقرضت أو كادت .

ومن هنا بدأ المعهد يهتم باحياء هذه النباتات ورعايتها حتى تنمو وتزدهر ، وحتى تتضاعف رقعة الأرض التي تغطيها ، فنترك الأغنام ترعى فيها لفترة محدودة ، حتى لا تأتي على جذورها ، وما يتساقط من بذور ثمارها ، ثم ننقل هذه الحيوانات الى مناطق اخرى مزروعة بأنواع من الأعلاف مثل البرسيم والشعير . . . وفي الحالتين تتم عملية الرعي داخل نطاق سياج حتى نحميها من الرعي الجائر ، او اقتحام السيارات لهذه المناطق الرعوية ، أو أية عوامل أخرى تسهم في تعرية التربة » . .

وكان لابد أن نرى هذا الذي يحدث على الطبيعة فقصدنا الى منطقة الصليبية لنسجل ما يجري فيها بالصورة بعد أن جمعنا كل ما يتصل بها من الرجل الذي يشرف على متابعة كل تفاصيلها ودقائقها حتى يضمن لها الاستمرار والتطور . .

الثروة الحيوانية :

وفي الصليبية وداخل المنطقة المحمية بهذا السياج التي تزيد مساحتها على عشرين كيلو مترا مربعا ، حيث يجري المعهد تجاربه وبحوثه على الأرض والزرع ، كان لنا لقاء بأحد الشبان الكويتيين الذين تخصصوا في تربية الماشية . . انه المهندس الزراعي محمد البحوه . . ولم يكن وحده ، لقد كان يقف وسط مجموعة من الباحثين الذين تخصصوا في تنمية الثروة الحيوانية . . انهم يقومون باجراء التجارب على الأغنام العربية لتحسين انتاجها من اللحوم ، وقد تم انتاجها جميعا وتربيتها فوق ارض الكويت ، وتمكنت من العيش في جوها الحار خلال موسم الصيف ، وقد كانت هذه هي المشكلة الأولى التي تمكن الباحثون في المعهد من حلها ، بفضل البحوث المثمرة على الطبيعة ، وهكذا لم يعد الجو الحار مشكلة تقف في طريقة تنمية الثروة الحيوانية .

ويقول المهندسون الباحثون أن هناك ثلاثة أنواع من الخراف تجرى عليها التجارب وكلها عربية ، وهي النعيمي والنجدي والعربي ، لمعرفة أفضل هذه الأنواع للعيش والتأقلم في جو الكويت الحار . . وقد أسفرت تجاربهم عن نتائج مشجعة .

وفي الصليبية أيضا تجرى تجارب أخرى على الدواجن ، للوصول الى أنواع الغذاء التي تعطي نتائج أفضل . . ولقد كان للبحوث التي قام بها

المعهد ، ومازال أن تأسست أكثر من شركة لانتاج الدجاج البياض والدجاج اللاحم ، واستطاعت هذه الشركات أن تصل بانتاجها من البيض والدجاج الى مرحلة تقترب من تحقيق الاكتفاء الذاتي ، اذا وجدت الحماية الكافية من الدولة للحد من الاستيراد ، وما يقال عن الدواجن يمكن أن يقال أيضا عن تربية الأبقار الحلوب . . فقد انتشرت مزراع تربية الأبقار ، ووصل انتاج الكويت من الألبان الى مائة وعشرين طنا يوميا ، أو ما يقرب من ثلاثين مليون لتر من الحليب سنويا . .

الثروة السمكية:

البحث عن وسائل تنمية الموارد الغذائية هو الشغل الشاغل لمعهد الكويت للأبحاث العلمية ، فهو يجيء في قمة برامجه منذ انشائه في عام ١٩٦٧ ، ويؤكد السيد نزار ملا حسين نائب المدير العام ، أن دور المعهد كان ملموسا وبارزا في النجاح الذي حققته شركات تربية الدواجن وتسمين العجول ، وشركات صناعة الألبان ، وأخيرا شركة صيد الأسماك ، كما أسلفنا ، وذلك من خلال البحوث التي قام بها في أفضل وأنسب الوسائل لتنمية وتطوير هذه الصناعات والنهوض بها . . صحيح أن بعض هذه الشركات بدأت عملها بعيدا عن أية بحوث ، ولكنها وخلال مسيرتها لتطوير وتنمية انتاجها ، لجأت الى المعهد لدعم هذه المسيرة وتوجيهها على اسس علمية . .

ثم ينتقل السيد نزار الى الحديث عن زراعة الأسماك وتنميتها وتطويرها فيقول : « لقد كانت البداية مع الروبيان منذ أكثر من خمسة عشر عاما ، ونجحت البحوث التي أجراها المعهد في تنمية هذه الثروة الغذائية المائية ، وأصبحت الكويت احدى الدول المصدرة للروبيان .

ثم انتقلت التجربة بعد ذلك الى الأسماك ، وبدأت تجارب استزراعها بشتى أنواعها وبحث سبل تطويرها وتنميتها في اقفاص مائية وأحواض . . ومنذ ثلاث سنوات بدأت تجربة جديدة بتمويل من شركة الأسماك الكويتية المتحدة لزراعة السمك السبيطي ، وقد اوشك المشروع على الانتهاء ، وسوف تساعد النتائج التي توصل اليها الباحثون في المعهد على استزراع هذا النوع من الأسماك التي يعشقها سكان الجزيرة العربية بكميات تجارية ، وسيصل الانتاج الى ما يقرب من خمسمائة طن سنويا من هذا النوع . .

وينطبق هذا أيضا على السمك البلطي ، وهو سمك يعيش في مياه الأنهار الحلوة ، وقد استورد من مصر ، وأمكنه زرعه في مياه البحر المالحة ، وسوف يصل انتاجه الى ما يقرب من مائتي طن سنويا . .

والحديث عن بحوث المعهد لا يمكن ايجازه في هذه الصفحات المعدودة . . ولكننا نكتفي بهذا القدر ، ونترك لغيرنا أن يقول كلمته بعد هذه الرحلة السريعة مع جانب من نشاطات المعهد . .

قالوا :

* ما بين جزيرة فيلكا ، وحقول النفط في الأحمدي ، ومختبرات معهد الكويت للابحاث العلمية ، رأيت كويت الأمس واليوم والمستقبل .

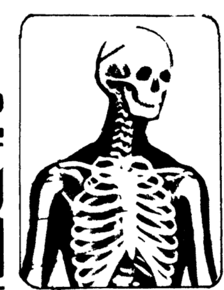
بول لوساكا
رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة

* الخبرة التي اكتسبها معهد الكويت للبحث العلمي ، هي خبرة يمكن توفيرها على نحو مجد للدول الأخرى .

« أحمد مختار أمبو »
منظمة اليونسكو

* ان ما رأيته خلال زيارتي لهذا المركز العلمي يجعلني أثق تماما بأننا لا شك قادرون على اللحاق بركب العلم ، ومواكبة الحضارة بعقول عربية نيِّرة ، وارادة لا تعرف التراجع .

الدكتور عبد الجبار الضحاك
وزير النفط والثروة المعدنية
سوريا □





بقلم الدكتورة : فاطمة الغرباوي

الهيكل العظمي هو ركيزة الجسم الـذي يحمي أعضـاءه ، ويحفظ شكله ، وهو جهاز عظيم في خلقه وتكـوينه . . فـما هي قصتـه مـع سنوات العمر ؟

كلمة الهيكل العـظمي تعني لغويـا كل جـزء عـظمي في الحيوان ، ولهـا دلالتـان : الاولى وهي العـظام الـداخليـة ، والثـانيـة وهي العـظام الخارجية ، وهذه في الانسان تعني الشعـر والأظافـر والأسنان . .

وكلمة Skeleton تنحدر من الكلمة الاغريقية Skeletos ، بمعنى الشيء الجاف الميت من العظام بعد تحضيرها للدرس بطريقة عشوائية وغير متقنة .

أما الحقيقة ، فهي ان عظام الكائن الحي عبـارة عن نسيج بلاستيكي الشكل ذي تركيبين ، أحدهما عضوي ، والآخر غير عضوي ، وهذا النسيج قادر على التغيير الجذري مع التقدم في السن ، وله هذه الخاصية في الشكل والحجم ، وله القدرة أيضا على التكيف شكلا مع الجنس ، وعلاة على كـل ذلك ـ وهي وظيفته الاساسية التي هي المحافظة عـلى قوام الجسم وتدعيمه ـ فان له وظائف أخرى مهمة .

تتأثر عظام الجسم بالخواص الوراثية لحاملهـا ، وبالظروف الـداخلية للجسم نفسـه ، وبالـظروف الخارجية أيضا ، ولذلـك فهي لاتتأثـر فقط بالآثـار المباشرة لـلأمراض ، ولكنهـا تتأثـر أيضا بـالعوامـل الفسيولوجية والمرضية لأعضاء الجسم الأخرى .

العظام وعمر الانسان

فاذا فحصنا عـظمة واحـدة لشخص ما ، فمن الممكن أن تأخذ فكرة عن صاحبها من حيث العمر ، والجنس ، وطـول الجسم ، وشكل البنيـة ، ودرجة تمتعه بالصحة ، وماهو طعامه ، وماهي عنـاصره ، وكذلك مكوناته الوراثية ، وهل تعمل غدده الصماء بتناسق واتزان أم لا ، ويمكن التنبؤ أيضا بما اذا كان لديه أية خواص شخصية .



ولقد مكنتنا الطرق العلمية الحديثة في دراسة علم الانسان على مدى العصور من البحث في العظام الأثرية ، ودراسة أحوالها التاريخية وسلالاتها .

ولايجب أن ننظر الى الهيكل العظمي على أنه مجموعة من عظام ذات أشكال مختلفة فحسب ، ولكن لأن أعضاءه متصلة بعضها ببعض بواسطة المفاصل ، وبطريقة لاتجعله فقط يعمل كجهاز يحمي الأنسجة الرخوة والعضلات ، وانما يعتبر أيضا مجموعة من الروافع لتلك العضلات والانسجة الأخرى والجسم ككل .

وحيثما كان هناك عضو رخو مهم مثل المخ والقلب والرئتين ، فوظيفة العظام هي حماية هذه الأعضاء ، والمحافظة عليها ، أما داخل العظام نفسها ، فيوجد جهاز آخر ذو أهمية قصوى للجسم ، تحميه العظام بداخلها ، الا وهو نخاع العظام ، حيث تتكون خلايا الدم ، وحيث يخزن العظم بنفسه كميات من الكالسيوم والمعادن الاخرى ، تكون تحت الطلب عند حاجة الجسم اليها .

والعظام في الجسم الحي ـ هي أيضا عضو حي ـ وهي مزيج ليفي مختلط بمزيج من العناصر المعدنية ، يقاوم الضغط والشد مع الاحتفاظ ببعض المرونة الكافية ، فاذا سحبنا المعادن من عظمة ما ، بوضعها في محلول حامض مخفف ، احتفظت العظمة بشكلها وحجمها ، ولكنها تصبح لينة يمكن ثنيها وليها ، أما اذا احترقت احترق نسيجها الليفي ، واحتفظت بهيكلها العام ، ولكنها تصبح هشة وغير مرنة تنكسر وتتفتت بسهولة وبأقل مجهود .

هدم وبناء العظام

وبقدرة الله وعظمته ـ سبحانه وتعالى ـ تتشكل كل عظمة حسب وظيفتها واشتراكها في تحمل ومقاومة الأعباء الميكانيكية ، وهي دائبة التكيف مع هذه الوظيفة حسبما تتغير الظروف وفي جميع سني العمر ، وأثناء النمو وبعد البلوغ ، فمثلا نجد أن عظام الفك الأسفل تتغير كثيرا بتقدم العمر ، بينما لاتتغير معظم العظام الأخرى بعد استقرار تكوينها .

والتغيير في شكل وتكوين العظام يأتي نتيجة لأي تغيير في تراكم النسيج العظمي أو امتصاصه ، وهذا لايعتمد فقط على نشاط الخلايا المختصة في بناء أو

هدم العظام ، وانما يعتمد على عوامل عامة في الجسم تتعلق بمعدل التمثيل الغذائي ، والتوازن العام بين الهرمونات ، أو اختلال ذلك المعدل لأي سبب من الاسباب .

ونجد أن النسيج العظمي داخل كل عظمة يتخذ اتجاهات محددة حسب ميكانيكية استخدامها ، ولتقريب فهم تلك النقطة نقارن بينها وبين مايتبع في الهندسة الانشائية للمباني ، حيث يتم توزيع أسياخ حديد التسليح في البناء العالي ، وفي القباب بصورة علمية ، لضمان اتزان المبنى ورسوخه على القاعدة الأرضية ، وهناك بعض الأمثلة التوضيحية بالرسم والصورة ، شكل (١)

كيف تتكون العظام ؟

ينقسم الهيكل العظمي الى قسمين : العظام المحورية وهي الفقرات والأضلاع وعظمة القص والجمجمة . والعظام الطرفية وهي عظام الحوض والاكتاف والأطراف المتصلة بها ، ويصعب الدخول في تفاصيل تكوين العظام في الجنين لكن يمكننا القول بأن الجنين يتطور من مرحلة خلايا تتكاثر الى بداية تطورها الى أنسجة مختلفة ، والجنين مازال طوله لايزيد عن ملليمتر واحد ونصف المليمتر شكل (٢) ، وهذه الأنسجة عموما تنقسم الى ثلاثة أنواع : الخارجي والأوسط والداخلي .

أما العظام فأصلها من النسيج الأوسط المسمى بالميزودرم ، حيث ينقسم مبدئيا الى ٤٢ ـ ٤٤ زوجا من الأجزاء التي تنتج عنها الفقرات والأضلاع ، وهذه الخطوة ترى في الجنين بين اليوم التاسع عشر والثاني والثلاثين من الحمل شكل (٣) ، ثم تتحول الخلايا في هذه الأجزاء الى نسيج غضروفي في الأسبوع السابع للحمل ، وبدءا من الفقرات العليا ، وعند الأسبوع التاسع شكل (٤) ، يبدأ ترسيب الكالسيوم ، والتحول الى نسيج عظمي بعد ذلك .

أما عظام الأطراف فتظهر في الأسبوع الرابع للحمل ، على هيئة براعم على جانبي الجسم من نسيج خلوي مغطى بالجلد ، وهما نسيجان يتعاونان بالتبادل ـ كل لتطور الآخر ـ حيث يتحول النسيج الخلوي الى نسيج غضروفي ، وهذا بدوره يتحول الى نسيج عظمي ، كما هو الحال في المواقع الأخرى من الجسم ، شكل (٥) ، الا أنه في بعض الأجزاء الأخرى مثل عظام الجمجمة المحيطة بالمخ والترقوة والفك الاسفل ، يتحول النسيج الخلوي الى عظام مباشرة ، وتسمى عظاما غشائية .

غذاء العظام

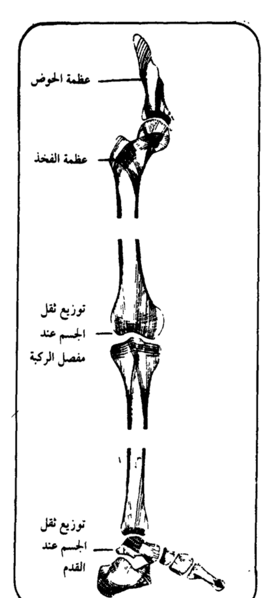
وتتغذى العظام بالدم خلال أوعية دموية خاصة ، حيث يتوجه الشريان الخاص من خارج العظمة الى نهاية العظمة ، حيث مركز نموها وهو في طريقه اليها ، يتفرع خلال مروره في نخاع العظم الى فروع كثيرة ، كما أن هناك شرايين كثيرة أخرى تغذيها من خارج العظمة وحول رقبتها ، وتتصل بالغشاء المغلف لها.وتحتوي العظام على النخاع الأحمر الذي يأخذ على عاتقه عملية تكوين خلايا الدم ، وسرعان مايحتل النخاع الابيض مكانه،حتى اذا ماتم نمو العظام ، أصبح النخاع الأحمر ـ فقط ـ في نهايات عظام الذراعين والفخذين ، شكل (٦) .

ما الذي يؤثر في نمو العظام ؟

عندما يتم التحام العظام النامية بعضها ببعض ، ليكتسب الهيكل العظمي للانسان حدا معينا من حيث الطول والسمك والشكل ، تبعا لعوامل خاصة بكل شخص ، تظل تلك الخواص المكتسبة ثابتة الى الى أن تتغير بفعل سنوات العمر ، أو بأي عوامل مرضية أخرى .

وهناك عوامل عديدة تتحكم في نمو العظام : منها العوامل الوراثية ، والهرمونية ، والغذائية والميكانيكية ، والعصبية ، وتأثير هذه العوامل أثناء فترة النمو وقبل البلوغ يكون ظاهرا على مواضع النمو فيها ، حيث النشاط السريع في تحول الخلايا من غضروفية غير مرئية الى غضروفية مرئية في صفوف متراصة ، حيث يترسب عليها عنصر الكالسيوم ، وبعد ذلك تنشط الخلايا العظمية لتكوين النسيج المطلوب ، والشكل العام والقياسات والطول النهائي عادة تحددها عوامل الوراثة .

وهرمونات النمو في الغدة النخامية في المخ لها الأثر الفعال على نضج الخلايا الغضروفية ، وبالتالي على معدل النمو في العظام الطويلة التي تبزغ من النسيج



الغضروفي ، فاذا زاد افراز تلك الهرمونات قبل سن البلوغ أصبح المصاب عملاقا ، أما إذا زاد افرازها بعد البلوغ فان هذا يؤدي الى تضخم العظام الأخرى

الطول والقصر

وعلى النقيض من ذلك ، اذا قلت نسبة هرمونات النمو ظل الفرد قزما ، والتحمت عظامه بعضها ببعض قبل الأوان ، واذا قل افراز هرمون التذكير في الخصيتين قبل سن البلوغ زادت العظام الطويلة في الأطراف طولا غير متناسق مع باقي الجسم ، كما يحدث « للأغوات » أو الخصيان ، ولهرمون الغدة الدرقية أثر كبير على تطور الخلايا الغضروفية ، فاستئصالها في صغار الحيوانات يجعلها ذات عظام قصيرة ، وزيادة افراز الغدة فوق الدرقية له أثر عاصف على العظام ، فهو ينشط الخلايا الهادمة للعظام ، ويحرك معدن الكالسيوم والفوسفور من العظام ليزيد معدلها في الدم ، ويعمل أيضا على زيادة امتصاص النسيج الهيكلي الليفي والـ Callogen من العظام

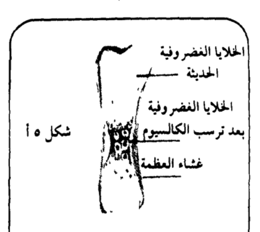
وهناك هرمون آخر تفرزه بعض الخلايا الجانبية في الغدة الدرقية ويسمى Calcitonin ، له خاصية مقاومة هدم العظام ، وربما بتأثير ماعلى البروتين الموجود في نسيج الهيكل نفسه ، وبذا ينخفض معدل نسبة الكالسيوم في الدم .

مرض لين العظام

ويعتمد نمو العظام بصفة عامة على وفرة كافية من عناصر الكالسيوم والفوسفور وفيتامين د . الموجود في الطعام ، شريطة أن تكون في الصورة الكيميائية المناسبة للاستفادة منها . وتلك العناصر يعتمد بعضها على بعض من أجل سلامة العظام طول العمر ، فاذا نقصت قل ترسب الكالسيوم في النسيج العظمي ، فتضعف قوته على تحمل ميكانيكية الحركة ، ونلاحظ ان النسيج الغضروفي يكبر نسبيا ، وهو مستمر في النمو ، وباستمرار نقصان الكالسيوم يصبح تضخم الغضاريف واضحا من نهايات العظام اللينة ، بسبب عدم ترسب الكالسيوم فيها ، وهذا هو مرض لين العظام أو الكساح ، وذلك لأن هذه العظام ـ وقد أصبحت ذات نوعية رديئة ـ لاتقدر على تحمل الشد والجذب للحركة اليومية للجسم ، وهنا تكون الحاجة ماسة للفيتامين ج حيث انه هو العامل المنشط لبدء تكوين النسيج الاساسي للعظام السليمة ، ونقص هذا الفيتامين يؤدي الى مرض الاسقربوط ، وحتى في أقل درجاته يسبب تأخيرا في التحام كسور العظام ، أما اذا حرم الانسان من فيتامين (أ) فان نمو العظام يصبح غير طبيعي ، فيزيد سمكها ولاتأخذ شكلها الاسطواني المعروف ، ولكن زيادة فيتامين (أ) عن المطلوب يسبب أيضا تآكلا في العظام من خارج محيطها ، أما بعد تمام النمو والتحام مراكزه مع بعضها البعض ، فتبقى خاصية تجدد نسيج العظام من

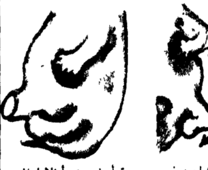
خلايا الغشاء المغلف لها من الخارج ومن داخل جدارها عند النخاع ، وكذلك تستمر عملية الامتصاص .

كذلك يتغير شكل العظام تبعا للحمل والنشاط



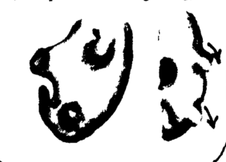
قطاع في عظمة جنين في عمر ٨ أسابيع

شكل ٤ أ



الجنين في عمر ستة أسابيع تبدأ الاطراف تتجه الى أسفل وتبدأ أيضا في الانثناء عند الكوع والركبة .

الجنين في عمر خمسة أسابيع ، الاطراف وقد بزغت مثل الزعانف على جانبي الجسم .



المطلوب منها ، وقد تضمر اذا لم تتحرك .

وحين تكسر عظمة ما ، فان الكسر يلتئم بفعل نشاط الخلايا البانية للعظام في الغشاء المغلف لها من داخل نخاعها ، وامراض العظام كثيرة ومتعددة ، فمنها الوراثي ، ومنها المكتسب بكافة أنواعه ، وهناك أيضا ماكان نتيجة لطول سنوات العمر .

دور العوامل الوراثية

قد يرث الطفل عدم قدرة خلايا العظام على تكوين النسيج ، فيولد وعظامه لينة ومشوهة وبها كسور متعددة ، وقد يكون الطفل عكس ذلك تماما ، فتكون عظامه صماء مليئة بالكالسيوم ، هشة قابلة للكسر بدون سبب ، وهؤلاء يعانون من الأنيميا الشاملة ، لعدم وجود نسيج النخاع في عظامهم ، لتكوين خلايا الدم المختلفة ، وقد يصابون بنوع من الصمم لخلو عظام آذانهم من التجاويف التي تضخم الصوت المسموع للأذن ، وقد يأتون عميانا نتيجة لاختناق عصب البصر في عظام الجمجمة ، وهذه بعض الأمثله فقط .

وهناك أمراض عديدة تؤثر على صحة العظام نفسها ويمكن تشخيصها من صور الأشعة ، مثل أنيميا تكسر الخلايا الحمراء ، والانيميا المنجلية ، والأنيميا البحرية ، وكذلك أمراض الخلايا البيضاء في الدم ، مثل اللوكيميا وأمراض سرطان العظام نفسها من ورم حميد وورم خبيث وتآكل العظام ، والأورام الثانوية في العظام ، مثل سرطان البروستاتا ، والثدى ، والغدة الدرقية ، والرئة والشعيبات . . . وهكذا أما التهاب العظام بسبب الميكروبات الصديدية والدرنية ، فهذه وان قل انتشارها نسبيا بفضل المضادات الحيوية في السنوات الأخيرة ، الا أنها بدأت في الظهور ثانية ، وذلك ربما كان بسبب استعمال المضادات الحيوية بكثرة وبطريقة عشوائية ، سواء من قبل المعالِجين أو المعالَجين ، مما أكسب الميكروبات مناعة ضد العقاقير ، كما يمكن اكتشاف التسمم بالمعادن والسموم من صور أشعة العظام ، مثل تسمم الزرنيخ والفوسفور والرصاص وغيرها . - - □



قال هربرت ريد « يبدأ الفن عندما ينتهي العلم » وربما قصد بذلك قدرة الفن على تجاوز حدود الواقع ، والتحرر من قيود التفكير أو التعبير المنضبط ، والتخلص من دقة الحسابات وشرطية العلاقات المنطقية ، لينطلق إلى اكتشاف آفاق جديدة تلهم خيال العلماء والفنيين ، وتحثهم على مزيد من التحديات العلمية والتقنية ، ومن الجانب الآخر يسعى العلم جاهدا لاخضاع الابداع الفني لوسائل التحليل والتركيب والتنظير ، ليكسب بذلك مناطق جديدة تدين للتقعيد والتقنين والتنميط .

تتجاوز العلاقة بين الفنون والعلوم رابطة النهاية والبداية التي طرحها هربرت ريد ، إلى كونها علاقة تبادلية ، وفي إطار هذه العلاقة يقوم العلم بتوفير وسائل مادية للتعبير الفني وإخراجه ونشره ، في حين يحث الفن العلماء على كسر القيود ، واقتحام الجديد ، ويكفي هنا مثلا ما يقال عن أثر روايات الخيال العلمي على برامج غزو الفضاء والاتصالات والكمبيوتر ، وعلى ما يبدو كلما ارتقى العالم وسما الفنان بدت الصلة بينهما أكثر وضوحا ووثوقا ، فلا تتسع ذروة الابداع الانساني لتقسيمات مفتعلة ، كتلك التي بين الابداع العلمي والابداع الفني ، أو بين العلوم والانسانيات ، أو بين الشكل والمضمون .

بين الفنون والعلوم

تاريخ الانجاز البشري حافل بالأمثلة التي تؤكد الصلة الوثيقة بين العلوم والفنون ، سنستعرض هنا بعض هذه الأمثلة التي تؤكد الطبيعة التبادلية لهذه العلاقة .

عندما اكتشف نيوتن نظرية الطيف اللوني التي أثبت من خلالها أن اللون الأبيض هو مزيج من ألوان الطيف السبعة ، هلل الفنانون التأثيريون لهذا الاكتشاف ، وجعلوا من مساحاتهم اللونية نسيجا من ألوان الطيف المتداخلة التي تعطي هذا النسيج ملمسا خاصا ، يضيف إلى العمل التشكيلي قيمة جديدة ، وكان أبرز هؤلاء الفنانين هو الفنان الفرنسي « سوراه » الذي صمم على تحويل جميع بقعه ومساحاته اللونية إلى مجموعة نقاط ملونة ، تمثل ألوان الطيف المناظرة التي تتم « غزلها » من آلاف النقاط الملونة والمتجاورة ، وهو الأسلوب الذي عرف « بالتنقيطية » . أعطى أسلوب التنقيطية هذا فكرة تكوين الصور على شاشات التيلفزيون ، حيث تتكون الصورة من نقطة واحدة تمسح الشاشة عرضيا وطوليا ، مع تغيير لونها في المواقع المختلفة ، وفقا لألوان الصورة المراد اظهارها .

ومع انتشار أساليب التحليل والتركيب العلمي ، خرج لنا بيكاسو وبراك بالتجريدية التحليلية التركيبية ، حيث قاموا بتحليل الأشكال إلى عناصر صغيرة ، وأعادوا تركيبها في صيغ جديدة ، وقد كان هذا مدخلا أساسيا للتجريد التشكيلي البحت الذي تخلص تماما من ارتباطه بموضوع معين ، وعندما ظهرت النظرية النسبية ، أثارت فكرة البعد الرابع « البعد الزمني » خيال الفنانين الذين حاولوا التعبير عنه تشكيليا بصور مختلفة ، فها هي متحركات المثّال « كالدر » تخرج النحت من استاتية الكتل الثابتة ، إلى دينامية المكونات التي يتغير شكلها تلقائيا ، تحت فعل الرياح أو تيارات المياه أو حركة الموتورات الكهربية ، أو تحت تأثير الأضواء المسلطة عليها ، حاول مصورون تشكيليون أيضا اضافة بعد الزمن إلى لوحاتهم ـ رغم التحدى الكبير ، حيث تقيدهم حدود لوحاتهم المسطحة ـ فنراهم يضحون بالبعد الثالث ـ فيسقطون المنظور لتصبح أشكالهم مسطحة ، أي ثنائية الأبعاد ، ولكنها تتغير في أوضاعها أو أشكالها ، وفقا لعلاقة منتظمة ومتواترة . يؤدى هذا التغيير المدروس إلى الخداع البصرى ، حيث تبدو الأشكال متحركة ومرتعشة بصورة مستمرة . واللوحة الشهيرة لبيكاسو « عن وجه امرأة » اختلط فيه المنظر الجانبي ومنظر الوجه الأمامي ، مثال آخر لمحاولة الفنان التشكيلي لابراز عنصر الزمن من خلال المزج بين وضعين مختلفين لرؤية الوجه في نفس الوقت .

ومع الثورة الألكترونية المعاصرة ، كان لا بد أن يلتقى الكمبيوتر ، رمز هذه الثورة التقنية ، مع الفن على جبهات مختلفة خاصة ، في مجال الموسيقا

والتشكيل . ففي مجال الموسيقا يستخدم الكمبيوتر لعزف الموسيقا ووضع الألحان ، وقد شهد كاتب هذه السطور في اليابان حفلا موسيقيا للعزف على البيانو بلا عازف ، حيث قام الكمبيوتر بمهمة العزف ، محركا أصابع البيانو ومفاتيحه تلقائيا ، وفقا للبرنامج المخزن في ذاكرته ، وبصورة تتطابق وأداء أمهر العازفين .

أما بالنسبة لعلاقة الكمبيوتر بالفن التشكيلي فتبدو الأمور أكثر تعقيدا وتشابكا ، وسنحاول هنا أن نتناول هذه العلاقة بمزيد من التفصيل ، ومع التركيز على الزخرفة العربية .

الكمبيوتر والفن التشكيلي

تسعى جميع الفنون إلى أن ترقى إلى درجة النقاوة التي حققها فن الموسيقا ، من حيث كونه فنا صرفا ، بالغ الصفاء والتجريد ، قائما بذاته ، لا يستعير من الفنون الأخرى ما يشوب تفرده واستقلاليته .

وقد حاول الفنان المجري الشهير (فازاريللي) أن يضع سلما تشكيليا ، كالسلم الموسيقي ، بحيث يمكن بواسطته تصميم اللوحات التشكيلية بأسلوب يماثل ذلك الذي يضع به الموسيقار سيمفونيته ، وتمادى فازاريللي في خياله وتصوره في إمكانية وضع هذا السلم التشكيلي في ذاكرة الكمبيوتر ، هادفا إلى مزج الفن بإمكانيات الكمبيوتر الهائلة ، وحتى تصبح عملية خلق الأشكال مزيداً من البرمجة الذهنية المحددة ، والاحساس التشكيلي المرهف .

وقبل فازاريللي بقرون عدة قدمت الزخرفة العربية مثالا مثيرا لالتقاء الفن التشكيلي بالمنطق الرياضي والعلاقات الهندسية ، والأهم من ذلك أن الزخرفة العربية اعتمدت في تصميمها على ترديدات نفس الوحدة الأساسية (basic block) وخلق الفنان العربي بذلك أبجدية تشكيلية خاصة به ، أمكن من خلالها صياغة عدد لانهائي من التكوينات الزخرفية .

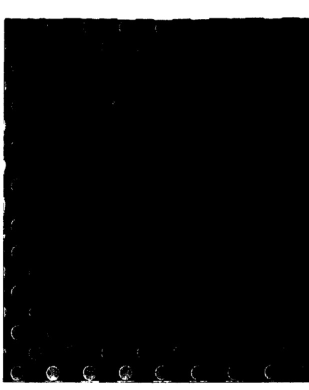
يعد بناء التصميمات من وحدة رئيسية متكررة أحد المفاهيم الأساسية للعلوم الحديثة ، وأساسا مهماً في عملية التحليل والتركيب ، وهو الأسلوب الذي يعرفه البعض بأسلوب التجزيئية (Modularity) . يأتي هذا المفهوم متمشيا مع الخصائص التركيبية لكثير من عناصر الطبيعة ، كتكوين العناصر من ذرات ، والأنسجة من خلايا ، والمركبات من جزيئات وهكذا . وهو يتفق أيضا مع معمارية الكمبيوتر نفسه الذي تتكون ذاكرته من مجموعة من الخلايا ، تحفظ البيانات بها باستخدام عنصرين أساسيين هما الصفر والواحد .

هذا التوافق بين بنية الزخرفة العربية ، ومعمارية الكمبيوتر من جهة ، وإمكانية إخضاع علاقاتها الهندسية للبرمجة الرياضية من جهة أخرى ، جعل منها موضوعا مثاليا لاستخدام الكمبيوتر في مجال الفن التشكيلي .

يوفر الكمبيوتر إمكانيات هائلة في تصميم الخطوط ، واختيار الألوان ومزجها ، ويوفر بآليته ألواناً من ٢٥٦ لوناً ، تغطي جميع الدرجات اللونية الممكنة ، وهو يشترك في ذلك مع الوسائل اليدوية في الرسم والتلوين ، ولكنه ينفرد في المرونة التامة في تصغير الأشكال وتكبيرها ، وتجزيئها وإعادة تجميعها ، وتحريكها ونقلها ، وكذلك دمجها مع أشكال أخرى ، يضيف هذا عنصر الدينامية لعملية الابداع التشكيلي نفسها ، ويحرر العمل من أسر استاتية الأوراق واللوحات ، لقد اكتشف أهل السينما هذه الأمكانات الهائلة ، فنراهم يستخدمون الكمبيوتر ليتحكم في توجيه الكاميرات ، وخلق المؤثرات التصويرية والصوتية ، وبرمجة الرسوم المتحركة .

ربما يرى البعض في ذلك ميكنة لعملية الخلق والابتكار ، وتعارضاً مع أصالة الابداع ، وإخضاع الفن للتقنين والتقعيد ، وفي رأيي ان الموقف هو العكس تماما ، فإن الأدوات والوسائل التي يتيحها الكمبيوتر ستحرر الفنان من كثير من القيود التي تحد إبداعه ، وتحصره في نطاق تجريبي ضيق ، لقد أثبت الكمبيوتر في جميع مجالات الفكر أنه عنصر مؤازر لتعزيز الابتكار والابداع .

أما كيف يتعامل الفنان مع آلته الجديدة ، فهناك عدة طرق لتصميم الأشكال بواسطة الكمبيوتر ،



- نموذج من اعمال الفنان فاريلي يتضح فيه تأثره بالزخرفة العربية

- بعض نماذج لأشكال زخرفية تمت برمجتها بالكمبيوتر

فيمكن للفنان أن يرسم على شاشة الجهاز مباشرة باستخدام ما يعرف بالقلم الضوئي ، أو يرسم بقلمه على لوحة رسم موصلة بالكمبيوتر الذي ينقل كل ما يخطه الفنان على اللوحة إلى شاشة الكمبيوتر مباشرة .

بجانب هذه الأساليب المباشرة هناك أسلوب برمجة الأشكال ، وهو حتما الأسلوب الأعمق والأعقد ، حيث يقوم الفنان بإصدار تعليماته للكمبيوتر ، مستخدما احدى لغات البرمجة ، كلغة (البيسك) على سبيل المثال ، ان دور الفنان هنا هو دور مؤلف الموسيقا الذي يقوم بوضع سيمفونيته في صورة مجموعة من الرموز والارشادات ، يذكرنا هذا بقولة (فازاريللي) الشهيرة : « أنا أضع معادلة اللوحة ولا أرسمها » .

استخدام الكمبيوتر في الزخرفة العربية

أتيح لكاتب هذه السطور معايشة تجربة مثيرة لاستخدام لغة البرمجة العربية المعروفة بأسم (لوغو) في إنشاء مكتبة للتصميمات الزخرفية بإستخدام الكمبيوتر ، لقد قام فريق البرمجة بتلخيص العلاقات الهندسية في صورة صيغ رياضية ، تتعامل مع عدة متغيرات ، بحيث يمكن تغيير نسب الأشكال وأحجامها وألوانها وعلاقاتها ، بإعطاء قيم مختلفة لهذه المتغيرات ، تقوم لغة (اللوغو) بتنفيذ الأشكال الزخرفية ، من خلال قدرتها الفائقة على تكرار الرسومات ، ومعالجة الألوان ، وتحريك الأشكال والتحكم فيها ، وقد جاءت النتائج مؤكدة للدور الكبير الذي يمكن أن يقوم به الكمبيوتر في إبراز جماليات الزخرفة العربية ، وسبر أغوارها ، وإكسابها طابع التغير والحركة ، يوفر ذلك مرونة كبيرة للمصممين في صنع تكوينات زخرفية جديدة ، ويعد ترجمة عملية للدعوة التي نادى بها كثيرون لتحديث التراث ، واستخدام التقنيات الحديثة ، في تقديمه لعرب اليوم صغارا وكبارا . □

وجهاً لوجه





فتحي غانم و أبو المعاطي أبو النجا

* لم تغب المشكلة الاجتماعية عن رواياتي ، ولكني اقترب منها من خلال التركيبة النفسية للشخصية

* تأثر عملي كروائي بعملي كمحقق وصحفي لكن كيف والى أي مدى ؟

* كانت سورة يوسف هي معلمي الاول في بناء الرواية . . . !

* تأثرت بشخصية « هانز كاستروب » في تحديد مصير منصور في الافيال ،

* على الاديب أن يواجه الواقع بدرجة من الحياد ليصل الى الصدق .

* نعم .. لعل البراءة الذكية جزء من ذاتي . . . . !

الاستاذ فتحي غانم كاتب مصري ، وهو واحد من أهم كتاب الرواية في مصر والوطن العربي ، له بصمة متميزة في أسلوبه ورؤيته الفنية ، عمل في بداية حياته المهنية كمحقق في وزارة التربية والتعليم ، ثم انتقل الى العمل بالصحافة كنائب رئيس تحرير في مجلة آخر ساعة ، ثم شغل عدة مناصب رئيسية كرئيس تحرير ، ورئيس مجلس ادارة لعدد من المؤسسات الصحفية الكبيرة .

من أهم مؤلفاته الروائية والقصصية والأدبية :

تجربة حب ، الجبل ، من أين ؟ ، الساخن والبارد ، الرجل الذي فقد ظله ـ(رباعية) المطلقة ، تلك الأيام ، الغبي ، الفن في حياتنا ، سور حديد مدبب ـ مجموعة قصص قصيرة ، زينب والعرش ، حكاية تو ، الافيال ، بنت من شبرا ، قليل من الحب وكثير من العنف .

قدمت ثلاثة من أعماله الروائية في التلفزيون العربي وهي « الرجل الذي فقد ظله » و « زينب والعرش » و « الافيال » وحققت زينب والعرش تفوقا كبيرا كعمل تليفزيوني جماهيري متميز .

أما الزميل أبو المعاطي ابو النجا ، فهو احد محرري المجلة ، والقصصي المعروف .

بين الصحافة والادب

● يلاحظ القارىء أن فنك الروائي قد تأثر في اختيار موضوعاته بعملك المهني ، سواء في فترة عملك كمحقق أو عملك في الصحافة ، هل تعتقد أن تأثير العمل المهني في فنك قد توقف عند حد اختيار الموضوع ، أم كانت له تأثيرات أخرى في الاسلوب أو في طريقة بناء الرواية ؟ بشكل عام نود أن تحدثنا عن رؤيتك لتأثير العلاقة بين عملك وفنك ؟

ـ هذه الملاحظة صحيحة بشكل عام ، فقد كانت رواية « الجبل » نتيجة لعملي كمحقق في الأحداث التي وقعت في قرية القرنة « التي بناها المهندس المعروف « حسن فتحي » ثم تعرضت لحادث حريق ، كما كان عملي في الصحافة هو المحرك الأساسي لروايتين من رواياتي الكبيرة « الرجل الذي فقد ظله » و « زينب والعرش » كما أن شخصية الصحفي تكررت في أعمال أخرى منها قصة قصيرة بعنوان « فترة من حياة بهية مسعود » التي أعتقد أنها كانت تحتوي على بذرة من بذور رواية « الرجل الذي فقد ظله » ومنها رواية « من أين » حيث أن بطلها صحفي ، وهي وان لم تتناول مهنة الصحافة ، الا أنها تناولت الموضوع الذي كان يقوم الصحفي بتحقيقه ، فإذا انتقلنا الى الجزء الأخير من السؤال عن تأثير عملي الصحفي أو عملي كمحقق في أسلوب كتابتي للرواية ، أو في طريقة بنائها ، فأعتقد أن هذا الجانب يثير قضية جديرة بالتأمل والمناقشة ، فمن ناحية ربما كان عملي كمحقق له أثره في طريقتي في الاقتراب من الحقيقة في أعمالي الروائية ، حيث يتوجب عليَّ أن أبحث عنها عبر قنوات متعددة ، وألا آخذها من مصدر واحد مهما يكن .

وقد ظهر هذا في رواية « الجبل » وفي رواية « الرجل الذي فقد ظله » .

الا أنه من المهم هنا أن أشير إلى أن بذرة هذا الاتجاه قد بدأت عندي في فترة مبكرة في بعض قصصي القصيرة ، كما سبق أن اشرت ، ولكن هذا لا يمنع من أن عملي كمحقق بلور هذا الاتجاه عندي وأنضجه .

ومن ناحية أخرى أرى أن السؤال عن تأثير عملي الصحفي في عملي الأدبي ربما له علاقة بما يقال من أنني متأثر في كتابة الرواية بأسلوب الكتابة الصحفية ،

وهذا هو الأمر الذي يحتاج الى شيء من المناقشة ، من وجهة نظري ، هناك أوجه للتشابه وأوجه للاختلاف بين العمل الصحفي والعمل الأدبي ، العمل الصحفي يبدأ بمتابعة حدث يقع في الخارج ، ثم يعبر عنه بالكلمة أو بالصورة ، الأديب أيضا يجب أن يبدأ من ملاحظاته لما يقع حوله من أحداث ، عليه أن يواجه الواقع من حوله بنوع من البراءة الكاملة ، أو من الحياد إذا صح التعبير ، لا بد من درجة من البكارة والعذرية ، وربما دهشة الشاعر ، ليكون قادرا على الوصول إلى ما نسميه الصدق أو الحقيقة ، لا أتصور أن الكاتب الذي يبدأ بمسلمات أو بأحكام جاهزة يمكن أن يوصلنا إلى هذا النوع من الصدق ، فهو في العادة يرى في الواقع أو لعله يساق إلى رؤية ما يؤيد وجهة نظره المسبقة ، أو يبرهنها ، وفي رأيي أن ما يقدمه مثل هذا الكاتب ليس أدبا روائيا بالمعنى الذي أرتضيه ، وليس معنى هذا أنني أرفض مثل هذا الأدب ، فمن حق كل كاتب أن يكتب بالمنهج الذي يرتضيه لنفسه ، ولكن طريقي أن ابدأ من خلال التجربة التي تنقلها حواسي ، وهي بعد ذلك توصلني الى نتيجة يمكن أن تكون مختلفة حتى عن توجهاتي المسبقة .

إذا كان العمل الأدبي والعمل الصحفي عندي يتفقان في البدء من ملاحظة الواقع الخارجي ، فان الاختلاف بينهما يبدأ أيضا بعد ذلك . . فالصحفي يسجل انطباعاته عن الحدث الذي رآه في الواقع فورا ، بأسلوب يتسم بالوضوح والبساطة ، أما الأديب فقد يحتاج الى سنوات لتأمل تجربة عاشها في الواقع ، قبل أن يكتبها في عمله الأدبي ، وبالنسبة لى فقد احتجت الى ثماني سنوات لأكتب رواية « الجبل » بعد أن عشت تجربتها في الواقع ، كما أن الأسلوب الأدبي يحتاج الى جهد من نوع خاص في اختيار الكلمات وصياغتها في نسق معين ، قادر على نقل الخبرة التي يتمثلها الكاتب الى القارىء ، والايحاءات التي يريد أن يوحي بها اليه ، هناك تصور أن الأديب الذي يعمل بالصحافة يتأثر أسلوبه الأدبي بالأسلوب الصحفي الذي يؤثر السهولة والوضوح عادة ولكن في الواقع هناك فرق بين السهولة والوضوح اللذين يكتب بهما الصحفي ، واللذين يكتب بهما الأديب ، فقد وصف النقاد أسلوب همنجواي الأدبي ـ وقد عمل أيضا بالصحافة ـ بأنه يكتب « بكلمات كأنها حصى تراه في غدير ماء صافي»وهم يعنون أنه يكتب بكلمات واضحة جدا محددة جدا ، إلا انها في النهاية من خلال هذا الصفاء وهذه الدقة التي ترسم بها الواقع ، تفجر في داخل القارىء المشاعر الجمالية التي يحس بها الكاتب .

هل يكون الكاتب محايداً ؟

● ● إذا أذنت لى فلدي تعليق صغير على جزئية في أول حديثك ، ثم توضيح لسؤالي حول النقطة التي تحدثت عنها أخيرا ، فإذا عدنا الى قضية حياد الكاتب بالنسبة للتجربة التي يعايشها ، فلا أظن أن مثل هذا الحياد موجود بالمعنى الدقيق ، فلكل كاتب وربما لكل انسان خلفية تؤثر في طريقة رؤيته للتجربة التي يمر بها في الحاضر وتفاعله معها ، ولعلك تقصد أن على الكاتب أن يخوض نوعا من الجهاد في سبيل ألا يبقى أسيرا لهذه الخلفية ، وهو يعيش تجربته الحية الجديدة ، وأن عليه أن يكون متفتح العقل والقلب ليتمكن من رؤية الجديد الذي قد تحمله هذه التجربة ، والذي يمكن أن يسهم في تغيير خلفيته . . فهل توافق على اضافة مثل هذا التوضيح . .

ـ تماما . . وأظن أن هذا ما كنت أقصده ، وان لم يسمح سياق الحديث بتوضيحه بهذه الدرجة .

● أعود اذن الى توضيح آخر لما كان في خاطري حين سألت عن تأثير العمل المهني في أسلوبك في كتابة الرواية وطريقة بنائها ، فقد كان لدى احساس بأن منهجك في بناء العديد من رواياتك أنك تبدأ دائما من لحظة أزمة أو ذروتها ، ثم تقوم بنوع من الرحلة وراء جذور هذه الأزمة في الماضي أو الحاضر متابعا لفروعها في المستقبل ، وان هذه الرحلة تشبه من بعض الوجوه رحلة الصحفي الذي يبدأ تحقيقه من ذروة أزمة ثم يتابع الشخصيات والأحداث في مواقع وأزمنة مختلفة ليصل الى نوع من الحقيقة ، وان مهنة المحقق أيضا ربما كان لها تأثير على طريقتك في عرض موضوع الرواية ، من

خلال شخصيات مختلفة ، على النحو الذي أوضحته في حديثك عن « الرجل الذي فقد ظله » .

سورة يوسف هي البداية

- أوافقك الى حد ما على وصف الظاهرة ، ولكني ربما أختلف في تقدير الأسباب والدوافع . . فقد تدهش اذا قلت لك انني لم أمارس العمل الصحفي بالطريقة التي تشير اليها ، فلم أكتب خلال عملي بالصحافة تحقيقات صحفية أو اخبارا صحفية ، لقد كان أول عمل صحفي لي هو العمل كنائب رئيس تحرير ، وفي الواقع أنني دخلت الصحافة من باب الأدب ، ومع ذلك فأنا أوافقك على وصف طريقتي في بناء الرواية ، فأنا أبدأ من لحظة أزمة أو من ذورتها ، وأضيف هنا أنني أحرص على الانتقال من ذروة الى ذروة أخرى ، وهذه فرصة لأحدثك عن بدايات هذا التفكير لدي في بناء الرواية . . وأذكر أن هذه النقطة بالتحديد كانت مجال مناقشات طويلة بيني وبين الصديق الناقد والكاتب الأستاذ بدر الديب في الأربعينيات .

لقد قلت له يوما (وبالمناسبة أنا حفظت القرآن الكريم في طفولتي المبكرة) سأقرا عليك سورة « يوسف » كما لو كنت اقرأ قصة ثم قلت له : الا ترى أن القصة تبدأ مباشرة بلحظة أزمة : « أولاد يريدون أن يخرجوا مع أخيهم والأب خائف » وهذه أزمة ثم يسقط يوسف في البئر ، ذروة أخرى ، ثم « يدخل يوسف على امرأة العزيز في مصر ثم هَمَّت به وهَمَّ بها » ، ذروة أخرى ، ثم دخول السجن ثم الحلم ثم الخروج ثم القحط . . . الخ .

اعتقد أنه من هنا ، من تأثير سورة يوسف بدأ الاهتمام عندي بأن تكون مراحل القصة عبارة عن مجموعة من الذرا التي تشد القارىء ، ثم حدث تأثر آخر في حقبة الخمسينيات ، فقد التقيت بمجموعة من كتاب السيناريو الأمريكان ، وطلبوا المساعدة في كتابة سيناريو فيلم اسمه (عبد الله الكبير) عن حياة شخصية تشبه شخصية الملك فاروق مع ثورة يوليو ، في أثناء هذا العمل المشترك كانوا يتحدثون معي عن ضرورة أن تعتمد المعالجة السينمائية على أسلوب الانتقال من ذروة الى ذروة ، بطريقة تحتفظ باهتمام المشاهد ، ومازلت أذكر من أحاديثهم معي :

« أكتب على هذا النحو : شخص يسرق ياقوتة بمليون جنيه ، ثم يضعها في جيب شخص لا يدري عنها شيئا ، ثم اجعل هذا الشخص الذي يحمل الياقوتة في جيبه يفعل أي شيء ، وتأكد آنذاك أن كل الناس سوف يهتمون بما يفعله هذا الشخص ، ومهما يكن ما يفعله ، لأنك وضعت بذرة الاهتمام بسلوكه منذ البداية .

كانت تلك طريقتهم في الحديث عن أهمية المحافظة على اهتمام المشاهد ، وطبعا كل كاتب يسعى الى ذلك بطريقته الخاصة ، وأذكر أيضا في نفس الحقبة أنني نشرت حديثا في آخر ساعة سنة ١٩٥٤ ، أجريته مع الكاتب الروائي الانجليزي « سمرست موم » وكان وقتها في ذروة مجده الأدبي ، ومن كلماته التي لا أزال أذكرها في هذا الحديث : الرواية أولا وثانيا وعاشرا رواية أحداث تشد انتباه القارىء .

هذه بعض المؤثرات البارزة القديمة التي أسهمت في تكوين فكرتي عن طريقة بناء الرواية ، وربما بعد ذلك اثرت المهنة ، سواء في التحقيق أو الصحافة على انضاج هذا الأسلوب أو هذه الطريقة .

بذور الرجل الذي فقد ظله

● قبل أن تترك هذه النقطة تماما دعني أذكرك بما أشرت اليه في بداية هذا الحديث ، من أنه كانت في بعض قصصك القصيرة المبكرة بذور لرواية « الرجل الذي فقد ظله » ، فلقد كنا نظن دائما أنك تأثرت في تقنيتها برباعية الاسكندرية « لداريل » أو أنها مهنة المحقق الذي يرى الواقعة الواحدة دائما من وجهات نظر متعددة بتعدد الشخصيات التي عاشت التجربة الواحدة .

- هذه فرصة أيضا لأقول لك انني لم أقرأ رباعية « داريل » الشهيرة عن الاسكندرية . . . وان كنت أؤكد هنا ما سبق أن قلته من أن مهنة المحقق بلا شك قد أثرت في طريقة اقترابي من الحقيقة وبلورتها في

مجموعة قصص « سور حديد مدبب » قصة قديمة كتبتها قبل أن أكتب أيا من أعمالي الروائية هي قصة « غروب شمس » وهي تستعرض عدة لقطات لعدة شخصيات ، وهي تمارس حياتها المعتادة في لحظة غروب الشمس التي تشكل الاطار الزماني للقصة ، كما يشكل شاطىء البحر الاطار المكاني لها .

الشخصية الأولى في القصة فتاة انفصل أبوها عن أمها ، وتتعرض حياتها لاضطرابات عاطفية كبيرة ، الفتاة تسبح في مياه البحر في لحظة الغروب ، ومع الوهن تتعرض لمشاعر يائسة ، تجعلها تحس برغبة في الغرق ، وتكاد تستسلم لهذه الرغبة ، في اللحظة ذاتها أستاذ في علم الآثار يتمشى على الشاطىء مع صديق له ، ويحدثه عن معنى غروب الشمس عند قدماء المصريين ، وكيف أنها تقوم بنقل أرواح الموتى الى العالم الآخر .

في الوقت نفسه صاحب مقهى يونانى يقف على باب المقهى ، ينتظر الزبائن الذين يبدأ توافدهم على مقهاه كل ليلة بعد غروب الشمس ، لتدب الحياة في المقهى . . . الخ . . . . . الخ .

والبنت تكاد تغرق ولا أحد من هؤلاء يشعر بها ، وأود أن أشير هنا أيضا الى أن هذا النوع من البناء القصصي الذي ظهر عندي في فترة مبكرة ويقوم على النقلات السريعة ، يربط تنوع الايقاع فيه في القصة الواحدة مع تنوع الشخصية والموقف . . فمثلا في قصة « خضرة البرسيم » تجد ثلاثه إيقاعات مختلفة مثل الحركات المختلفة في السيمفونية الواحدة ، فهناك الجملة السريعة في بعض أجزاء القصة ، ثم الجملة الطويلة في جزء آخر ، ثم الجملة المركبة في جزء أخير . . وقد تطور هذا الاتجاه بوضوح في « الرجل الذي فقد ظله » فالايقاع في الجزء الثالث الذي بطله ناجي « وتدور أحداثه في باريس ، يتميز بأنه ايقاع سريع حديث ، بخلاف الايقاع مع « مبروكة » الفتاة الريفية الذي يتسم بالبطء والهدوء

البراءة الذكية

● في شخصية « علياء في المدينة » سيناريو تلفزيوني كما في شخصية « يوسف منصور » التي ظهرت في العديد من رواياتك بنفس الاسم ، يلاحظ القارىء سمة نفسية غالبة تتردد كالنغمة الأساسية مع هذه الشخصيات « البراءة الذكية » وأعني بالبراءة شيئا غير السذاجة ، أو قلة الخبرة ، بل أعني درجة من صفاء العقل ونزاهة التفكير ، والقدرة على رؤية الحقائق بعيدا عن تحيزات الأهواء والأوهام الذاتية .

ودائما تستفز هذه البراءة تحيزات الآخرين ، ربما لأنها تكشف هذه التحيزات وتصطدم بها ، فتحارب وتتهم ، وتدخل في صراعات لا تنتهي ، ما معنى وجود سيطرة هذا الجانب في هذه الشخصية التي يرى البعض انها تمثلك شخصيا ؟ أو ربما على الأقل جانبا منك ؟

ـ حقيقة هذه الشخصية فرضت نفسها عليَّ فرضا من خلال نوع من التربية المثالية التي تعرضت لها في طفولتي ، لقد فرض عليَّ أن أكون الطفل الطيب المثالي ، ولقد صورت جوانب من هذه الشخصية في علاقة « يوسف منصور » بزميل له في المدرسة اسمه « أنفش » ، وقد خرج « أنفش » هذا مع يوسف منصور الى ميدان باب الحديد وعرض عليه أن يدخن أول سيجارة .

ولقد عانيت الكثير في طفولتي وشبابي بسبب هذه التربية ، فلقد كنت أتعرض دائما لسوء الفهم من جانب الأصدقاء ، يفهمون امتناعي عن المشاركة لهم في لهو الشباب وعبثه ، على أنه نوع من التعالي أو العبط أو البلاهة ، أو عدم الرغبة في الانتماء لطبقتهم .

وكان البعض يرى أنه لا سبيل لاثبات صداقتنا الا بأن نتبادل الشتائم ونشترك في نفس السلوك ، ولم يكن من السهل أن أتجاهل تأثير هذه المرحلة ، ولعلها ساعدتني في مراحل تالية على أن أدرك الكثير من أنواع سوء التفاهم البشري الذي ينجم عن تحيز الأفراد والجماعات لأهوائهم أو لأوضاعهم الخاصة .

وضرورة الوصول الى درجة من الموضوعية ، وربما لهذا صلة بالحياد المطلوب للكاتب الذي بدأت بالحديث عنه ، والقدرة والرغبة في ادراك معطيات التجربة الواقعية بشكل موضوعي .



بقلم : سليم سحّاب*

تبدو الموسيقا العربية للكثيرين وكأنها نقيض للموسيقا الأوروبية الكلاسيكية . وبأننا أمام أحد طريقين : إما الاتجاه « للعالمية » عبر البوابة الأوروبية ، أو البقاء ضمن الأطر الشرقية المعروفة لدينا منذ زمن بعيد . . فهل من بدائل أخرى ؟

كان يمكن لموضوع علاقة الهارمونيا الأوروبية بالموسيقا العربية أن يظل أسير دوائر المؤتمرات الموسيقية المتخصصة ، والأبحاث الموسيقية الأكاديمية ، لولا أن هذا الموضوع انتقل منذ مدة طويلة من الحيز النظري الى الحيز العملي ، ليس فقط عبر محاولات كثيرة لتطبيق قواعد الهارمونيا الأوروبية (البدائية والمتعمقة) في شتى مجالات الموسيقا العربية ، بل ان المسألة تحولت ، بطروحاتها النظرية وتجاربها العملية على يد عدد كبير من الملحنين أصحاب الألحان الرائجة جماهيريا ، الى مادة متداولة في الثقافة الشعبية ، أبرز ما فيها ـ للأسف ـ انتشار ذلك الاعتقاد الخاطىء انتشارا شعبيا واسعا ، بأن الموسيقا العربية التي لا تستعير آفاق الهارمونيا الأوروبية هي موسيقا متخلفة ، بعيدة عن التفكير الموسيقي ، وبالتالي فان معيار التطور العلمي لأي انتاج موسيقي عربي معاصر ، هو مدى اقترابه أو عدم اقترابه من صيغ الهارمونيا الأوروبية .

ان هذا الرأي الشائع خديعة علمية مكشوفة ،

---

* اختصاصي موسيقا من القطر اللبناني ، حاصل على ماجستير في الموسيقا ويحضر لرسالة الدكتوراة ، رئيس فرقة الموسيقا العربية .

سببها ، بالاضافة الى عقد النقص أمام الغرب ، التي تشمل كثيرا من نواحي حياتنا السياسية والثقافية ، عدم التعمق الكافي في التعرف العلمي بكل الأعماق النظرية للهارمونيا الأوروبية من جهة ، وللمقومات النظرية للمقامات العربية ومكوناتها من جهة أخرى .

ان عقد النقص أمام العلم الأوروبي شوشت كثيرا احتمالات الاستفادة من العلوم الموسيقية الأوروبية ، فأصبح استعمال « الكليشيهات » الهارمونية الطابع المشترك لكل من أراد استعمال الهارمونيا في التوزيع الموسيقي ، دون الأخذ بالحسبان أن الهارمونيا الأوروبية وضعت لتلائم طبيعة اللحن الأوروبي ، البعيد كل البعد عن طبيعة اللحن العربي .

تعدد الأصـــوات

كيف ظهر تعدد الأصوات في الموسيقا ؟ المعروف أن أول نشاط موسيقي قام به الانسان هو الغناء ، فهو النشاط الموسيقي الوحيد الذي لا يحتاج الى تصنيع آلة موسيقية ، فآلة الغناء هي الحنجرة ، والمعروف تاريخيا أن التصنيع ظهر كنشاط انساني بعد مدة طويلة من ظهور المجتمعات الانسانية البدائية ، أما ظهور الغناء المتعدد الأصوات فتقول نظرية موسيقية أوروبية ، ان سببه قد يكون ظهور النشاط الغنائي الجماعي ، واذا لم يكن الغناء الفردي مشكلة لأن المغني كان يختار الطبقة المريحة والمناسبة لصوته ، فان الغناء الجماعي خلق مشكلة كبيرة هي عدم ملاءمة الطبقة الواحدة لجميع الأصوات المشتركة في الغناء ، من هنا ظهر النشاز ، أي الخروج عن اللحن لعدم امكان الغناء الصحيح ، ونلاحظ الظاهرة نفسها حين نسمع غناء مجموعة غير مدربة من الأطفال ، ومع الوقت اتجه النشاط الموسيقي الغنائي نحو تنظيم الأصوات الناشزة في الغناء الجماعي ، الخارجة عن اللحن الأحادي الأساسي ، والاستفادة من اختلاف طبقات الأصوات المؤدية ، وهكذا ظهر حسب هذه النظرية الموسيقية تعدد الأصوات في الغناء الجماعي ، هذه الظاهرة تفشت في الموسيقا الشعبية لدى شعوب أوروبا وافريقيا ، كشعب الكونغو مثلا ، وغيره من الشعوب الافريقية . ويلاحظ عدم انتشارها عند الشعوب الشرقية .

وربما كان السبب في عدم وجود النشاز في الغناء في الشرق هو أن الشعوب الشرقية عرفت الآلات الموسيقية ، وتفننت في صناعتها قبل ظهور هذه الآلات وصناعتها في اوروبا بمدة طويلة جدا تقدر ببضعة آلاف من السنين . فأصبح النشاط الموسيقي عند شعوب الشرق مقسما بين الغناء والعزف ومصاحبة الغناء ، فيما انحصر النشاط الموسيقي في أوروبا القديمة وافريقيا بالغناء فقط لعدم ظهور الآلات الموسيقية لمدة طويلة ، فيما عدا الآلات الايقاعية في افريقية . لذا تطور الغناء عند هذه الشعوب حتى وصل الى تعدد الأصوات .

وهنا لابد من الحديث عن بعض النظريات الموسيقية لتنجلي الرؤية : ان اللغة الجديدة ، الهارمونيا ، التي احتلت مكان « البوليفونيا » ، اخذت مع الوقت تشكل نظاما مستقلا من العلاقات الداخلية بين درجات السلم الموسيقي الواحد « توناليتي » وأصبح في وسط محور هذه العلاقات علاقة الدرجة الرابعة بالثالثة هبوطا ، وعلاقة الدرجة السابعة بالثامنة صعودا .

هذه العلاقات أوجدت مع الوقت نظاما صارما للتحرك النغمي . إنّ في اللحن الأساسي أو في التجانسات اللحنية الهارمونية ، وسمي هذا النظام : الوظيفة الهارمونية ، وظهرت الوظيفة الهارمونية الأساسية في النظام الهارموني الكلاسيكي الغربي المبني على التتابع النغمي التالي : الدرجة الأولى ـ الرابعة ـ الخامسة ـ الأولى . وفيما كانت العلاقة مهمة في البدء في التجانسات العمودية فقط ، أصبحت فيما بعد مهمة أيضا في اللحن الأفقي ، فأصبح من الضروري في الغناء أو العزف ، لدى أداء الدرجة الرابعة ، أن تكون متوترة ومشدودة نحو الدرجة الثالثة هبوطا بما يذكرك بهذه العلاقة ، كذلك الدرجة السابعة وأداؤها مشدودة صعودا نحو الدرجة الثامنة ، جواب الدرجة الأساسية في السلم الموسيقي ، وبذلك تأتي السابعة متوترة لتوقها الى الحل ، أي الى الاستراحة على أساس السلم الموسيقي ، لذا صنفت الدرجة الرابعة على رأس الأصوات غير الثابتة ، وسميت السابعة بالحساس حسب النظريات الموسيقية الفرنسية ، وبالصوت الجاذب أو القائد بنظريات موسيقية أخرى .

اذا عدنا الى النظام الهارموني وحللناه ، نرى أهمية

ظهور العلاقة اللحنية بين الدرجة الرابعة والثالثة هبوطا والسابعة والثامنة صعودا ، وهذا ما يثبت ان السلم الموسيقي الأوروبي (تونـاليتي) سبك سبكـا لكي يتلاءم مع الوظيفة الهارمونية : أولى ـ رابعة ـ خامسة ـ أولى . هذه الوظيفة الهارمونية أصبحت الهيكل الذي قامت عليه المدرسة الأوروبية الكلاسيكية ، وما لحقها حتى القرن العشرين ، وبلغ هذا النظام الوظائفي الهارموني حدا من الصرامة جعل أي خروج على هذا التسلسل التجانسي هرطقة موسيقية ، وأعظم هذه الهرطقات استعمال تجانس الدرجة الرابعة بعد تجانس الدرجة الخامسة بدلا من العكس .

ومع ترسيخ اللغة الموسيقية الجديدة التي استحدثتها الوظائف الهارمونية ، أصبح اللحن القريب من الطابع الشعبي الصرف يتعارض مع اللغة الجديدة ، من هنا أصبحت الحاجة ملحة لاستحداث نظام لحني جديد ، يتناسب مع اللغة الهارمونية الجديدة ، فكان ظهور السلم الموسيقي الأوروبي الحديث • « تونـاليتي » ، ولن أسميها مقاما ، وذلك للفارق النظري الكبير بينهما كما سنرى لاحقا .

السلم الشرقي

ماذا عن السلم الموسيقي القديم ؟ هل اختفى من الاستعمال الموسيقي ؟ كلا ! انه السلم الموسيقي للموسيقا الشعبية في كل العالم ، وهو أساس الموسيقا الشرقية وبالذات الموسيقا العربية ، محور اهتمامنا ، فما هو الطابع الأساسي للمقامات الشرقية عموما والعربية خصوصا ، وهل فيها علاقات خاصة بين درجاتها ؟ نعم ، هناك علاقة مهمة تشكل التركيب الأساسي للمقامات الشرقية ، وتتلخص في علاقة جميع درجات المقام من جهة والدرجة الأساسية للمقام من جهة ثانية ، أي أن الدرجة الأساسية تشكل نقطة الثقل والجذب في المقام الذي تؤول اليه كل الدرجات الأخرى ، وهذا ما يفسر أهمية القفلة في الموسيقا العربية . فهي تشكل المحطة الأساسية في صلب التلحين أو الغناء أو التقاسيم ، ولنذكر قفلة « ياريتني عمري ما حبيت » من أغنية أم كلثوم « أنا في انتظارك » أو قفلة موشح « وجهك مشرق بالأنوار » أو قفلة موشح « ملا الكاسات » لمحمد عثمان أو قفلات دور « أحب اشوفك » لمحمد عبدالوهاب .

وتلخيصا للفوارق النظرية بين السلم الموسيقي الغربي والمقام الشرقي نقول ان في السلم الموسيقي الأوروبي درجتين تتقاسمان تجاذب باقي درجات السلم : الثالثة لجذب الدرجات نزولا من خلال الرابعة ، والأولى أو جوابها ، لجذب الدرجات صعودا من خلال السابعة (الحساس) ، وفي المقام الشرقي درجة واحدة تشكل محور التجاذب الوحيد ، وهي الدرجة الأولى الأساسية أو جوابها في المقام .

ولكن هل هذه الفروقات « البسيطة » على ما يبدو تكفي لأن تكون فوارق مبدئية تحول دون استعمال الهارمونيا الأوروبية الكلاسيكية في الموسيقى العربية ؟ أم أنها « حجة » فقط يتخذها « المتعصبون » للموسيقا العربية « ضد » الموسيقا الأوروبية والعلم الأوروبي ؟

السلم الموسيقي والمقام

في سنة ١٩٥٨ ظهر كتاب للموسيقي النمسوي ، اليوغوسلافي المولد والأمريكي الجنسية رودولف ريتي تحت عنوان المقامية ، اللامقامية والمقامية الشاملة وفي الطبعة الثانية سنة ١٩٦٢ ظهر تحت عنوان جديد : « السلم الموسيقي في الموسيقا المعاصرة » . وقد ورد في هذا الكتاب مقطع في منتهى الخطورة فيما يتعلق بالفوارق المبدئية بين السلم الموسيقي الأوروبي الكلاسيكي ، وبين السلم الموسيقي الشرقي ، نورده حرفيا نظرا لأهميته ولارتباطه الشديد بموضوعنا :

« . . . منذ نحو مائة عام اصطدم الموسيقيون الأوروبيون الذين وجهوا اهتمامهم الى الألحان الشرقية « الغريبة » ، بواقع صاعق لا شك فيه : ان هذه الألحان المذكورة لم تكن في غنى عن المصاحبة الهارمونية وحسب ، بل انها كانت تقاوم هذه الهارمونيا . وقد باءت بالفشل الذريع كل المحاولات لجعل هذه الألحان مقبولة للأذن الأوروبية ، أو الباسها هارمونيا جيلة ، أو سكبها في القوالب الهارمونية المستعملة ، وقد ظهرت استحالة ذلك تقنيا بدون تغيير أصوات هذه الألحان ، أو بدون تغيير الجملة اللحنية ، وكان أي تغيير يشوه طبيعة اللحن ، نازعا عنه جماله ولونه الخاص ، ونزيد على ذلك ، كما علمنا تاريخ الموسيقا ، أن الألحان ذات الطابع

الهارموني ، لم تكن تستطيع أن تشارك في صنع الحضارة الموسيقية قبل ظهور التفكير الموسيقي الهارموني (الهارموني بالذات وليس البوليفوني) ، ولذلك سمينا هذا النوع من السلالم الموسيقية : « السلم الموسيقي الهارموني » .

وبالتالي فاذا كانت الألحان الدائرة حول المركز المقامي تقاوم الهارمونيا في حال ، وفي حال آخر لا تنتشر موسيقيا الا اذا اقترنت بالهارمونيا ، فان هذه الظاهرة تشكل دليلا لا يقبل الجدل على وجود نوعين من السلالم الموسيقية ، ومن المنطقي حتما ان الموسيقا ذات الطابع اللحني اختفت من الاستعمال في فترة سيطرة التفكير الهارموني في الموسيقا ، وكان من المحال ظهور هذه الموسيقا اللحنية الطابع قبل « الخلاص » من السلم الموسيقي الهارموني ، وقد حدث هذا في نهاية القرن الماضي مع ظهور الموسيقا المعاصرة ، ومن الطبيعي أن فكرة « السلم الموسيقي اللحني » « ظهرت عندئذ . . . . . . » .

وهذا دليل موسيقي من جهة اخرى على الاختلاف الجذري بين طبيعة « السلم الموسيقي الهارموني » في الموسيقا الكلاسيكية الأوروبية ، الذي لا تقوم له قائمة بدون الهارمونيا الكلاسيكية ، وبين « السلم الموسيقي اللحني » في الموسيقا الشعبية أينما وجدت .

اللحني والهارموني

عند تصنيف الموسيقا الأوروبية بين كلاسيكية ورومانسية ومعاصرة ، لم يخطر على بال احد أن يسأل لماذا لم تدخل الى هذه التصنيفات الأسماء التالية : غلينكا ، تشايكوفسكي ، بورودين ، ريمسكي - كورساكوف ، موسورغسكي ورحمانينوف ، وهل هم كلاسيكيون أم رومانسيون ؟ ان هؤلاء العباقرة الذين يشكلون المدرسة القومية الروسية الكلاسيكية لدى استعمالهم الألحان الروسية الشعبية ، أو لدى كتابتهم ألحانا تحتوي على جميع خصائص الموسيقا الشعبية الروسية ، لم يعالجوا هذه الألحان بالهارمونيا الكلاسيكية الأوروبية ، بل أوجدوا لغة هارمونية جديدة تتلاءم مع « السلم الموسيقي اللحني » للموسيقى الروسية ، لذلك لم يضطر الموسيقيون الروس الكبار الى تغيير التركيب اللحني للألحان الشعبية الروسية التي استعملوها في أعمالهم الموسيقية ، بينما اضطر الموسيقيون الأوروبيون الكلاسيكيون الى ذلك ، كي يتلاءم السلم الموسيقي الميلودي للألحان الشعبية المستعملة في موسيقاهم مع النظام الهارموني الكلاسيكي الذي كان سائدا ، وعلى رأس هؤلاء بيتهوفن ، والأمثلة على ذلك بالعشرات ، خصوصا في سمفونيته السادسة المعروفة بالريفية ، حيث تغيرت كل الألحان الشعبية المستعملة فيها على كثرتها ، لتتلاءم مع النظام الهارموني المستعمل لمعالجة هذه الألحان ، واللحن الشعبي الوحيد في هذه السمفونية الذي لم يخضع الى التغيير الميلودي هو لحن رقصة الفلاحين في الحركة الثالثة ، قبل العاصفة وذلك لأنه استعمل بدون أية معالجة هارمونية وقد استخدمه لحنيا فقط . وفي مثال موح آخر فان علينكا ، مؤسس المدرسة الموسيقية الروسية القومية الكلاسيكية بعد عودته من دراسته في ايطاليا وألمانيا ، وكتابته سمفونيته « تاراس بولبا »وهي السمفونية الروسية الأولى ، على أساس ألحان شعبية روسية جمعها لهذا الهدف ، مزق سمفونيته هذه بالرغم من الألحان الشعبية ، كونه وجد ان الهارمونيا الكلاسيكية الأوروبية ، التي استخدمها ، لم تنسجم مع الألحان الروسية الشعبية التي عالجتها ، كذلك لم يتقيد شوبان ، عبقري الهارمونيا ، بالوظيفة الهارمونية الكلاسيكية في معالجته للألحان الشعبية البولونية التي استعملها في موسيقاه ، وهذا هو السبب الذي جعل عبقريا آخر مثل فرانز ليست لا يفهم عبقرية شوبان .

بكلام آخر : ان الهارمونيا الأوروبية الكلاسيكية التي كانت تستخدم لمعالجة الألحان المبنية على « السلم الموسيقي الهارموني » لم تصلح لمعالجة الألحان ذات الطابع الشعبي الروسي والبولوني المبنية على « السلم الموسيقي اللحني » .

ان اللغة الهارمونية الجديدة لمعالجة المادة الموسيقية ذات الطابع اللحني وصلت الى ذروتها في الموسيقا الروسية مع موسورغسكي ، وقد لفتت لغته الهارمونية الجديدة نظر أهم موسيقيي فرنسا المخضرمين ، كلود ديبوسي الذي ما ان عاد الى فرنسا من روسيا ، بعد ان تعرف الى موسيقا موسورغسكي ، حتى انكب على دراسة الموسيقا الشعبية الفرنسية القديمة ، فوجد الدلائل نفسها : ان الموسيقا الشعبية الفرنسية مبنية على « السلم الموسيقي

اللحني » ، ولا يجوز اطلاقا استعمال الهارمونيا الكلاسيكية في معالجتها . من هنا ظهرت المدرسة الجديدة في الموسيقا الفرنسية : الموسيقا الانطباعية ، وما تبعها ، المبنية أساسا على لغة هارمونية جديدة ، وضعت خصيصا لتتلاءم مع طابع الموسيقا القومية الفرنسية .

الموسيقا العربية والهارمونيا

اين الموسيقا العربية من كل هذه المشكلات ؟ ان الموسيقا العربية موسيقا لحنية قائمة على المقام ، وهذا ما أسماه ريتي « السلم الموسيقي اللحني » . وعليه فان استعمال الهارمونيا الأوروبية الكلاسيكية لا يتناسب مطلقا مع طبيعة هذه الموسيقا اللحنية ، ويشهد على ذلك غلينكا وموسورغسكي وشوبان وديبوسي وبيتهوفن مدعومين بنظرية ريتي في كتابه المذكور ، ان استعمال هذه الهارمونيا بدون تغيير يؤدي حتما ، كما حصل في التجربة التي رواها ريتي ، الى ضرورة تغيير الطبيعة الداخلية للحن العربي ، حتى تتناسب مع التسلسل الهارموني الكلاسيكي . ويلاحظ ذلك في تراث الاخوين رحباني اللذين أخذت الحانهما مع الوقت وبسبب الابتعاد عن الخط اللحني الأصيل تفقد من جمالها وعرض جملها اللحنية ، وأخذت تبتعد شيئا فشيئا عن المقامات العربية لأن هاجسهما الأول وهو الهارمونيا والتوزيع الأوركسترالي لا يلائمها ، الى أن اختفت من أعمالهما هذه المقامات العربية . . . ومع الوقت أُتْبِعَتْ الحملة اللحنية بالتوزيع الغربي ، فراحت تتغرب الى ان فقدت نهائيا صلتها بالتراث العربي ، واتجهت نهائيا الى الغرب . . . . » .

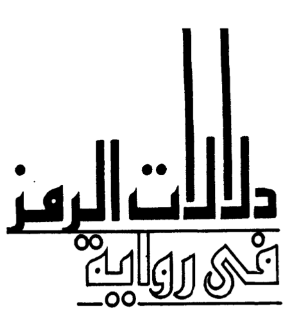
البديل الموسيقي

إن الموسيقا العربية وجدت لنفسها طريقة تطوير لا تقل عن الهارمونيا خلقا وابداعا وتلوينا ، هذه الطريقة هي ما نسميها في التلحين العربي « السكك المقامية » ، المبنية على طبيعة اللحن العربي المرتكز على « السلم المقامي اللحني » . وليس صدفة أن الفارق بين عباقرة التلحين العرب من جهة ، وبين الملحنين العاديين من جهة أخرى هو بشكل أساسي تعمق العباقرة دون سواهم في الامساك بجميع أسرار السكك والتلوينات المقامية ، وطرق العودة الى المقام الأساسي ، وهذه السكك المقامية تقوم بدور التلوين الموسيقي والانفعالي الذي تؤديه الهارمونيا في الموسيقا الاوروبية . اما اذا اردنا استعمال الهارمونيا ، فان ادخال « كليشيهات » هارمونية كلاسيكية أوروبية درسناها في سنة أو سنتين هو استخفاف كبير بالموسيقا العربية ، وبالموسيقا الغربية والهارمونيا الغربية .

ان المدرسة الموسيقية الروسية ابدعت لغة هارمونية جديدة تتناسب مع طبيعة اللحن الروسي ، ولم تلق بالا الى ان هذه اللغة الهارمونية تتناقض مع قواعد الهارمونيا الأوروبية الغربية الكلاسيكية أو لا تتناقض ، فالمهم عندهم كان الا تتناقض مع روح الموسيقا الروسية ، كذلك ديبوسي الذي استنبط بعد دراسته للحن الشعبي الفرنسي هارمونيا جديدة تتناسب مع اللحن الفرنسي ، وشوبان البولوني عند معالجته للحن الشعبي البولوني ، ان الكسل وعدم المعرفة وعقد النقص يجعل بعض موسيقيينا يستعملون القليل الذي تعلموه مفضلين « سكب » ألحان في هذه القوالب الهارمونية الجاهزة ، على الجهد لاستنباط لغة هارمونية جدبدة من طبيعة اللحن العربي نفسه .

هذا للاسف ما يحصل ، ولذلك نرى اللحن العربي وبالأخص اللبناني الحالي مشوها ، وفي أحسن أحواله يشبه الألحان الأوروبية في الأغنيات الخفيفة الراقصة . فهل هذه هي طريقة تطوير الموسيقا العربية ؟ وهل هكذا ندخل « التفكير الموسيقي » الى الموسيقا العربية ، كما يحلو لبعض الموسيقيين الجدد أن يقولوا ، وكأنها كانت خلواً من التفكير قبلهم ؟

نحن مع تطوير موسيقانا ، ولكن التطوير يجب أن ينبع من طبيعتها ، فاذا أردناها هارمونيا ، فليكن ! ولكن شرط أن نستنبطها من طبيعة موسيقانا ، فتكون خاضعة لطبيعة اللحن العربي ، وتساعد على تعميقه ، لا أن يخضع اللحن العربي لها فتشوه معالمه . ولنا مثال كبير على الجهد في استنباط الهارمونيا من طبيعة اللحن العربي كتجربتي زكي ناصيف وتوفيق الباشا في لبنان . □



الارض المحتلة

بقلم : وليد أبوبكر

عندما يحكم اغلاق الطوق ويرى الكاتب نفسه وجها لوجه أمام القمع والمصادرة فإنه يلجأ مهتديا بحسه الوطني الثاقب الى طرق وأساليب جديدة في التعبير ـ منها الرمز . فما هي دلالات االرمز في روايات الكتاب الذين دهمتهم هجمة الاحتلال في أرض فلسطين العربية . . وأبوا الا أن يقارعوها بكل ما يستطيعون ؟

في رواية (اخطية) يقول اميل حبيبي ان محامي الشعب حنا نقارةهو الذي علمهم فضل الرمز على المزج ، حين كان يهمس للفلاح المهدّد بمصادرة أرضه بكلمة واحدة : « خشّب » ، فيفهم الفلاح أن عليه أن يصمت ، وأن يترك الحديث للمحامي ، بينما لا يفهم الضباط والضابطون شيئا ، وان تظاهروا بغير ذلك .

واذا كانت للرمز فضيلة في الحياة العامة ، فإن من الطبيعي أن يلجأ اليه الأدب ، حين يكتب في ظل قهر الاحتلال ، وبالرغم من أن الاتجاه الواقعي هو الأسلوب الذي اختارته رواية الأرض المحتلة في معظم انتاجاتها ، الا أن ذلك لم يمنع الكتّاب من اللجوء الى الرمز الجزئي ، أو الشامل ، في بعض الأحيان ، داخل هذا الاطار الواقعي ، ولعل أبسط ما يمكن أن يشار اليه في هذا المجال هو اختيار كثيرمن الأسماء ، بحيث توحي بسلوكها داخل العمل الروائي ، وقد برع اميل حبيبي في هذا الاختيار وتميز ، فكان سعيد أبوالنحس «المتشائل» في الرواية التي حملت اسمه يتصرف بما يشبه الاسم تفاؤ لا وتشاؤ ما ، وكذلك كان إسم (يعاد) واسم (باقية) واسم (ولاء) في الرواية ذاتها ، أما في (إخطية) فان اسم عباس يقدم اختصارا لتاريخ حيفا ، المدينة ، وجغرافيتها ، بينما يوحى اسم (سروة) بالارتفاع والقدرة على البقا ويقدم اسم (اخطية) دلالات مركبة .

الايحاء

لكن رواية الأرض المحتلة لم تكتف بالاسم الموحى ـ وانما تجاوزته الى بعض الشخوصّ الموحية أيضا ، واذا

كـان رجل الفضـاء في (المتشائل) رمز للقناعات الغيبية مثلا ، يلجأ اليه الانسان حين تضيق به السبل أو يعجز عن مواجهة واقعة ، أو يجبن عن ذلك ، فان رجل الفضاء هذا ، مع المزيد من الوعي ، وتجربـة النضـال يتحول في (اخـطية) الى فلسـطيني مسلح ملثم ، ينشر الرعب في كيان العدو ويشل حركته ، حتى وان كان الأمر كله متـوهَّما ، حتى «الـرامزور» اشارة المرور ـ التي تقع عندُها « جلطة المواصلات » تتحول الى شيء موح ، يشير الى أن حركـة العدو لايحكمها ظرف واقعي ، وانما هي طارئة ، قابلة لأن تتـوقف في أيـة لحـظة ، رغم استمـرار عمـل « الرامزور » ـ التقنية .

وحين يتحدث إميل حبيبي عن « الكنز » الـذي يملكه بعض الناس ، فيصبحون قادرين على مواجهة العـدو ، يكشف بعد ذلـك انـه كنـز من الفكـر أو الوعي ، الذي يخلق الثقة في قلوب الناس وينزع منها الخوف ، أما سميح القاسم في روايته (الى الجحيم أيها الليلك) فقد اختار اللون ليوحي به ، فالليلك ، الذي ارتدته صديقة طفولته (دنيا) ـ وهو اسم موح ـ يوم هاجرت بعد أن هدم العدو بيت أهلهـا ، صار يعني عـدم وضوح أي لـون آخر . لأنـه يغمر كـل الألوان ، وهذا الوضوح لم يعد الى العين الا بعد أن وضح فعل المقاومة في عملياتها ضد العدو ، ودنيا هي ذلك الجزء من شعب فلسطين الذي هاجر تحت ضغط العدو ، وعودة الوضوح الى الألوان تعني عودة دنيا ، وعودة الوحدة الى الشعب العربي الفلسـطيني الذي تشتت ، أو عودة الأمل في هذه الوحدة ـ التحرير .

الكسيح ينتفض

والفدائي الذي أعاد وضوح الألوان في الرواية هو (حسن الكسيح) الذي يرمز الى من بقي من شعب فلسطين على أرضها تحت نير الاحتلال ، وهو صبي كسيح ، تركه الراحلون الى الشمال ، بين يدي من لم يرحلوا ، وقد وجد أول الأمر عناية تامة من الكبار ، بردت حتى انتهت ، فأخذ الصغار ، يتلهـون به ، تعذيبا الى درجة الموت ، لكن حسن الكسيح ينهض في آخر الرواية لينفذ عملية فدائية في وسط تل أبيب ، وليكشف عن أن كساحه كان مؤقتا ، كما كان موته مؤقتـا كذلـك ، فهذا الكسـاح جاء بسبب ضعف الامكانيات ، بعد أن استخدم الناس بنادقهم القديمة في مواجهة القوة الكبيرة للعدو ، فنفذ الرصاص ، ولم يعـد بامكـانهم أن يقاومـوا ، فكـان الكسـاح فتـرة استعداد للمواجهة القادمة .

والكساح ـ أو العجز ـ ليس غريبا على الرواية في الأرض المحتلة ، عـدما نتحـدث عن فترة مـا بعد الاحتلال ، بالنسة لمن ظلوا في أراضيهم ، ووجدوا أنفسهم أقلية مسحوقة فيها ، فوالدة (حبنية) التي بقيت في الأرض بعـد رحيـل ابنتهـا عجـوز ، في (سداسية الأيام الستة) وأم الروبابكيا ، في الرواية نفسها بقيت مع والدتها الكسيـح ، وشغلت نفسها بجمع ذكريـات من رحلوا والمحافـظة عليها ، حتى تظل لها خصوصيتها ، ولا تندمج مع الاحتلال .

وقد جاءت (اخطية) استكمالا لرمز الكساح ، وتعميقا كبيرا للدور الذي قامت به أم الروبابكيا لدى اميل حبيبي في روايته السابقة ، ثم اتسعت دلالات الرمز عبرها ، حتى أصبحت من أبـرز الشخصيات الموحية في رواية الأرض المحتلة ، لتؤكد دور العرب هناك ، في الصمود الواعي في مواجهـة الاحتلال ، انتظارا للخطوة التالية التي توصلت الى الكفاح المسلح عند حسن الكسيح .

مفاتيح « اخطية »

وتبدو شخصية (اخطية) محيـرة في دلالاتها أول الامر ، ولكن الرواية تقدم مفاتيح هـذه الشخصية بالتدريج ، حتى تبدو واضحة في النهاية .

اخـطية هي سليلة عـائلة عبدالكـريم ، العائلة الوحيدة التي نجت من مذبحة الصليبيين في حيفا ، فكان سكان حيفا بعد ذلك هم نسلها ، والعائلة من أصول قروية فلاحية ، وقد حـافظت عـلى طباعهـا الأساسية في الجرأة ، كما تعـرفت على الفكـر الذي يناسبها ، فاتسمت بالوعي .

وكـانت (اخطيـة) ـ الفتاة ـ محبـوبة الجميـع ، يتذكرها الجميع لأنهم عشقوها حتى التلف ، وتلقوا رسائلها وتمنوا أن يلتقوا بها وجها لـوجه ، كـما فعل أحدهم ، عندما قفزت من شرفة بيتها فوق صخرة



من صحور الدرحات الصحرية ، قبل نصف قرن من الرمن . فتلقاها بذراعيه (لتكشف الرواية بعد ذلك أن الذي تلقاها كان أخاها) .

ثم اختفت (اخـطية) سنـة ، وفجأة عـادت ، وظهرت وهي تحمل طفلة بين يديها ، وسحابـة من حزن في عينيها ، فقيل انها ارتكبت (الخطيئة) وولدت سفاحا ، (اخطية) اذن هي جزء من حيفا ، من أهل حيفـا ، وهي بـالتـالي جـزء من فلسـطين وأهـل فلسـطين ، وكـانت قفـزتهـا ـ حين نحسب ـ عـام ١٩٣٥ ، فهل عنت تلك القفزة ، ثورة عز الـدين القسام ، الريفيـة التي تشكلت في حيفا ، قبـل أن تنفجر وتذوى بسرعة ، في أحراش يعبد ؟ وهل كانت الطفلة ، التي حملتها ، وعادت تنادي الناس بعينيها الحزينتين ، هي ثورة ١٩٣٦ ، التي اجهضت ؟ أم أن كل شيء كان مرتبطا بخشخشة الانتداب ، وعواء ثعالب الهجرة اليهودية المكثفة التي شهدتها حيفا ، كميناء ، والتي تمت عبر « الهبل الشامل » الذي خلق لدي الجميع هما ممضا حط عليهم من « موجة بحر عالية ، طلعت على شارعنا طلوع الموت الفجائي ولم تنحسر ، وذلك حين ترامت الى مسامعنا خشخشة أو عواء عن فضيحة ألمت بالفتاة ـ المليحـة ـ التي سطا عليها غول » . ورغم أن جميـع من أحبوهـا ـ وهم الجميع ـ تمنوا أن يعترفوا بأبوة الطفلة ليردوا شـرف (احطية) اليها ، الا انهم جميعا جنوا عن ذلك .

لكن العـائلة كـانت تضـم من يـعـرف سـر (اخطية) ، وكانت (سروة) نموذجا لشجاعة هذه العائلة وجرأتها ووعيها ، وقد حاولت أن تدفع الناس الى الارتفاع ـ الى قمة شجرة الكينا ، حيث تبلغ ، حتى يعرفوا سر (اخطية) ، لكن أحدا منهم لم يملك الجرأة ليصل ، وحين سقطت (سروة) وهي تحاول أن تحث الناس ، عن الشجرة (في النكبة) ، اقفر من اهله شارع عباس ، وذهبت سروة واخوتها ، كما ذهبت من قبلها ، (اخطية) ولم يبق أمام الناس ، الا ما هو خاص بهم ، خصوصية تأنيب الضمير حين ينادون (احطية) بصوت يقطع القلوب ، وهو البكاء على ما فات ، بسبب النكبة .

هل ذهبت (اخطية) حقا ؟ هل ماتت مع الموت الجرىء السروة أم هاجرت كما هـاجر أحد أخوتها يلف ويدور : شارع عباس طرابلس الشام ، بيروت السعودية ، نيويورك ، ديترويت ، شارع عبـاس ، حنينا ، في النهاية الى العودة ،ولكن كزائر امريكاني رفض الامريكيتين ـ ابنته وزوجته ـ لأنهما أصرتا على أن اسم فلسـطين هـو « ازرائيـل » ؟ عبـدالالـه عبـدالكـريم هـو الجـزء الـذي هـاجـر من شعب فلسـطين ، وحمـل فصـار الاجـانب يمـطونـه اسم « اباس » . وقد قاده الحنين للزيـارة ، لكن عودتـه

كزائر ، لم تدم ، فقد تم ترحيله ، ومنع من دخوله الى البلاد ـ زائرا ـ مرة أخرى ، وان كانت هذه العودة قد كشفت حنينا لايموت ـ الى الوطن ، والى (اخطية) ، فأين كانت (اخطية) كل هذا الوقت ؟

لقد ظلت (اخطية) في حيفا ، (باقية) في أقدم البيوت في شارع عباس ، أقدم الشوارع ، وكان وجودها واضحا وضوح الشيء الذي يتعود عليه الانسان ، حتى لايعود يراه ، الا اذا وقف وتأمل وانتبه جيدا الى مرور عامل الزمن « وكان فطينا » حتى يستطيع أن « يرى »

هذه الفطنة ، وبعد أن أصبح عامل الزمن هو الحياة كلها ، أوصلت الى التعرف على ما هو واضح أصلا ، وما يراه كل يوم ، ممثلا بواحد من أبناء عبدالكريم ، يسمى بالرجل البندول ، لأنه يرسم خريطة حيفا مرتين كل يوم ، وهو يطوف شوارعها خارجا من منزله عائدا اليه ، لايزار ، ولا يسلم فلا يسلم عليه .

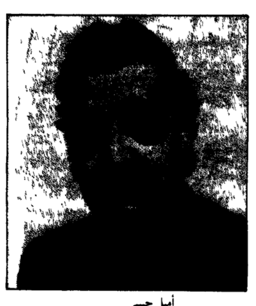
وهو طويل القامة ، منتصب الفرع ، لم يتغير ، ولم يؤثر عليه مرور الزمن . وهو من أب مسلم ، وأم نصرانية ، يرتدي الثياب السوداء الرسمية . . ويستقبل من رأى وهو يقول : ستة وثلاثون عاما وأنا انتظر هذه الصحوة ، هي بالطبع عمر الاحتلال .

الباقي

ان (عبدالرحمن عبدالكريم) هو الجزء الباقي من العائلة ، وهو أكثر أفرادها وعيا ، فقد كان عاملا ـ كسائق قطار ـ وكان يتحدث عن ثورات التحرر في العالم ، وتكشف الرواية انه كان يحمل رسائل (اخطية) الى من يحبونها بعد أن ذهبت (سروة) ، قبل ان تبلغ قصر الغول ، وتحرر (اخطية) من سجنها ، وقد أصر على البقاء في الأرض ، بانتظار هذه الصحوة ، وقد امتزجت فيه الأديان ، وتشبع بروح الثورة .

فمن تكون (اخطية) بالنسبة له ؟

أشارت الرواية الى انها كانت « أختا » له يرعاها ، حتى صارت « سمراء ملتهبة » كما النار ، في حلة حمراء ، ثوب من الحرير الأحمر اللعوب ، وقلادة حول عنقها من العقيق الأحمر ، فصارت معشوقة كل انسان ، وصارت ترسل الرسائل الى كل



أميل حبيبي

شاب ، عبر الوسائل السرية المتاحة ، من مشط عظمي أو خشبي يفوح برائحة بيتية ، الى أعشاش برج الحمام الزاجل في صندوق « شوكلاطة » صغير .

واخطية اذن شيء يتوهج ، فكر يتوهج ، حس ثوري مقاوم يتوهج ، فلا تخبو فيه النار ، ويحتاج الى علو في الوعي ـ حتى يصل الانسان الى سره ، فمن أراد أن يعرف سر (اخطية) عليه ان يرتفع ويعلو ، وهذا الحس الثوري يحمى من الخوف من صياح الثعالب الجائعة في الليل ، وهو الذي يصر على عدم الاندماج مع واقع العدو ، فلا يزور ولا يزار ، ولا يسلّم ولا يسلّم عليه ، ويحافظ على غرفة الجلوس ـ الوطن ـ أنيقة نظيفة ، تعبق برائحة الماضي ، كما لو أن نوافذها لم تفتح على الشمس أربعين عاما . وهي مكتظة بالمقاعد ذات الطراز العتيق ، وقد علتها مسحة من غبار ، لو كان النسيان غبارا لكانه .

(اخطية) اذن ـ كاسم ـ ليست من الخطأ الذى ارتكبته ولا الخطيئة ، ولكنها اللفظة الشعبية التي تعني (الحرام) ، لأن هذه المرأة قد ظلمت عندما اتهمت بالخطيئة .

ولقد ظلم ذلك الجزء الذي بقى من شعبنا في الأرض ، بعد الاحتلال الأول ، واتهم بانه لم يرفع في وجه العدو صوتا ، ثم ثبت أن هذا الاتهام ظالم ، فمجرد الصمود فوق الأرض الغى حلم الصهيونية « بدولة عبرية نقية » . كما أن هذا الصمود كان يناضل بالوسائل المتاحة ، عبر الأحزاب والنقابات

وما لديها من قدرات على المقاومة ، وما لديها من صحف حافظت على اللغة العربية ، حتى اعترف سميح القاسم في روايته (الصورة الأخيرة في الألبوم) ، بأنه لولا الجيل الطليعي الواعي الذي بقى من شعب فلسطين فى الأرض المحتلة لتشرد كل من بقي ، وبأن السلطة غاضبة لأن الناس ، مع هذه الطليعة ، وبها رفضوا الرحيل والمذلة ، وتصدوا لمؤامرات التهديد والتجهيل .

هذه الطليعة ، الفكرية ، التي تمثلها (اخطية) ، لماذا اختفت كل هذا الوقت ؟

تجيب الرواية بوضوح : ولدت اخطية كسيحا . لكن هذا الكساح كان مختلفا عن كساح حسن الكسيح ، الذي تخلى الناس عنه دون مبرر فني أو موضوعي - بينما ظلت سروة عند (اخطية) تحمل صوتها الى الناس - وهي خرساء - وظل عبدالرحمن عبدالكريم يتحرك بدلاً منها ، (اخطية) اذن ، هي ذلك الفكر الثوري الواثق من نفسه الذي لا يخاف من عدوه ، حتى وان خاف بعض الناس من الارتباط به ، من تلك الظواهر الكونية التي وجدت ليعترف الناس بها ، لا ان تعترف بهم . . . . دغلة في الكرمل ، استعصت على اسفلت عليقة مجدورة في جنينة عباس ، باحة منسية وراء فرن وادي النسناس . . نصب قبر منسي في حيفا العتيقة . . لاتذهب عنكم ، بل تذهبون عنها ، ولا يأخذونها منكم ، بل يأخذونكم منها ، يرحلون عنها ولا يعودون ، أما هي ، فلا تعود ، لانها لا ترحل .

اخطية هي الثابت من الارض ، الثابت من الفكر ، الذي لايتنازل عن القاعدة ، ويسمح بالاجتهاد ، من خلالها حتى تكون لكل انسان اخطيته التي يسأل عنها كيف تركها ولماذا تركها ، وكيف حالها من بعده ، في وحدة وطنية ، لها ثوابتها الفكرية التي تتفق عليها ، ولها هدفها الذي تعرف طريقه .

تواصل الأجيال

اخطية ، اذن تلخيص لكل الشخصيات الموحية في الروايات التي صدرت من قبل ، توازيا مع هذه الشخصيات ، واستكمالا لها ، أو تناقضا معها ، وهي حسن الكسيح ، محسنا بالوعي ، وهي أم الروبابكيا واعية لما تفعل ، وهي اجمل البنات ، مثل (دنيا) ولكن من موقف نقيض ، فدنيا رحلت واخطية بقيت ، فهما - معا توحيان بالحنين المتبادل بين من هاجر ومن بقى ، لكن (اخطية) ، وهي النقيض التام لشخصية (سعيد أبي النحس المتشائل) موقعا وسلوكا الى الحد الذي يمكن اعتبار رسالة كل منهما واحدة ، حين ندرك أن ما تريد رواية (الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد ابي النحس المتشائل) أن توصله ، هو عكس ما يفعله المتشائل تماما ، وهو يتفق مع رسالة اخطية ، خصوصا وان المتشائل في حقيقة سلوكه قد اختار أن يتكيف مع واقع الاحتلال حتى وان كان « الحمق » قد أوصله الى هذا الاختيار : فهو متسلل الى الوطن بعد هجرة ، ومع عشيق اخته بالتحديد ، وقد تسلل مع توصية من والده للعدو ، حتى يكمل الولد رسالة الوالد فى التعاون مع هذا العدو وكل ما واجهه المتشائل بعد ذلك ، كان نتيجة لاختياره الأحمق ، ومحصلته - بالطبع - تدين هذا الاختيار وتدعو الى نقيضه ، فالمتشائل - كشخصية في الرواية ، يشير الى ذلك الجزء الانتهازي والغبي في الوقت ذاته ، من الشعب العربي الذي يعيش تحت الاحتلال ، وهو الجزء الذي يحاول أن يتكيف ، وأن يندمج منطلقا في قناعاته من غياب الوعي ، الذي يظل غائبا حتى يكتشف أن ظروف الاحتلال وممارساته ، لاتسمح حتى لمثل هذه النوعية بأن تبقى ، فان يبقى الانسان في وطنه ، يعنى أن يملك الاصرار ، والوعي مثل اخطية وعبدالرحمن عبدالكريم راعيها ومحركها ، وان يعود الانسان الى وطنه ، لا يعني ان يعود متسللا وهو يحمل توصية ، ولا أن يعود زائرا ، وانما ان يعود عبر طريق التحرير . وقد خطت (اخطية) سطرا أول في صفحة التحرير كان الوعي ملخصه ، كما خطت (الى الجحيم أيها الليلك) سطرا أخيرا ، كان الكفاح المسلح ملخصه ، وهذا ما فعلته سحر خليفة بأسلوب واقعي في روايتيها (الصبار وعباد الشمس) وما فعله سليمان ناطور في روايته (أنت القاتل يا شيخ) وما فعله غريب عسقلاني في (الطوق) وعلى الخليلي في (المفاتيح تدور في الاقفال) وهو ما يفعله كل الأدب ، في الأرض المحتلة شعرا ، وقصة قصيرة ، ومقالة ومسرحية ، سواء واجه العدو بشكل واقعي أو توسل بالرمز الى هذه المواجهة . □

ترجمة : محمود شقير

لمحة عن الكاتب

ولد خورخي لويس بورخيس في بيونس آيريس عام ١٨٩٩ ، وهو من أشهر كتاب أمريكا اللاتينية المعاصرين ، وقد ألف عددا غير قليل من المجموعات الشعرية والقصصية التي نال عليها عدة جوائز أدبية ، وهو معروف بأسلوبه الغرائبي ، ضمن اطار الواقعية السحرية التي يشتهر بها كتاب أمريكا اللاتينية ، والكاتب متأثر بأسلوب ألف ليلة وليلة ، وبالثقافة العربية الاسلامية عموما ، ولعل القصة التالية تفصح عن شيء من هذا التأثر .



امتلكت سر الكتابة التي تحمي فنّنا من العيون غير المتبصرة لجمهور الدهماء ، أستطيع أن أمجد الحب ، لصوص الأنعام ، الأسفار والحروب ، أعرف الانساب الأسطورية لكل البيوت الفخمة في ايرلندا ، أستحوذ على معرفة بعلم التنجيم الشرعي ، الرياضيات ، القانون الكنسي ، وآلهة النباتات ، هزمت المنافسين في مباريات عامة ، أصبحت حاذقا في الهجاء الذي يوهن الجلد ، ويؤدي الى الاصابة بالجذام ، اعرف كيف أستخدم السيف ببراعة ، وقد أثبتّ ذلك في معركتك التي خضتها ، أنا أجهل شيئا واحدا فقط : كيف أشكرك على هذا الشرف الذي منحته لي .

والملك الذي يتعب بسهولة من الخطابات الطويلة ، وبخاصة خطابات الآخرين ، قال باختصار : « أعرف هذه الأشياء تماما ، لقد نبئت ان العندليب غنى حديثا في انجلترا ، وحينما ينقضي فصل الأمطار والثلوج ، ويعود العندليب من أصقاعه الجنوبية ، فسوف تغني مدائحك الشعرية أمام رجال البلاط ومدرسة الشعراء ، انى أمنحك سنة كاملة ، عليك أن تهذب كل كلمة وكل حرف ، واعلم منذ الآن ، أن الجائزة لن تكون أقل من مألوف عادتي الملكية ، ولا من ليالي الهامك المسهدة » .

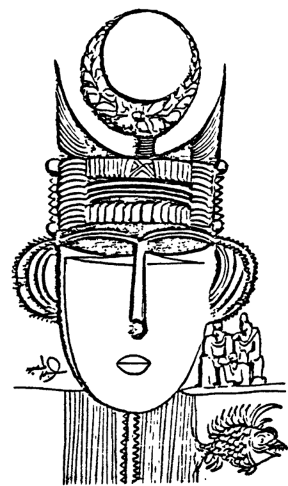
قال الشاعر الذي كان من رجال البلاط أيضا : « يامليكي ، أية جائزة أعظم من رؤية وجهك ؟؟ ثم انحنى وانسحب خارجا وفي ذهنه يتلامح بيت أو بيتان من الشعر .

حينما انتهت السنة - وفي زمن الأوبئة والثورات - جاء الشاعر بقصيدته ، ألقاها ببطء وثقة ، دون أن ينظر الى الورق الذي بين يديه ، أبدى الملك استحسانه للقصيدة بايماءة من رأسه ، والجميع قلدوا الملك ، حتى أولئك الذين احتشدوا على الأبواب ، دون أن يحق لهم التفوه بكلمة واحدة ، أخيرا تكلم الملك وقال :

« انى أقبل صنيعك ، فهو انتصار آخر ، لقدْ أعطيت لكل كلمة معناها الحقيقي ، ولكل اسم وصفه الذي أسبغه عليه قدامى الشعراء ، وفي قصيدتك كلها لا توجد صورة واحدة لم يطرقها الكلاسيكيون : فالحرب هي الشرك الجذاب للرجال ، والدم هو الماء الذي ينهل منه السيف ، البحر له آلهته ، والسحب تتنبأ بالمستقبل ، لقد جسدت بحذقك : القافية ، الجناس ، السجع ، النسب ، روائع علم البيان ، التنويع الحكيم في بحور الشعر ، واذا كان لأدب ايرلندا كله أن يختفي من الوجود - لا قدر الله - فان بالامكان اعادة بنائه دون خسارة ، انطلاقا من قصيدتك الكلاسيكية هذه ، لذلك سيقوم ثلاثون ناسخا بنسخها اثنتى عشرة مرة لكل واحد منهم .

خيم صمت ، ثم أكمل الملك : « كل هذا حسن ، ومع ذلك فلم يحدث شيء ، فالدم لم يجر سريعا في عروقنا ، لم تبحث ايدينا عن القوس ، ولم يعتر الشحوب أحدا منا ، لم يطلق أحد صيحة حرب ، ولم يعرض أحد صدره لمواجهة القراصنة ، قبل نفاد العام أيها الشاعر ، سوف نصفق لقصيدة أخرى ، وتعبيرا عن استحساننا فإليك هذه المرآة المصنوعة من الفضة » .

قال الشاعر : « انى اتقدم بالشكر ، ولقد وعيت المطلوب » .



مضت نجوم السماء في مدارها المتألق ، غنى العندليب مرة أخرى في غابات سكسونيا ، وعاد الشاعر يتأبط قصيدته التي بدت أقصر من القصيدة السالفة ، لم يرددها من الذاكرة بل انه قرأها ، كان بادي التردد ، وقد حذف بعض المقاطع كما لو أنه هو نفسه لايفهمها تماما ، أو لأنه لم يرغب في انتهاك حرمتها . كانت القصيدة غريبة ، لم تكن وصفا للمعركة ، بل كانت هي المعركة ، ففي تشوشها الشبيه بجو المعركة اصطرع معا : آلهة ايرلندا الوثنية ، واولئك الذين بوسعهم أن يشنوا حربا بعد مئات السنين على بداية (ايدّا) الكبيرة . ولم يكن شكل القصيدة أقل غرابة : فالاسم المفرد فاعل لفعل بصيغة الجمع ، وحروف الجر تستخدم على نحو مبتذل ، الخشونة تتداخل مع العذوبة ، والاستعارات مقحمة أو هكذا هي تبدو .

تبادل الملك كلمات قليلة مع رجال الأدب الذين وقفوا من حوله ، ثم قال للشاعر : « أستطيع القول ان قصيدتك الأولى كانت بجدارة خلاصة وافية لكل الأغاني التي رددتها ايرلندا ، اما هذه القصيدة فهي تفوق بل هي تجعل كل ماسبقها وكأنه لاشيء البتة ، انها مذهلة باهرة تستثير الدهشة ، سوف ينظر اليها الجهلة بدون اكتراث ، اما المتعلمون النخبة فلن يكون موقفهم كذلك ، سوف تحفظ النسخة الوحيدة منها في علبة من العاج ، واليراع الذي دبج عملا متفوقا كهذا ، نتوقع منه عملا أكثر نبلا وشموخا » اضاف وهو يبتسم : « نحن أبناء الأسطورة ، وجدير بنا التذكر أن الرقم ثلاثة ينتصر في الأساطير » .

أكمل الملك : « تعبيرا عن استحساننا ، اليك هذا القناع الذهبي » قال الشاعر : « انى أتقدم بالشكر ، ولقد وعيت المطلوب :

حلت ذكرى المعركة مرة أخرى لاحظ حراس القصر أن الشاعر لايتأبط قصيدته ، نظر اليه الملك في ذهول ، بدا الشاعر كأنه شخص آخر ، فلقد تغضنت ملامحه ، وتبدلت بفعل شيء آخر عدا الزمن ، بدت عيناه محدقتين نحو البعيد كما لو أنه أعمى ، توسل الشاعر أن يسمح له الملك ببضع كلمات يقولها له . غادر الخدم الحجرة ، سأل الملك :

ـ ألم تدون القصيدة ؟

أجاب الشاعر بحزن :

ـ نعم ، لعله سيدنا المسيح هو الذي منعنى من ذلك .

ـ هل بوسعك أن ترددها .

ـ لا أجرؤ .

قال الملك :

ـ انى امنحك الشجاعة التي تحتاجها لذلك .

تلا الشاعر القصيدة التي تتألف من سطر واحد ، دون أن يجازف في ترديدها بصوت عال ، تمعن الشاعر ومليكه فيها كما لوأنها صلاة سرية ، أو فعل من أفعال التجديف ، امتلا الملك بالرهبة وخور العزيمة ، كما هو حال الشاعر ، وتبادل الاثنان النظرات وهما شاحبان . قال الملك :

ـ في شبابي أبحرت نحو مغرب الشمس ، وفي احدى الجزر رأيت كلاب الصيد ذات اللون الفضى تجلب الموت للخنازير البرية ذات اللون الذهبي ، وفي جزيرة أخرى اغتذينا عبير التفاح السحرى ، في جزيرة ثالثة رأيت أسوارا من نار ، وفي الجزيرة الابعد من كل الجزر الأخرى ، ثمة نهر معلق ذو قناطر ، يقطع عرض السماء ، وفي مياهه تعوم الأسماك والقوارب ، هذه كلها عجائب ، لاتقارن بقصيدتك ، فهي على نحو من الانحاء تشتمل على هذه الأشياء جميعا ، أية قوة سحرية وهبتها لك .

قال الشاعر :

ـ مع الفجر استيقظت وأنا أتلفظ بكلمات لم أفهمها في البدء ، كانت تلك الكلمات قصيدة ، شعرت أننى اقترفت خطيئة ربما لن يغفرها لى الله .

قال الملك هامسا

ـ الشيء الذي نشترك فيه نحن الاثنان الآن : هو خطيئة إدراكنا للجمال ، وهو الهبة التي يحرم منها الرجال ، الآن يتوجب علينا أن نكفر عن ذلك . أعطيتك مرآة وقناعا ذهبيا . وهذه هي هديتى الثالثة والأخيرة اليك .

وضع الملك في يد الشاعر اليمنى خنجراً .

قتل الشاعر نفسه حالما غادر القصر ، أما الملك فقد أصبح شحاذا يتجول في طول ايرلندا وعرضها ، تلك البلاد التي كانت ذات مرة مملكته ، أما القصيدة فلم يعد الى ترديدها بتاتا . □



بقلم : الدكتورة سرى فايز سبع العيش

معظم الانجازات الطبية الرائعة بدأت من ملاحظة بسيطة من عين فاحصة ، أو نظرية صغيرة في عقل مفكر ، فلما جُربت وُحسنّت كانت شعلة لحقائق اسدل عليها الستار ، ونافذة على العالم المليء بالاسرار وهذه احدى القصص الطبية الحديثة لفتح جراحي رائد في معالجة قصر البصر .

كان ذلك عام ١٩٧٢ عندما قدم شاب روسي عمره ستة عشر عاما الى جراح العيون المعروف فيدوروف ، لاسعاف عينيه اللتين أصيبتا بجروح قرنية سطحية متعددة ، نتيجة تهشم زجاج نظارته الطبية وتطايرها على وجهه وعينيه إثر عراك مع أقرانه . وقد لاحظ الطبيب الأستاذ فيدوروف بعد شفاء الجروح أن قصر البصر العالي ، الذي كان عند الفتى قبل اصابته بجروح القرنية ، قد قل كثيرا ، فأصبحت العدسة المصححة أقل قوة واخف سماكة من السابق ، فما كان من فيدوروف الا أن راجع أمهات الكتب ومختلف المجلات والدوريات الطبية ، وتحقق لديه أن العالم الياباني ساتو كان أول من فكر بتخفيف قصر البصر عن طريق اجراء قطوع في القرنية عبر سطحها الخلفي ، ثم زاوج ذلك مع قطوع في سطح القرنية الأمامي ، وكان ذلك عام ١٩٥٠ ، عندما فكر في معالجة القرنية المخروطية جراحيا ، نظرا لصعوبة ترقيع القرنية في اليابان ، لأن الديانة لديهم تحرم نقل الأعضاء والأنسجة الانسانية ، ولأنه لم تكن العدسات اللاصقة قد وصلت في ذلك الحين لدرجة من التقنية بحيث

يستطاع تثبيتها على القرنية المخروطية ولكن للاسف كانت معظم عمليات قطع القرنية التي أجراها ساتو فاشلة ، وكان نصيب العين العمى . لأن قطع القرنية الخلفي - أي عبر الطبقة البطانية من القرنية - يسبب أذى للطبقة البطانية المرهفة وما يصاحب ذلك من اضطراب وتورم في القرنية ثم تكثف فيها ، ونشوء العروق الدموية عليها ، وزوال بريقها

تجارب جديدة

والذي قام به فيدوروف هو أنه عدل أسلوب ساتو بقصره قطوع القرنية على السطح الأمامي منها ، وقد اجرى لمدة سنتين عمليات قطع القرنية السطحي على عيون الحيوانات ، فاكتسب خبرة جراحية كبرى ، وبدأ عملياته على عيون البشر عام ١٩٧٤ .

ولقد تجلت عبقرية فيدوروف بوضعه أسسا حسابية يعتمد عليها في تقدير واستقراء نتيجة العملية الجراحية ، تعتمد على سماكة القرنية ، وصمل العلبة العينية وقطر التحدب القرني ودرجة حسر البصر . وقد أجرى العملية لعدة آلاف من الناس ، توافدوا عليه ويتوافدون عليه يوميا للتخلص من قصر البصر والاستغناء عن العدسات المصححة ، وقد استطاع أن يحقق نتائج عالية من النجاح كما أبدى في أبحاثه ، بحيث لا تتأثر « فسلجة » القرنية ، ولا يختل تعداد الخلايا في الطبقة البطانية ، ولا تضيق الساحة البصرية ، ولا تتأثر حساسية القرنية ، ولا تنقص شفافيتها ، ولا تقل درجة المطابقة الضوئية فيها ، ولا يختل التخطيط الكهربائي ، ولا يضطرب الوهج كثيرا .

ويفد سنويا الى معهد العيون في موسكو عشرات من اخصائيي العيون من انحاء العالم ، يدفعهم حب الاستطلاع لكشف حقيقة هذه العملية ، وتعلمها رأسا من رئيس المعهد الاستاذ الطبيب فيدوروف ، ثم يعودون الى بلادهم ، وقد اكتسبوا خبرة ومعرفة باجراء تلك العملية .

أما في الغرب فلا تزال عملية قطع القرنية الشعاعي تصنف في قائمة العمليات التجريبية ، التي لم تثبت بعد فوائدها ومضارها ، ويقف الكثير من



- العالم ساتو اول من ادرك ان قطع القرنية الشعاعي يحسن قصر البصر

جراحي العيون ضدها . وترفض شركات التأمين أن تعتبرها عملية ضرورية ، فلا تتكلف بدفع نفقاتها الباهظة .

كيف تجرى العملية

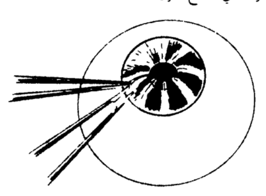
تسمى هذه العملية قطع القرنية الشعاعي لأنه يجرى على القرنية قطوع أو جروح سطحية ، باتجاهات نصف قطرية أي مشععة عن المركز .

انها عملية بسيطة سهلة الاجراء ، لمن اكتسب خبرة بها ولا تتطلب أكثر من تخدير موضعي سطحي للعين ، ويجب اجراؤها تحت المجهر الجراحي لما تتطلبه القطوع من دقة ويمكن اجراؤها في غرفة العمليات في أحد المستشفيات أو حتى في العيادة اذا كانت مجهزة بغرفة عمليات ومجهر جراحي عيني لأن العملية لاتتطلب استشفاء ورقودا في المستشفى .

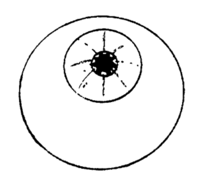
تقطع القرنية اما ٣٢ ، أو ١٦ أو حتى ٨ قطوع مشععة عن منطقة مركزية دائرية حول المحور البصري في القرنية ، تترك دون أن تطالها القطوع بقطر يتراوح بين ٣ - ٤,٥ ملم ، وتمتد القطوع من

محيط المنطقة المركزية ، حتى قبيل منطقة الحوف القرني الصلبي ، أي نهاية القرنية ، بحيث تتجه القطوع باتجاه نصف قطرى ، وبأبعاد منتظمة متساوية فيما بينها ويكون عمق الجرح متناسبا مع كثافة القرنية ، فالعمق الذي يغيض به الجرح القرني يتراوح بين ٨٥٪ - ٩٥٪ من كثافة القرنية ، أي أن القطوع لايجوز أن تكون نافذة تخترق كل طبقات القرنية ، والا فان ذلك سوف يخل بفسلجة القرنية وصفائها ودرجة سماكتها واحتوائها على الماء ويؤدي لفقدها الكثير من البصر .

وكلما كان الجرح أعمق كانت نتيجة التصحيح أكثر ايجابية ، وكلما صغرت المنطقة المركزية البصرية استحصل على عدد أكبر من الكسيرات المصححة ، وقد وجد أيضا أن تجاوز القطوع حد الحوف القرني يقلل من ايجابية التصحيح الانكساري ، لما يرافق ذلك من تليفات ونشوء عروق دموية وحدوث آلام وتحدد في تفلطح القرنية .



- صورة تخطيطية تبين شكل القرنية رأسا بعد اجراء ٨ قطوع عليها



- صورة تخطيطية تبدى ندبا طفيفا تبدو تحت المجهر

تصحيح قصر البصر

أما كيف تصحح هذه العمّلية قصر البصر فيفسر كالتالى : أن القرنية أشبه بعدسة مقربة - أى محدبة ، فكلما ازداد تحدبها أى صغر نصف قطر انحنائها الخلفى وازداد تكورها كلما كانت قوية الانكسار والتقريب ، وأحدثت خيال الشيء المرئي في منطقة بينها وبين الشبكية ، وكانت العين حسيرة البصر ولذلك فان احداث قطوع سطحية في عمقها يؤدي الى تفلطحها وتمطط سطحها فيقل تحدبها ويزداد نصف قطر انحنائها الخلفي فتقل قدرتها الكاسرة ، ويتشكل الخيال على الشبكية أو قريبا جدا منه فيقل قصر البصر .

هذا ولا تزال عملية قطع القرنية الشعاعي تتراوح بين مؤيدين قلة في العالم يصرون على اجرائها ، ومنتقدين كثر يرون فيها تداخلا غير ضروري على العين الطبيعية ، يمكن الاستغناء عنه بالنظارة أو العدسة اللاصقة ، دون تعريض القرنية للجراحة ، وعلى كل فالكل متفق على عدم اجرائها لمن هم دون العشرين من العمر . ولا يجوز اجراؤ ها للعيون المريضة المصابة بالتهابات حادة أو مزمنة أو بارتفاع صغط العين ، أو بتكشف العدسة البلورية ، أو اذا كان هنالك أذى في الشبكية ، وهي لا تفيد في حالة القرنية المخروطية ، ولا تغني عن النظارة في قصر البصر العالي .

تبرير قطع القرنية الشعاعي :

يبرر احراء هذه العملية للأسباب التالية : أسباب وظيفية ، وبصرية وتجميلية وشخصية نفسية .. فالوظيفية تتعلق بطبيعة العمل ، أعمال كثيرة يتعذر فيها قبول النظارات أو لبس العدسات اللاصقة كما عند الطيارين ورجال الشرطة ورجال المطافي والحراس ، وبعض العسكريين والغواصين . وهنالك بعض حسيرى البصر الذين هم في خوف دائم أن يفقدوا نظاراتهم ، لئلا يصيبهم الضياع بدونها في حالات الحريق وحوادث السيارات ، فيمكن لهذه العملية أن تدعهم أقل اعتمادا على النظارة وأقل حسرا للبصر ، لأن هذه العملية للأسف لن تفيد كثيرا في حالات حسر البصر العالي

الـدرجـات ، لان حسـر البصـر في تلك الحـالات لايعتمد فقط على انحناء القرنية ، وانما على فرط طول المحـور الأمامي الخلفي للعـين ، ولما كـانت درجـة التبسط الناتجة عن اجراء قطوع شعاعية في القـرنية محدودة بتحدد انحنائها الخلفي وسمـاكتها ، لـذلك تتـراوح درجـة التصحيـح عـادة بـين ـ ١,٥ الى ـ كسيرات ، وقد تصل الى ـ ٦ كسيرات ، ومع هذا فان المصاب بحسر البصر العالي يجد سعادة في انقاص درجة عجزه البصري . دون عدسات طبية .

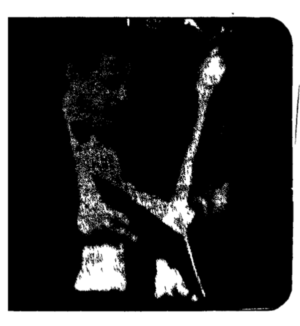
ومع أن بعض الناس قد نجح في لبس العدسات اللاصقة التي قل أن يلاحـظها النـاس من حولـه ، ولكن لاعتبارات نفسية شخصية يحب أن يكون حرا بـلا قيد نـظارة أو عدسـات ، فيلجـا لـطلب تلك العملية .

أما نتائـج تلك العملية ففي الـواقع الاحصـائي العملي تبين أنه كلما كان قصر البصر قليلا كانت نتيجة العملية أفضل ، فمثلا يتوقع أن تكون نسبة النجاح (أي أن يرى المريض ٦/٦ بعد العملية) لدى ٨٥٪ ممن لـديهم قصـر بصـر يتـراوح بـين ـ ١,٥ الى ٣ كسيرات ، وأن نسبة النجاح ٨٠ ٪ لمن يترواح قصر البصر لديهم بـين ٣,٢٥ الى ـ ٤,٥ كسيرة ، وأن نسبة النجاح هي ٥٠٪ أو دون ذلك لمن كان حسـر البصر لديهم يتراوح بين ـ ٤,٧٥ الى ـ ٦ كسيرات أي كلما ازدادت درجـة حسر البصـر نقصت نسبـة النجاح وزادت خيبة الأمل .

عراقيل العملية واختلاطاتها :

أن أكثر المعالجين بهذه العملية حظا في النجاح هم الذين يتراوح قصـر البصر لـديهم بين ـ ١,٥ الى ـ ٤,٥ كسيرة ، وكلما ازدادت درجة حسر البصر قلت نسبة النتيجة المتوخاة وهي مخيبة للأمال في الدرجات العالية من حسر البصر .

المزعج في هـذه العملية أن المـريض يعاني بعـد اجرائها من الوهج الضوئي وتبعثر الضياء لفترة قد تتجاوز ستة شهور بعد العملية ، وغالبية الذين تجرى لهم هذه العملية يشكون من تغير الرؤ ية وتماوجها بين الصبـاح والمساء ، فهي قـد تكـون حسنـة جـدا في الساعات الأولى من الصباح ثم تعود فتتغيم وتخفت عند المساء ، ولعل ذلك راجع لتأرجح وتماوج الضغط



ـ العالم الطبيب السوفياتي الاستاذ فيدروف الذي روج عملية قطع القرنية الشعاعي لمعالجة قصر البصر

العيني ، ففي الصباح يكون الضغط العيني بحدوده العليـا ، فيوتـر القـرنيـة ، وتبلغ هـذه غـايتهـا من التفلطح ، وفي المساء يكون ضغط العين في حدوده الصغرى ، فتعود القرنية الى تكورها الأول ، وهكذا تصبح أكثر حسرا للبصر .

وعلى كل فتماوج الرؤ يـة وتغيرهـا اليومي يخف تدريجيا ، وقد يستقر بعد عام أو عـامين من اجـراء العملية .

اذن فالعملية ليست مضمونة النتائج ، فهناك عدد من المعـالجين بهـا سيعودون لاستعمـال نظاراتهم ، حيث أخفقت العملية في تخليصهم منها ، وفي ذلك خيبـة أمل كبـرى ، ناهيـك عما قـد تخلفـه لهم من اختلاطات حتى لو كانت طفيفة .

وأضافة لما ذكر هنالك حقيقة لا بد من اعتبارها ، وهي أن المصاب بحسر البصر البسيط يحتاج للنظارة عندما ينظر للبعيد ، ولكنه يستطيـع أن يقرأ بـدون نـظارة عنـدمـا يقـارب الأربعـين ويتجـاوزهــا الى الخمسين ، وقد يقرأ طوال حياته بدون نظارة . فاذا أجريت له تلك العملية فقد تغنيه عن لبس النظارة للرؤ ية البعيدة ، ولكنه سيضطر لاستعمـال النظارة عند القراءة . □



ضريبة

عرف المجتمع الانساني الضريبة منذ فجر التاريخ ، فمع أول تجمع بشري فرض الأقوى امتيازا ما لصالحه ، ومع تعقد شكل الحياة ونموها تطور شكل الامتياز فأصبح حينا حصصا عينية من الانتاج ، أو ساعات عمل بلا أجر أو نقود ، بعدما عرف المجتمع الانساني النقود وشاع استعمالها ، وبعد أن نشأت الدولة واستقر معناها واستقرت ، استمر فرض الضريبة حقا مطلقا للحاكم . اذ كانت هذه الضرائب جزءاً من دخل الحاكم ، وكانت سلطة الحاكم مطلقة في تحديد الضريبة زمنا وكما ونوعا ، حتى استطاع البرلمان الانجليزي لأول مرة في تاريخ الفكر الانساني انتزاع حق فرض الضريبة من الملك ، وقصر هذا الحق على البرلمان (ممثلي الشعب) واستقرت عندئذ قاعدة دستورية ، وهى لاضريبة بلا قانون ، وأصبح فرض الضريبة محكوما بقواعد وقوانين وأسباب .

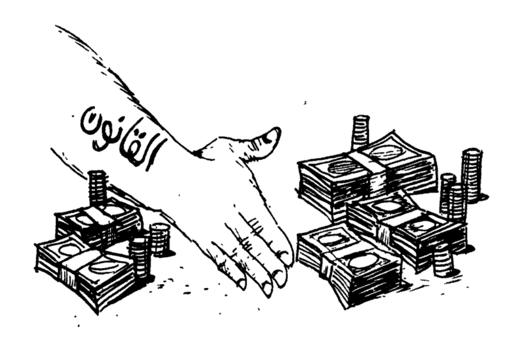
والضريبة ببساطة هي مبلغ من المال ، محدد سلفا وبشكل معلن وعام ، يسدده الممول الى السلطة العامة ، ممثلة في أحد أجهزتها التي تحددها هي ، وتصبح بذلك هي صاحبة الحق الوحيدة في تحصيل الضريبة ، وتمثل مجموع الضرائب في مجتمع ما موردا من الموارد السيادية للدولة (التي تحصلها إعمالا بسيادتها) ويستخدم هذا المورد في تغطية النفقات العامة للدولة ، ويقوم الممول بسداد الضريبة بصفته عضوا في المجتمع ، وعليه أن يساهم في النفقات العامة ، دون النظر الى حساب مدى الفائدة التي تعود عليه شخصيا .

والضرائب تنقسم الى نوعين أساسيين هما : ضرائب مباشرة أو ضرائب غير مباشرة .

وتفرض الضرائب المباشرة على اجمالى الدخل العام للأفراد ، أو على رأس المال .

أما الضرائب غير المباشرة فتأخذ أشكالا كثيرة ، مثل ضرائب الانتاج ، وهي تمثل نسبة مئوية من تكلفة انتاج سلعة ما (كالسجائر) وهي تُحَصَّل عن كل ما تنتجه المنشأة من هذه السلع التي يتحمل ثمنها دائما المستهلك : اذا أن المنتج يقوم باضافة هذه الضريبة الى ثمن البيع أو رسم ضريبة الاستهلاك ، أو ضريبة البيع ، وهي التي تفرض على بيع السلعة أو شرائها ، وتتمثل في نسبة مئوية من الثمن ، أو في الرسوم الجمركية . . . الخ . .

وتختلف المدارس الاقتصادية والدول بالتالي في كيفية احتساب الضريبة ، ومنشأ هذا الاختلاف هو تباين النظر الى الوظيفة الاقتصادية والاجتماعية للضريبة ، فالاقتصاديون الكلاسيكيون يرون أن الضريبة هي اسهام المواطنين في تمويل الخزانة العامة للدولة ، لتمكينها من أداء بعض الخدمات ،



لاتجاهات الحديثة ترى أن الضرائب هي واحدة من أدوات الدولة في اعادة توزيع الدخل القومي . . وهكذا تختلف وجهات النظر ، وبالتالي يتباين الأسلوب الضريبي المتبع .

ولكن النظم جميعها تتفق على أنه هناك ـ فيما يتعلق بضريبة الدخل ـ حد للاعفاء وهذا الحد ليس مطلقا ولا موحدا لجميع طبقات وفئات المجتمع ، فالقاعدة أن يكبر حد الاعفاء كلما صغر الدخل . . ويتحدد هذا الحد وفق أسعار تكلفة المعيشة ونفقات الحياة في المتوسط العام للاسعار ، وفي اطار شرائح الدخول . . فيقال مثلا ان ضريبة الدخل تحصل من الدخول التي تتراوح بين ١٢٠٠ ـ ٣٠٠٠ دينار في العام بنسبة كذا . . فان معنى هذا أن كل الذين يتقاضون راتبا شهريا مائة دينار فأقل ، يتمتعون بإعفاء نهائي من ضريبة الدخل . . ومن هذه القاعدة العامة في الحساب الضريبي تم استخلاص طريقة حساب ما يسمى بالضريبة التصاعدية ، وهي تعني زيادة معدل الضريبة ، كلما ارتفع حجم الدخل الخاضع للضريبة .

ومن الضرائب التي تطبق في معظم دول العالم بالاضافة الى ماسبق ، ما يعرف بضريبة التركات ، وتستند هذه الضريبة الى تبرير قانوني شرعه وزير مالية بريطانيا في عام ١٨٩٤ ، بقوله ان الطبيعة لاتمنح الفرد على امواله الا حقا مؤقتا محدودا بحياته ، وتحصل غالبية النظم الاقتصادية رسما يمثل نسبة مئوية من اجمالي تركة المتوفى ، قبل أن يتم توزيع الأنصبة على الورثة ، ويمثل هذا الخصم دين امتياز ، مثله مثل الضرائب العامة التي يكون المتوفى قد تأخر في سدادها ، فتخصم من اجمالي التركة وفاء لحق الدولة والمجتمع الذي عمل فيه ، وأتاح له الفرصة للغنى والثراء . □

جالسوا العلماء

يقول الشعبي : جالسوا العلماء ، فإنكم إن أحسنتم حمدوكم ، وإن أسأتم تأولوا لكم وعذروكم ، وإن أخطأتم لم يعنفوكم ، وإن جهلتم علموكم ، وإن شهدوا لكم نفعوكم .



الجديد في العلم والطب

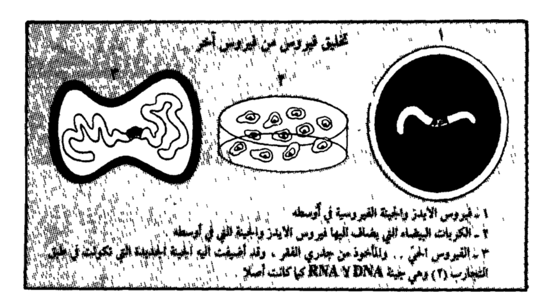
نحو لقاح فعّال لمرض الأيدز

■ انتشر مرض الايدز فى الولايات المتحدة فى السنوات الأخيرة ، حتى بلغ عدد المصابين به ١٨٥٠٠ .. مات منهم ١٠,٠٠٠ بنتيجة الاصابة بالمرص ، لا عجب اذن أن كان السؤال المطروح هو كيف تطور فيروس هذا المرض الجديد ، ومن أى ميكروب آخر تطور .. ؟ والا فمن أى بلد جاء ! من افريقيا ومن غربيها بالذات ، حيث السنغال غينيا - بساو ... ؟ هذا على الأقل هو ما أكدته مؤخرا مكتشفات فريقين منفصلين من العلماء ، والغريب أن الاكتشافين وقعا فى نفس الوقت تقريبا (أوائل شهر ابريل الماضى)

أما الاكتشاف الأول فيعزى الى الدكتور مايرون اسكس (ماكس اختصارا) البحّاثة فى مدرسة الصحة العامة التابعة لجامعة هارفرد المعروفة ، وقد جاء هذا الاكتشاف بنتيجة التعاون بين الدكتور مايرون وبين زملائه فى البحث ، وهم فئتان ، فئة تعمل فى تورز فى فرنسا ، والفئة الأخرى تعمل فى السنغال بافريقيا .. فقد تسنى للفرقاء الثلاثة عزل فيروس جديد ، وثيق الصلة بفيروس الأيدز ، ولكنه يختلف عنه اختلافا جذريا فى أكثر من ناحية .. وتم العثور على هذا الفيروس فى عينات دم أخذت من بعض النساء



في هذه القرية من قرى السنغال اكتشف أن لمرض الايدز جذورا .



١ ـ فيروس الأيدز والجينة الفيروسية في أوسطه
٢ ـ الكريات البيضاء التي يضاف اليها فيروس الايدز والجينة التي في أوسطه
٣ ـ الفيروس الحيّ . . والمأخوذ من جدري القفر ، وقد أضيفت اليه الجينة الجديدة التي تكونت في طبق التجارب (٢) وهي جينة RNA لا DNA كما كانت أصلا .

السغاليات . . وتبين ان هذا الفيروس الوثيق الصلة بفيروس الأيدز هو أوثق صلة بفيروس آخر يصيب بعض القردة الافريقية ، وقال الدكتور (اسكس) الذى أعلن اكتشافه هذا فى احتماع للجمعية الأمريكية للميكروبيولوجيا فى واشطن . . قال نعتقد أننا اكتشفنا الحلقة المفقودة التى تسلط الأصواء على ما خفى أو غمض من أصل فيروس الأيدز . .

وأما الاكتشاف الثانى ، وهو يعزى الى باحثين فرنسيين وبرتغاليين ، فيبدو كبير الشبه بالاكتشاف الأول . . فقد أعلن الدكتور لوك مونتاجنير أحد الباحثين فى معهد باستور فى باريس . . . أعلن فى المؤتمر الخاص الذى عقد فى لشبونة بالبرتغال انه تسنى له اكتشاف الحلقة المفقودة فى قصة تطور فيروس الأيدز . . وان الفيروس المكتشف أقرب إلى فيروس (سيميان) منه الى فيروس الأيدز البشرى المعروف . . . . أما عينات الدم التى عثروا فيها على الفيروس الجديد ، فكانت فى دم رجلين من أهالى غينيا ـ بساو فى أواسط افريقيا القريبة من السنغال .

ولعل أهم ما يذكر عن فيروس الأيدز الجديد هو أنه غير فتاك ، فبالرغم من شبهه الكبير بفيروس الأيدز . . شكلا ومسلكا ، فانه لا يبطش بخلايا المناعة (خلايا T المساعدة) كما يفعل نظيره القتّال . .

وتجلت هذه الخاصة فى التجربة التى أجروها على بضع عشرات من الناس ، خمسين على وجه التحديد . . فقد لُقح هؤلاء بالفيروس الجديد . . ولكن أعراض الأيدز لم تظهر على أى منهم ، ومضت سنة أو تزيد والقائمون بالتجربة وهم من الفريق الأول ، يواصلون مراقبة الذين كانوا موضع تلك التجربة . . بل ثلاثين منهم بالتدقيق . . فلم يظهر على أى من هؤلاء أى من أعراض المرض الثالث .

من هنا أصبح لدى العلماء أمل فى أن يطوروا من الفيروس الجديد لقاحا فعالا ، يكسب الانسان مناعة ضد الاصابة بمرض الأيدز الخطير . . وثمة أمل آخر هو أن يتمكنوا بواسطة الهندسة البيولوجية من اكتشاف الجينة (gene) المسؤولة عن أضرار الأيدز ، فيتمكنوا بالتالى من عزل تلك الجينة عن الفيروس ، والقضاء بذلك على مرض الأيدز نهائيا . . . □

مكتشفون ومخترعون

ألفرد نوبل : مخترع الديناميت

١٨٣٣ ـ ١٨٩٦

كان عالم كيمياء ومهندسا ورجل صناعة .. وكان فوق ذلك كله رجل سلام .. ولعل جوائز نوبل التي توزع على المتفوقين من علماء العالم في أواخر كل عام حققت لمخترع الديناميت من الشهرة مالم يحظ به غيره من العلماء ...

ولد ألفرد في استكهلم في الواحد والعشرين من شهر اكتوبر سنة ١٨٣٣ ، وكان أبوه (عمانويل نوبل) مهندسا ، وميالا الى الاختراع بالفطرة .. وقد ورث عنه ألفرد النزعة الى الابتكار ، وتشرب الكثير من مبادىء الهندسة .. وقل مثل ذلك في أحد أجداده لأمه ، أولوف رودبك ، مكتشف الأوعية اللمفية . فقد استلهم الفرد ذكرى ذلك الجد العالم .

ولم يطل بقاء عائلة نوبل في استكهلم ، وقد اضطرت الى التوجه الى لينتجراد (سان بطرسبورغ في تلك الأيام) والاستقرار فيها ، وذلك بسبب أعمال الأب .. كان ذلك سنة ١٨٤٢ ، حين كان الفرد تلميذا صغيرا ، ولم يجاوز التاسعة من العمر .. غير أنه تتلمذ على مدرسين خاصين ، ولم يعتمد على الدراسة النظامية في المدارس .. وبلغ من مواهبه وكفاءاته أن أتقن خمس لغات وأصبح عالم كيمياء وهو في السادسة عشرة من عمره ، ثم توجه الى باريس سنة ١٨٥٠ ، وأمضى فيها سنة كاملة .. قضاها في أحد مختبراتها حيث تابع دراسة الكيمياء ...

وذهب نوبل بعد ذلك الى العالم الجديد ، الى الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث عمل تحت اشراف المهندس الأمريكي ـ السويدي المعروف ، جون أريكسون ، وهو الذي عهد اليه ببناء السفينة الحربية المصفحة بالحديد (مونيتور) .. وعاد بعد أربع سنوات الى بلده ، للعمل في مصنع أبيه حتى سنة ١٨٥٩ ، حين أفلس المصنع وتوقف عن العمل .

وما أسرع ما أسس الفرد مصنعا خاصا به لانتاج النيتروجلسرين ، ذلك المتفجر السائل الخطير ، ولكن مصنعه هذا مالبث أن تفجر سنة ١٨٦٤ ، فأودى بحياة خمس رجال ، كان أحدهم أخوه الأصغر أميل .. وحاول الفرد انشاء مصنع ثان بلا طائل فقد حالت السلطات السويدية دون ذلك ، نظرا لخطورة صنع المتفجر السائل ، وحماية لأرواح المواطنين . وماكانت تلك الاجراءات لتمنع الفرد عن ممارسة صناعة استأثرت بجوارحه ، حتى أصبح يعرف بالعالم المجنون . فواصل أعماله وتجاربه على مركب عائم في مياه النهر ، وركز تجاربه تلك على ايجاد طريقة تضمن « ترويض » النيتروجلسرين والتحكم فيه .. فقد كان المادة الخطرة المتمردة التي استعصت على كل محاولات السيطرة ، وتسببت بكثير من القتل والدمار ، منذ أن اكتشفها العالم الايطالي (سوبريرو) سنة ١٨٤٦ ....

ومضت ثلاث سنوات قبل أن ينجح نوبل صدفة بتحويل سيولة النيتروجلسرين الى جفاف ، والحد بذلك من مخاطرها أو القضاء عليها ...

وقد تسنى له ذلك بواسطة مادة تغليف عضوية .. كالفحم النباتي مثلا ، تمتص النيتروجلسرين ولاتسمح بتفجيرها الا بواسطة كبسولة خاصة بتفجيرها ، ورحبت السلطات المعنية في بريطانيا والولايات المتحدة باختراع نوبل ، فسجلته له سنة ١٨٦٧ ، وسنة ١٨٦٨ على التوالي ..

ومضى نوبل في تجاربه حتى طور الجلاتين المتفجر القوي من الديناميت ، ثم صنع البالستايت المسحوق النيتروجلسريني المتفجر الفعال ، الذي لايتصاعد



منه دخان . . . وتجدر الاشارة هنا الى مادة الكوردايت البالغة التفجير . . فقد اعتقد نوبل أن اختراعه البالستايت يخوله صنع هذه المادة أيضا . . وعارضته الحكومة البريطانية في ذلك ، فكانت القضية التي نظرت فيها المحاكم سنة ١٨٩٤ ـ ١٨٩٥ والتي خسرها نوبل . . . .

ولعل أطرف مايذكر عن نوبل اعتقاده بأن نجاحه في التحكم في مادة النيتروجلسرين (الديناميت) والسيطرة على مخاطرها ، يؤدي حتما الى التحكم في الحروب والقضاء على أهوالها . . ولكن نظرته الى الطبيعة البشرية وتقصيه حقيقة سلوك الدول ونواياها ، مالبث أن أشعره بسذاجة معتقداته الأولى وتمنياته . . من هنا كان اقدامه على التوصية بتخصيص مايعادل مليوني جنيه استرليني من ثرواته الكبيرة لتوظف على النحو اللائق وتعود بالمردود اللائق لمكافأة المتفوقين من علماء العالم سنة بعد سنة . . وهكذا ظهرت جوائز نوبل العالمية الشهيرة سنة ١٩٠١ ، وقد كانت في خمسة مجالات في بادىء الأمر : (الفيزياء والكيمياء والأدب والطب أو الفسيولوجيا . .) وأضيف اليها فيما بعد مجالات . السلم العالمي والاقتصاد .

بقي أن نذكر أن نوبل العالم كان ذا ميول أدبية قوية ، وأنه بقي أعزب حتى لاقته المنية سنة ١٨٩٦ ، عن عمر يناهز ٦٣ عاما . □

حرص الاسلام على طلب العلم

حرص القرآن الكريم والرسول ﷺ على حض المسلمين على طلب العلم ، فقال الله تعالى : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » وقال عز وجل « وقل ربي زدني علما » وقال رسول الله ﷺ « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » كما قال : ولأن تغدو فتتعلم باباً من العلم خير من أن تصلي مائة ركعة » وقال : « حضور مجلس عالم أفضل من صلاة ألف ركعة ، وعيادة ألف مريض ، وشهود ألف جنازة فقيل : يارسول الله ، ومن قراءة القرآن ؟ فقال : وهل ينفع القرآن الا بالعلم » ؟ وكانت فدية أسرى بدر أن يعلموا أطفال المسلمين القراءة والكتابة .

سلامة البشرية في سلامة البيئة





مؤتمر قمة .. للسيدات

كانت مناسبة طيبة لعقد مؤتمر قمة .. حين توافد رؤساء الدول وزوجاتهم على نيويورك ليشاركوا في احتفالات الأمم المتحدة ببلوغها الأربعين .. كان ذلك في أواخر السنة الماضية ، وفي مدينة نيويورك مقر المنظمة الدولية ...

الا أن القمة التي ارتقت تلك المناسبة كانت قمة فريدة ... وتختلف عن سائر مؤتمرات القمة التي سبقتها .. ذلك أن المؤتمرين لم يكونوا من رؤساء الدول والملوك .. ولا كان موضوع البحث قضية نزع السلاح أو ما اليها من القضايا السياسية والعسكرية ..

بدأت القصة بالدعوة التي وجهتها نانسي ريجان زوجة الرئيس الامريكي، الى عدد من السيدات الأوليات .. زوجات الرؤساء اللواتي رافقن أزواجهن لحضور احتفالات المنظمة الدولية ... دعتهن الى اجتماع يبحثن فيه مشكلة الادمان على المخدرات .. وقد بدت لها فكرة هذا الاجتماع أفضل بكثير من التجول في أسواق نيويورك .. وهو ما تعمد اليه النساء في الغالب ... سواء كن من السيدات الأوليات أو من عامة الشعب ..

وضم مؤتمر القمة النسائي فيمن ضم سيدة البرتغال الأولى رماهو ايانس .. وقد تحدثت عن رسالة المصحات الخاصة بمكافحة الادمان ، وعن الثمرات الطيبة التي جناها الكثيرون من تلك المصحات .

وتحدثت أيضا سيدة اليونان الأولى مارجريتا باباندريو ، فدعت الى إنشاء برنامج أوروبي لمكافحة الادمان على شتى المستويات ، وتتولى العمل به مجموعة الدول الأوروبية .

وكانت البيجوم شفيق ضياء الحق - زوجة الرئيس الباكستاني من بين المتحدثات .. وقد أشارت الى أن عدد المدمنين في الباكستان آخذ في التزايد حتى بلغ في السنوات الأخيرة ٢٠٠،٠٠٠ نسمة .. وأكدت البيجوم أن المؤتمر قد فتح عينيها على المخاطر الخلقية والاجتماعية الكبيرة التي تتهدد المجتمعات بسبب الادمان ..

وتجدر الاشارة الى أن مؤتمر القمة هذا تناول موضوع الادمان من أكثر من جانب .. وسلط الضوء على المصحات الخاصة التي تعالج الادمان باعتباره مرضا أو آفة فسيولوجية ونفسية .. والتي غالبا ما تحتاج الى شهور أو أكثر لمساعدة المدمن على التخلص من ادمانه . □



بقلم : الدكتور محمد نبهان سويلم

مشكلات التصحر والجفاف والجوع ليست مشكلات مرحلية تنتهي يوم تخف حدة المأساة ، بل انها تؤثر على البناء العام والمقدرة الذهنية والقدرة الاستيعابية والتعليمية وأجيال قادمة ، وباختصار شديد فالنتيجة أطفال جوعى .. ذكاء محدود ... اليوم وغدا وبعد غد ...

يجمع الناس عموما على الاقرار بأن الجوع وسوء التغذية من المشكلات العويصة التي تواجه الناس في أكثر من ثلثي العالم سكانا ، وأن التصدى لاسبابها الأساسية ، يتطلب تحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لأشد طبقات المجتمع عوزا ، وعلى الرغم من الجهود الضخمة التي تبذل في البلاد النامية ، وحزام الدول الفقيرة لتنشيط الانتاج الزراعي والتنمية الريفية ، الا أن سوء التغذية ونقص كمياتها لايزال يصيب نسبة عالية من السكان ، ولاسيما الاطفال زهور المستقبل وشبابه وأمله ، وبذا تصاب أجيال المستقبل على مستويين : مستوى البيئة الداخلية التي تتمثل في الصحة البيولوجية وملكة الابداع والنمو العقلي ، والبيئة الخارجية التي تتمثل في الثقافة والاثارة والجمال والتعاطف والأمن الاجتماعي .

وحدة الموضوع وخطورته تستدعي نظرة عامة على نتائج تجارب ودراسات وبحوث متقنة ومؤصلة أجراها العلماء على محورين ، اتخذ الاول حيوانات التجارب من فئران وخنازير حقلا لدراساتهم في محاولة لابعاد الواقع الاجتماعي والسيكولوجي والاقتصادي عن المساس بمحاور التجربة ، فالحيوانات ليس لها عقل يتدبر أو نفسية تتأثر مما يجعلها ـ أي الحيوانات ـ اطارا مرجعيا للقياس والخروج من الدراسات بنتائج مؤكدة ، في حين اتخذ الاتجاه الثاني نتائج بحوث علماء الاتجاه الاول لتحرجه القياس على الانسان ذاته في الدول الفقيرة سيان منها ما اصيب بواقع فيزيقي مثل امتناع الامطار وغور الماء ، أو الفقر كمحصلة

سوء الادارة والاقتصاد وهبوط الدافع وانعدام الثقة في كل مايذاع أو ينشر في بلده ، لندرة المثل الأعلى في معظم هذه الدول حيث لايعلن عن المأساة رسميا الا عندما تبلغ من التعقد والحدة مبلغا كبيرا .

في ميدان التجارب

ونلقي دلونا في ميدان تجارب الحيوان علّنا نأتي بشيء نافع ومفيد ، فعلى فئران صغيرة تم فطامها بعد ثلاثة اسابيع من ولادتها جرى تعريضها للجوع لفترة زمنية قصيرة فاذا بخلايا المخ تتقلص بشكل حاد ، كذلك اصيبت صغار الخنازير والعجول ببعض هذه الاعراض ، وحاول العلماء بعدها درء الخطر عنها باعطائها وجبات مكثفة لفترة طويلة ، تحتوي على كل المواد الغذائية والفيتامينات والاملاح ، وتحت اشراف علمي وطبي مكثف . . لكن لقد افلت الزمام ولم تستطع أجسام هذه الحيوانات جميعا تجاوز الخطر ، وظل عقلها اصغر حجما من نظيراتها التي نالت القدر المناسب دون جوع أو شح ، وهنا ظن العلماء أنهم ظلموا الحيوانات فأرادوا أن يروا زيادة النسل فقط دون جوع فوضعت ثمانية عشر فأرا صغيرا سويا في مهد زود بقدر كاف من الغذاء فيها مثل زيادة في عدد الفئران لاتتعدى عشرين بالمائة . . وكانت النتيجة مذهلة وان كانت غير محيرة أو مربكة ، فقد اصيبت الفئران بالهزال بنسبة ٢٥٪ من وزن الجسم العادي لذات الفترة الزمنية ، وتحت ذات المؤثرات البيئية وتقلص حجم مخها بنسبة تعدت الخمس عشرة بالمائة .

معنى هذا بوضوح شديد أن المخ أكثر أجزاء جسم الكائن الحي تأثرا بالجوع أو الحرمان ، واخطر من ذلك ماثبت لدى العلماء بالدليل القاطع والبرهان الدامغ والثابت أن الخلل ليس في حجم المخ فقط بقدر ما هو في سوء توزيع الخلايا العصبية في منطقة حساسة منه ، حيث يتكون غلاف ضيق بالخلايا يجعل في حركتها صعوبة ، ويقلل تدفق الدم صوبها وبذا تقل قدرتها على الاستجابة ، وتجد الاشارات العصبية صعوبة عند انطلاقها خلال قنوات الاتصال ، ويستمر الغلاف الضاغط أو هذا الستار الحديدي محيطا بالخلايا حتى لو التهم الجائع الصغير





* عندما سلط الضوء القوي على جمجمة الطفل الهزيل بدت وكأنها فارغة لاتحمل مخا

كميات هائلة من الأطعمة المتكاملة في الأيام القابلة .

ويحدثنا علماء مركز البحوث الوطني الطبي البريطاني في لندن مؤكدين ما أسلفنا من عرض وقول ، بل ان علماء جامعة كورنل الامريكية ـ من اشهر الجامعات الامريكية في بحوث الكون والخلايا ـ اكدوا أن كمية الحامض الحيوي د . ن . أ . D. N. A ـ الذي يعتبر بمثابة مؤشر علمي مؤكد على عدد الخلايا لكل نوع من الكائنات الحية ـ تقل بشدة اذا تعرض الكائن الحي للجوع ، ويزداد نقصه في خلايا المخ عن باقي اعضاء الكائن الحي مما يؤثر بالضرورة على كفاءة أداء أهم وأخطر قطاع من بين قطاعات الكائن الحي .

وهنا أيضا الأنيميا والهزال وتنجمان عن نقص مركبات خاصة خلال فترة الرضاعة ، والمراحل الاولى من تكون العظام ، فالحيوانات التي شاء لها قدرها ، التعرض للحرمان والجوع القارص ، أصابها الكساح والعرج ، وكانت تمشي باضطراب وارتباك ولاتقوي أرجلها على حملها ، وبقياس طوبوغرافية عقلها كهربيا وجد أن سرعة استجاباتها للاشارات بطيئة كما انها تعاني اضطرابا وتشوشا مما يجعلها تستهلك كميات أكبر من المواد السكرية والنشوية الباعثة للطاقة ، نتيجة سرعة اجهادها وحاجتها الى طاقة تعويضية عن استهلاك كمية من البروتينات المسئولة عن بناء الخلايا .

ولعل أهم مظاهر ما سبق من تجارب،توقف نمو الرضع ، وما ان تمر ثلاثة شهور حتى تبدو ،رؤوسها ضامرة مهتزة وأرجلها متيبسة وحركتها بطيئة ، ولاتشترك في الحياة الاجتماعية للاصحاء من حركة ولعب ، ومع زيادة نقص البروتينات ابان مرحلة التجريب ازدادت مظاهر رعشة وارتجاف الحركة وعدم ثبات الخطوات ، وشبه استحالة القدرة على القفز أو الجري برغم امدادهم بوجبات متكاملة فيما بعد ولمدد طويلة .

مشكلات الحياة اليومية

يجرنا الحديث الى تجارب مماثلة قام بها علماء من البرازيل والمكسيك وبعض دول امريكا اللاتينية ، على فئران تجارب ، أثبتت أن حرمان الفئران من الغذاء البروتيني المتكامل قد لايؤثر على ذكاء الجيل الأول وقدرته على حل مشكلات حياته اليومية في اطار قدراته كرضيع وذلك باجراء قياسات ذكاء خاصة ، اذ يختفى اثر الجوع فجأة وكأن لم يحدث حرمان أو جوع . لكن يوم تابع العلماء أبناء واحفاد جياع الامس وجدوا هبوطا حادا في نسبة ذكائهم رغم امداد الابناء والاحفاد بوجبات صحية متكاملة من حيث العناصر الغذائية الاساسية مما دعا علماء أكاديمية الغذاء والتغذية في تشيكوسلوفاكيا فور اطلاعهم على بحوث اقرانهم بامريكا اللاتينية الى محاولة فهم التأثير التركيبي والتراكمي للمؤثرات المباشرة على جياع الرضع وآثارها اللاحقة في اطار دراسة تعتبر من أعظم واروع الدراسات التي جرت في الكتلة الشرقية عن اثار الجوع والحرمان .

وندع أحد علماء تشيكوسلوفاكيا يحدثنا باختصار عن مخططهم العلمي ـ فاذا بنا امام تجارب مكثفة على فئران عديدة ،وضعت تحت عيون العلماءوفوق مشارح المعامل قرابة سنة كاملة ، جرى خلالها وضع نظام تغذية خاص لبعضهاوحرمان الآخر وتنشيط البعض واهمال الاخرى ، ووضع البعض في اطار حياة جماعية وحرمان البعض الاخر من عوامل البيئة الخارجية المناسبة ، تجارب معقدة وطريفة في ذات الوقت اكدت لهم قانونا طبيعيا من أروع القوانين . . ان كلا من البيئة الصالحة والغذاء المتكامل ضروري لنمو كل الاحياء حتى الفئران .

بعد هذه الجولة الاستطلاعية التي امتدت قليلا في عالم الحيوان دعونا نلقي نظرة على دنيا الانسان ـ أثمن واغلى ما خلق الله سبحانه وتعالى ـ والمكرم بتسخير ما في البر والبحر والجو لخدمته ـ وننطلق مع دراسة جادة تمت تحت سقف معامل جامعة شيلي بسنتياجو حيث يلتقي الجوع والشبع حتى التخمة فاذا بالانسان لايختلف في كثير أو قليل عما أثبتته تجارب الفئران . . نفس الظروف ونفس النتائج . . تقلص خلايا المخ وتأثير على القدرة الذهنية والعصبية وشطط وانفعال سريع وعصبية زائدة وضعف بالغ يصل الى حد الهزال والموت .

لكن العالم فرناندو مونكبرج أراد ان يقدم للناس اعلاما مباشرا يفهمه المتخصص وغير المتخصص ، حتى القارىء الذي يكتفي من المجلة او الصحيفة



مكثفة على تهجين
محاولة لدره الجوع
رغم وحود اكثر من
٧٠ نبات صالح لغذاء
والحيوان





سقطع ق رعف حم عدىم النروں اعلى الصوره
واحر فى رعىف   ىعدل ىورع على الحوعى وفو برامح
المعويه الده ىه



قىاس عمىد المسال الصدى عل و اى ساں الد ه ق
محاوله لرىاده احاصلاب ال اعىه



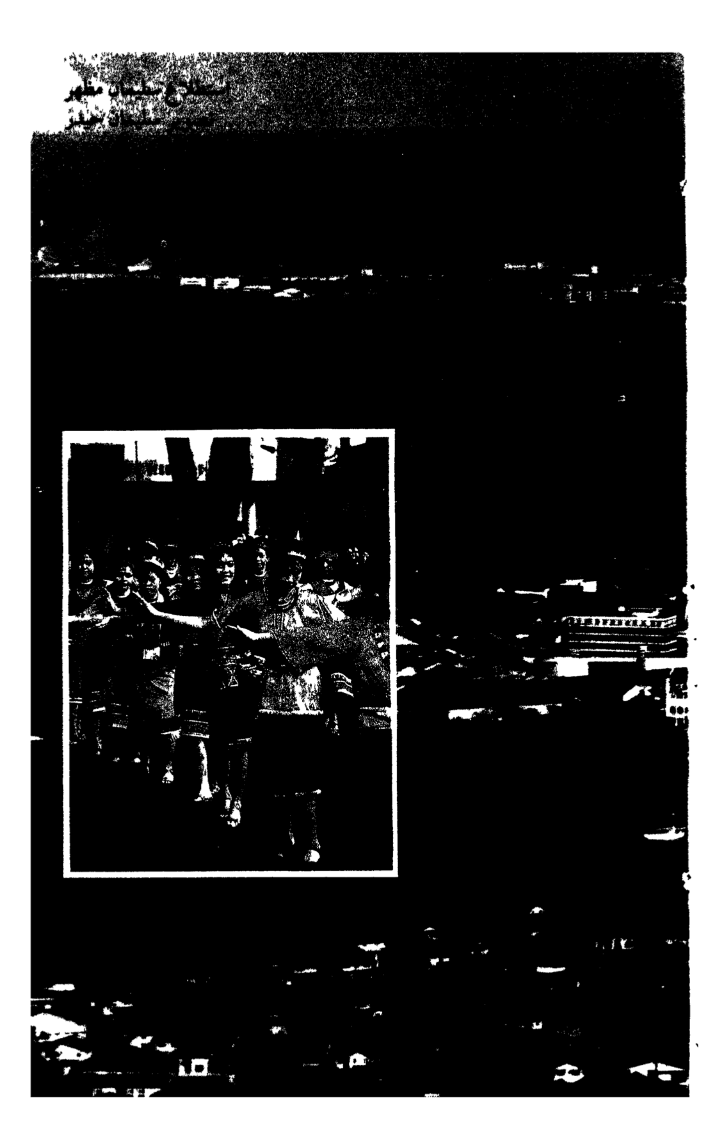
رعم ساوى السں والطروف السه ىدو الطفل ىسار
الصوره اطول وراسه اكر لانه ساول وحاب ىحامله



قد اں ىعرص للحوع واحد ماں قىاں هىرىله سعىه
سهره



الانطلاق من عمق المجهول



هل تصورت نفسك يوما وأنت تتسلق قصبة من « البامبو » طولها سبعون مترا ولا يزيد عرضها عن عشرين سنتيمترا ، لتصل الى سقف كهف ضخم ، عاش فيه الانسان قبل أربعين ألف سنة ، وترك جماجه وهياكله العظمية مدفونة في أرضه .. كل ذلك لأنك تبغي الاستيلاء على عدد من أعشاش الطيور ، دون أن تعبأ بآلاف الخفافيش وهي تضرب وجهك بأجنحتها ، ودون أن تهتم بما يمكن أن يحدث لو سقطت من هذا الارتفاع الكبير .. ؟!

اذا لم تكن تجرؤ على ذلك ، وخطر ببالك أن تشهد سواك وهو يفعلها .. فتعال معنا الى « سرواك » ..

قد يكون الاسم غريبا عنك .. ولكن « سرواك » في الحقيقة دولة تشغل مساحة تصل الى ١٢٥ ألف كم٢ وتقع في الثلث الشمالي الغربي من جزيرة بورنيو ، القابعة في قلب بحر الصين الجنوبي الى الشرق من شبه جزيرة الملايو ، وهي تشكل مع دولة صباح ـ بعد أن تحولتا الى ولايتين في نطاق الاتحاد الفيدرالي الماليزي ـ ما يسمى بماليزيا الشرقية .

وغير بعيد من ركن الساحل الجنوبي لسرواك .. تستطيع أن تجد كهوف « نياه » ..

الكهوف هي أحد أشهر المعالم الأثرية في العالم . وأبرز هذه الكهوف كهف كبير الاتساع تبلغ مساحة فراغه مائة كيلو متر مربع . أما سكانه فعدة ملايين من الخفافيش والطيور الصغيرة التي تترك كميات هائلة من الفضلات التي تستخدم للتسميد (الجوانو) على أرضية الكهف ، كما تترك على حفر السقوف عددا كبيرا آخر من الأعشاش التي تعتبر بمحتوياتها الجيلاتينية حساء وطعاما لذيذا لأهالي بورنيو والصين .. !

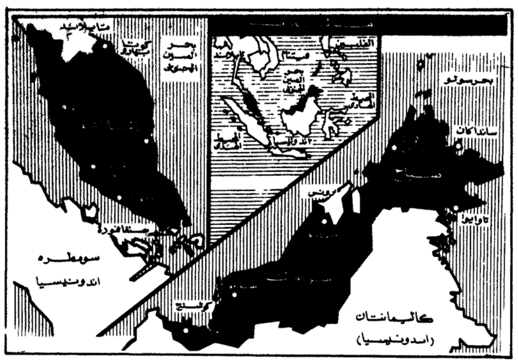
أهل الكهف

مشهد الكهف من الداخل مثير غريب .. خاصة حين تتأمل هؤلاء الرجال الذين يتسلقون أعواد البامبو الخالية من أي نتوءات ، وبدون الاعتماد على أي حبال ، فتجدهم في لحظات قد بلغوا أعلى العود البالغ ارتفاعه الى سبعين مترا ، ويبدأوا يجمعون أعشاش الطيور من السقوف في مهارة وحذق يثيرا الاستغراب ..

وقفنا ـ أنا وزميلي المصور ـ نتأمل في دهشة ما يحيط بنا . واقترب منا واحد من « أهل الكهف » وسألناه عن مهمة جامعي أعشاش الطيور فقال :

هي مغامرة خطيرة لا يجرؤ على ممارستها الا أفراد معينون تمرسوا على هذا العمل . وهم يتسلقون في فراغ الكهف على أعواد البامبو مع المحافظة خلال التسلق على توازنهم حيث ان السقوط من هذا الارتفاع يعني الموت .

ان جامعي الاعشاش يحافظون على أسرار مهنتهم التجارية في غيرة شديدة ولا يورثونها الا لأبنائهم . ويتوارث هؤلاء الأبناء أيضا المناطق التي يعمل فيها آباؤهم في الكهف ويعتبرونها ملكا خاصا لا يجوز الاعتداء عليه . وقد تمتلىء المنطقة بآلاف الأعشاش في بعض الأيام ، وقد يقل العدد فلا يتجاوز العشرات .. كل ونصيبه . ويعتبر جامعو الاعشاش أنهم « أصحاب الكهف » وحدهم ، وهم يعيشون في قرى قريبة أو في بيوت طويلة . وخلال مواسم جمع الأعشاش التي تتراوح بين مرتين أو ثلاثة في السنة ، يشركون معهم كل أفراد عائلاتهم للمساعدة في جمع ما يحصلون عليه من هذه الثروة المباركة .. كما يجمعون أيضا ما يخصهم من سماد « الجوانو » الذي يحملونه في أكياس على ظهورهم ، تماما كما فعل أجدادهم طوال آلاف ومئات السنين .



* خريطة تبين موقع سرواك من الاتحاد الفيدرالي الماليزي وتبدو العاصمة في أقصى الجنوب

٤٠ ألف سنة

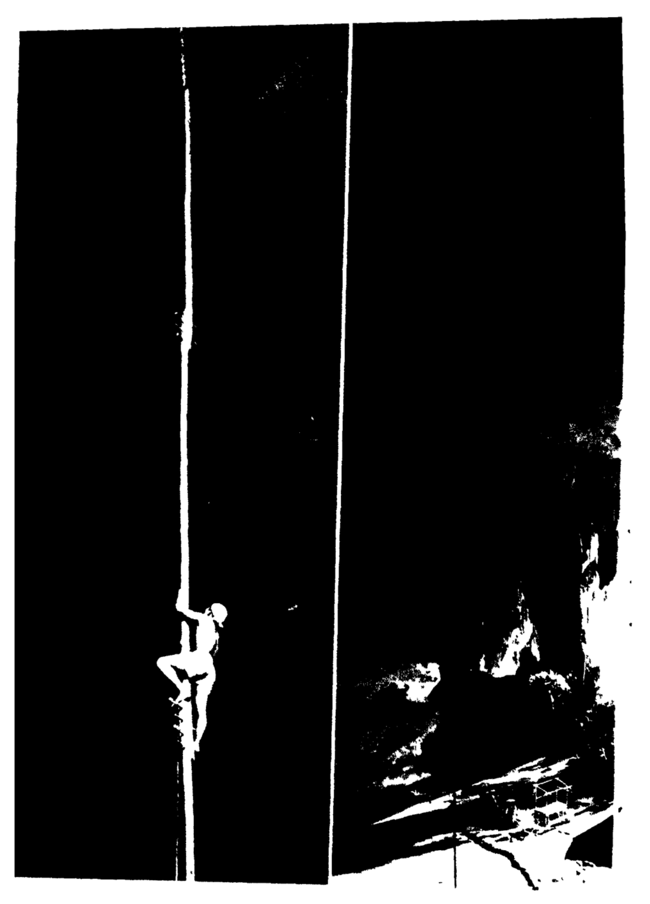
ومنذ عام ١٩٤٧ بدأ المتحف الوطني يجري حفرياته الاثرية في كهوف « نياه » . وكانت نتائج موسمين من الحفريات بالغة الأهمية ، مما جعل شهرة الكهوف تنتشر في كل مكان بعد أن أمكن العثور على آثار من عصور تمتد الى أكثر من أربعين ألف سنة . ومازالت الحفريات مستمرة وتخرج كل موسم آثارا جديدة تمثل مختلف مراحل التاريخ .

وقد عثر على جمجمة لانسان « الهوموسابيان » الذي عاش في الكهوف منذ ٣٥ ألف سنة ، بالاضافة الى أقدم آثار الانسان الحديث . فمنذ حوالي ٤٠ ألف سنة كان سكان كهوف « نياه » يستخدمون الأدوات الحجرية ، ولكن منذ ١٠ آلاف سنة بدأوا يستخدمون أدوات من العظام أو المحارات والاصداف .. وحتى أربعة آلاف سنة قبل الميلاد كانوا يحفرون القوارب في سيقان الاخشاب ، ثم بدءوا يرسمون على جدران الكهوف نماذج لسفن الموت . وفي القرن السابع أخذ « أهل الكهف » يشتغلون بتجارة عاج رؤوس طائر « أبي منقار » ، وأعشاش الطيور ، فكانوا يقايضون الصينيين بها مقابل أواني البورسلين وعقود الخرز الملون . وبعد القرن الرابع عشر لم يعد التجار الصينيون يأتون لأن بحارتهم كانوا قد اكتشفوا الطرق البحرية على طول شواطىء فيتنام والملايو . ومنذ ذلك الوقت لم تصل أي سفينة الى شواطىء سرواك . وتحت مثل هذه الظروف بدأ السكان يهجرون الكهوف وينطلقون الى أعماق الغابات .

ويبدو أن سكان « كهوف نياه » كانوا هم أجداد قبائل « البونان » الذين مازال أبناؤهم يتبعون عقائد وتقاليد آبائهم الذين وجدت بقاياهم وآثارهم في مقابر الكهوف . وكان « البونان » هم الذين قاموا أخيرا بأعمال الحفريات الأثرية في كهوف « نياه » في القرن التاسع عشر ، وهم الذين قاموا بجمع « أعشاش الطيور والجوانو » من الكهوف .. وهم أيضا الذين عثروا على مجموعات الجماجم والهياكل العظمية والأدوات والآلات الحجرية والأواني البورسلين الصيني من عصور تانج وسونج .. والادوات البرونزية والآلات الحديدية والنقود الصينية وكل ما يربط كهوف « نياه » بالعصور القديمة للتاريخ وقد شاهدناها كلها معروضة أو مخزونة في المتحف الوطني .. « بكوتشينج » عاصمة سرواك



مدخل الكهف الرئيسي ويبلغ مساحته قرابة مائة كيلومتر
مربع   ونظرة ضيقة للمشرف على كهوف شاه



جامع احساس الطيور يتسلق قصبة الناسو التي يبلغ طولها سبعين
مترا ليصل الى سقف الكهف

قصة سرواك

الآن . . تعال بنا نتعرف على قصة سرواك الحديثة خلال الأعوام المائة والخمسين الأخيرة .

تبدأ القصة مع مغامرة قام بها البحار الانجليزي جيمس بروك ، الذي أرسته مغامرته على سواحل سرواك عام ١٨٣٩ . كانت المنطقة كلها في ذلك الوقت أحد أقاليم سلطنة بروناي العظمى التي كانت تحكم كل جزيرة بورنيو . وكان حاكم الاقليم يسمى « بنجيران ماكوتا » . وكان الاقليم في ذلك الوقت يعاني من حركة معارضة عنيفة قام بها السكان من قبائل الداياك « الايبانز » ضد الحاكم شهبندر محمد صالح . ومن أجل إقرار الأمور أرسل السلطان نائبا عنه عمه « مودا هاشم »للتفاهم مع الثوار ، ولكنه فشل في مهمته وعجز عن اعادة النظام ، مما جعله يلجأ الى دعوة المغامر الانجليزي لمساعدته . وكمكافأة له على تعاونه واسهامه في تهدئة الثوار وعده مودا هاشم بمنحه قطعة من الأرض في سرواك . وحين تم القضاء على حركة التمرد بدأ بروك يطالب الحاكم بالوفاء بوعده . وعندما حاول مودا هاشم التخلي عن الوعد لجأ بروك الى التلويح بقوته العسكرية ، واضطر مودا هاشم نيابة عن السلطان الى تنصيب بروك حاكما على اقليم سرواك بدلا من شهبندر محمد صالح الذي عاد مغضبا الى بروناي . ولم تمض سنوات قليلة حتى كان مودا هاشم قد قتل مع أسرته على يد مجموعة من المناهضين لبروك . . !

وأثار مصرع مودا هاشم غضب حاكم سرواك الانجليزي . وأبحر على رأس مجموعة من سفنه الحربية الى بروناي حيث أنزل الهزيمة بقواتها انتقاما لصديقه . . ثم أعلن انسلاخه عن السلطنة . وهكذا بدأ حكم الراجات البيض لسرواك منذ عهد جيمس بروك ليصبح الأمر إرثا تتولته أسرته من بعده لمدة تقترب من المائة عام . . استطاعت خلالها أن تسلخ مساحات أخرى كبيرة من الاراضي المحيطة التابعة للسلطنة ، حتى استقرت حدودها على مساحة ١٢٥ ألف كيلو متر مربع تشمل المنطقة الشمالية الغربية من جزيرة بورنيو .

خلال فترة حكم الراجات البيض من عائلة بروك ، استطاعوا الامساك بزمام الأمور في البلاد التي تعرضت أكثر من مرة لاعتداءات القراصنة ، ولحركات المقاومة المسلحة في الداخل ، وخاصة من المواطنين الايبان (الداياك البحريين) الذين رفضوا ترك أراضيهم والنزوح الى الداخل .

استمرت عائلة بروك تحكم سرواك وأقرت مجموعة من القوانين لاجراء الكثير من التغييرات في حياة القبائل وعاداتهم وتطوير أنماط هذه الحياة التي كانوا يعيشونها والتي كان من بينها إبطال تقاليد الايبان في صيد الرءوس .

وفي عام ١٨٨٠ وضعت سرواك تحت الحماية البريطانية . ولم تتخلص سرواك من التبعية للتاج البريطاني . الا بعد انضمامها الى اتحاد ماليزيا الفيدرالي عام ١٩٦٣ خلال فترة حكم رئيس الوزراء الاتحادي تنكو عبدالرحمن .

القبائل والسكان

بلغ مجموع سكان سرواك حسب اخر احصاء مليون و ٣٠٨ آلاف نسمة ، ويتشكلون من مجموعات متباينة من الجماعات العرقية . أغلبية السكان من قبائل الايبان الدياك البحريين (٣٠,٣٪) والصينيين (٢٩,٥٪) والملاويين (١٩,٧٪) والبيدايو (الدياك البريين ٨,٢٪) والميلانو (٥,٧٪) وجماعات بدائية أخرى (٥,٣٪) بالاضافة الى أعراق أخرى تشكل بقية السكان (١,٣٪) .

ويدين السكان بعقائد وديانات متباينة ، وهم يمارسون عباداتهم في حرية كاملة . فالاسلام وهو دين الدولة الرسمي يدين به الملاويون والكيدياك وعدد كبير من الميلانو . أما المسيحية وتشكل أغلبية ثانية فيدين بها أغلب الدياك والصينيون الذين يعتنق عدد كبير منهم البوذية . أما الباقون بعد ذلك فهم بدائيون أولادينيون يعبدون الأوثان ويقدسون الأرواح والاسلاف . وسكان المناطق الداخلية في أدغال سرواك ـ الايبان والدياك البريون ـ يعيشون في البيوت الطويلة بجوار الانهار الكبيرة التي تخترق أراضي الادغال وتشق بداخلها طرقا مائية متعددة لمواصلاتهم . وكثير من هؤلاء قد تركوا الصيد وأزالوا مساحات من الغابات المحيطة بهم ليزرعوا الأرز والفلفل .

أما قبائل البونان الذين يعيشون في أقاصي أدغال سرواك ، فما زالوا يمارسون حياتهم التقليدية البدائية . . ولكن بدلا من الصيد بأنابيب النفخ أصبحوا الآن يمارسون الصيد بالبنادق .

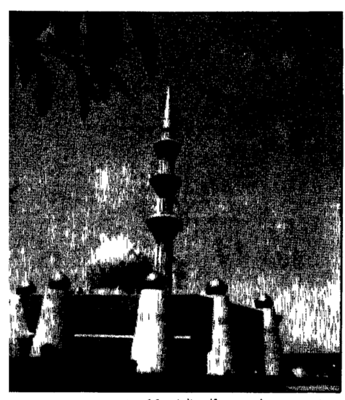
الايبان وبيوتهم الطويلة

الفرصة التي أتيحت لنا لاختراق الادغال بشكل مباشر في سرواك كانت من الجو . . حيث طارت بنا الطائرة الهليكوبتر التي أمر باعدادها لنا رئيس الوزراء داتو عبدالطيب محمود للذهاب الى « بنتالو » . . القلعة الصناعية والبترولية الجديدة ، وهي فرصة كان لابد منها لالقاء نظرة شاملة على سرواك لضيق الوقت المتاح لنا لزيارة معالمها .

وخلال رحلة الهليكوبتر التي استغرقت بنا تسع ساعات على مرحلتين مررنا فوق أكبر مناطق الادغال الداخلية اتساعا في سرواك . ومن الجو وعلى مستوى منخفض يكاد يلامس رؤوس أشجار الغابة ، شاهدنا تفاصيل تلك الحياة الغريبة في الغابات . . الناس . . والحيوانات . . والاشجار الكثيفة . . والأراضي التي أزيلت غاباتها الاستوائية لتتحول الى أرض صالحة لزراعة الارز . . ذلك بالاضافة الى سلاسل الجبال والمحدرات والوديان الضيقة والسهول الواسعة . . والأنهار التي تجري وهي تتلوى بين السفوح والسهول . . والقرى المائية القائمة فوق الانهار . . والمستنقعات . . والبيوت الطويلة التي تمتد على جانبي النهر أو عند أقرب نقطة اليه . . وكذلك الأكواخ المتناثرة للفلاحين والصيادين ، كلما أتيحت لهم فرصة اقامة كوخ . . ثم الأمطار الموسمية التي تسقط بغزارة وهي تضرب طائرتنا وتضفي جوا نديا رطبا فوق الغابة العذراء .

أما المشاهدة الثانية فكانت مع انطلاقنا لاختراق الغابات نفسها عبر طريق ضيق تحيط به الأشجار الكثيفة من الجانبين حتى لا تكاد أشعة الشمس تخترقها على الاطلاق . . كما يمر الطريق في بعض الأحيان على جانب نهر راجانج أو بجوار مستنقع كبير . . حيث تقوم مجموعات من البيوت الطويلة التي يسكنها الايبان (الداياك النهريون) . . وخلال المسيرة نلمح أنواعا كثيرة من الطيور الاستوائية البديعة الألوان والقرود والثعابين . . والقليل من الحيوانات المتوحشة التي لا تقترب من السيارة خلال انطلاقها .

هنا يكون اللقاء مع جماعة من جماعات الايبان ، وهي قبيلة « بيدايو » . والايبان أو الداياك النهريون يشكلون أغلبية سكان سرواك حيث يتجاوز عددهم ٣٤٠ ألف نسمة بنسبة ٢٩٪ من السكان . وبرغم أن أغلبهم الآن قد دخل الاسلام وانطلق ليعمل في



* مسجد بيسار في قلب العاصمة كوتشينج بقبابه المطلية بالذهب

الوظائف الحكومية بالمدينة . . كما اجتذب المبشرون عددا آخر منهم الى المسيحية وفتحوا لهم الكنائس والمدارس . . . الا أن عاداتهم وتقاليدهم مازالت ترتبط بالعقائد والعادات التي توارثوها عن الاسلاف .

ونتوقف عند أحد البيوت الطويلة . .

البيت ليس بيتا بالمعنى المعروف ، إنما هو مجموعة متصلة من البيوت أو الأكواخ تضم حوالي ثمانين عائلة . . وهي تقوم الى جانب النهر على مساحة مكشوفة ، حيث تباعدت أشجار الغابة أو أزيلت . الأكواخ مبنية من خشب الأشجار وقصب البامبو ، وتغطي سقوفها بجدائل من سعف أشجار جوز الهند وزيت النخيل . . ويرتفع البيت الطويل عن الارض على أعمدة لا يقل ارتفاعها عن خمسة أمتار تاركة أسفلها مساحات لمرور مياه الفيضانات ولتربية طيورهم الداجنة وكلابهم وقططهم . وتتصل الأكواخ بعضها ببعض بواسطة ممر يمتد بطول المجموعة كلها ، ويشكل مساحة الملتقى الاجتماعي والاحتفالي في أمسيات العائلات التي تقيم فيها . ويهبط عند مدخل الممر ونهايته درج عبارة عن ساق خشبي ضخم حفرت عليه الدرجات باتقان ، والساق مثبت في مكانه ، بحيث يرفع الى أعلى عندما يجيء الليل



* فرقة موسيقية من عازفي « الداياك » والمزامير من قصب البامبو .

* رقصة شعبية .. وراقصة من فتيات « الايبان » .





* القرية وبيوتها الطويلة التى تقوم على أعمدة
لا تقل ارتفاعها عن خمسة أمتار والى
اليمين مشهد لقطاع داخلي لأحد الأكواخ
والديكور الغريب يتدلى من سقوفه وأبرز
معالمه الجماجم البشرية المعلقة !

ليحول دون صعود الأعداء وغير المرغوب فيهم من البشر والوحوش الى البيوت أو الاضرار بسكانها في الظلام .

ديكور من الجماجم

دعانا شيخ القبيلة الى بيت معد خصيصا لاستقبال الضيوف والزائرين . . المدخل مفتوح الأبواب ، والسقف والجدران تتدلى منهما أنواع مثيرة من الديكور ، أبرزها عشرات من الجماجم البشرية هي من آثار ما اصطاده الآباء عندما كانوا من صيادي الرؤوس . . أما بقية القاعة فكأنها متحف يضم آثارا قديمة ، بها الطبول التي كانت تستعملها القبيلة ، والرءوس والسيوف والسهام والجرار الكبيرة ومطحنة الأرز التي كانوا يطحنون بها بعد الحصاد ، بالاضافة الى مجموعات من العقود والأطواق المشكلة من أنياب وبقايا ما كانوا يصطادونه من وحوش الغابة قبل أن يتحولوا الى الزراعة ويعملوا في تربية الماعز والأبقار والدواجن . .

ودعينا الى الطعام . . ومدت الأواني المملوءة بالارز المطبوخ الذي تعلوه قطع من لحم الخنزير ولحوم الثعابين وأوراق خضراوات لا نعرفها وهي كلها لا نستطيع أن نقربها . . ولكن شيخ القبيلة حاول بطريقة لطيفة أن يفهمنا أن لديهم تقليدا يسمى « بوني » يفرض على كل من يجلس الى طعام أو يدعى اليه أو يكون قريبا من قوم يأكلون ، أن يشارك في الطعام ولو بقبضة واحدة حتى لا يتسبب في الضرر للآكلين ، وحتى لا يتعرض لعضة ثعبان . . كما أن ذلك الامتناع قد يتسبب في أن يبتلعه تمساح . . ! وقد كان من عادة الايبان من قبل ، أن يأكلوا لحوم الحيوانات التي يصطادونها بالسهام المسمومة التي ينفخونها من خلال أنبوب البامبو ابتداء من الأرانب البرية حتى الثعالب . .

أما نظام القبيلة فيقوم على أساس ديمقراطي بسيط . . فهم ينتخبون رئيس القبيلة ، ويعرف باسم « توان روما » . كما ان مجموعات الأسر في البيوت الطويلة تنتخب رئيسها ويسمى « بنجولو » ، كما أنهم يختارون حكامها أو طبيبها بالانتخاب حيث يشارك في الاختيار كل سكان البيوت الطويلة . ولا يوجد نظام طبقات ، وكل فرد حر في الزواج من الفتاة التي يقع عليها اختياره .

موروثات الأجداد

قال لنا الزعيم : كان الايبان قديما من المحاربين المتمرسين ، وكان من عاداتهم صيد الرؤوس حتى قضى على هذه العادة في أواسط عام ١٩٤٠ . وكان الهدف الرئيسي لصيد الرؤوس هو تقديم القرابين والاضحيات الى الأرواح للحفاظ على البيوت وسكانها وابعاد الشرور عنهم . . وغالبا ما كان الضحايا من النساء العجائز والاطفال ، وفي بعض الأوقات يكون صيد الرؤوس أحد الرموز التي يأتي بها الفتى فوق سن رمحه لتأكيد شجاعته وبلوغه مبلغ الرجولة . . !

ويتمسك الايبان بموروثات الاجداد في حياة كل يوم . . فصوت طائر مغرد يجب أن يسمع قبل غرس شتلات الأرز في الأرض . . فاذا عز هذا الصوت كان ذلك يعني ضرورة تغيير مكان القرية . . ! والاحلام غير الطيبة ـ كأن يتضمن الحلم مشهد مريض أو ميت أو يسمع خلاله صرخة طائر الموت « سابات » ـ تقتضي تغيير مكان اقامة صاحب الحلم والمشاهد التي تحيط به . . وعندما تكون القرية تحت الانشاء يحرم نسج الملابس الوطنية كما يحرم الدخول في نزاع أو خصام والمشاركة في أي معركة . .

كل هذه المعتقدات التي حدثنا بها زعيم القبيلة وجدناها ما تزال راسخة في أذهان شباب الايبان حتى بعد أن اتجهوا الى المدارس والجامعات وازدادت ثقافتهم وأصبح لهم صوتهم المسموع في مناقشة الأمور السياسية والاقتصادية والاجتماعية في البلاد . .

والميزة الرئيسية التي يتميز بها الايبان (الداياك البحريون) هو لطفهم وكرمهم في تعاملهم مع الغير . . وحياتهم المليئة بمظاهر البهجة والفرح والزينة والرقص الشعبي التقليدي الذي يجتذب كل الأنظار .

وهم لا يختلفون كثيرا عن أقربائهم من البيدايو (الداياك البريين) والذين يوجدون بكثرة في المناطق الداخلية في جنوب غربي سرواك . . فهؤلاء سكان بيوت منفصلة عن بعضها البعض . . وهناك تشابه في الملامح بين الداياك البريين والبحريين برغم أنهم مختلفون في اللغة والعادات . . والداياك البريون ليس لديهم اتجاهات اجتماعية وان كانوا محبين للسلام ويعرف رؤساؤهم باسم « أورانج كايا » .

من هؤلاء جميعا تتشكل الأعراق المختلفة في ولاية سرواك ، التي استطعنا أن نكون فكرة شاملة عن

طبيعة الحياة فيها من خلال مشاهدتنا لها من الجو ونحن في الطائرة الهليكوبتر وهي تطير أقرب ما يكون الى قمم المرتفعات وأشجار الغابات وأسطح البنايات في المدن الحديثة حيث تبدو مظاهر التقدم والتطور والنهضة . . وخاصة في العاصمة . . كوتشينج .

مدينة ذات وجهين

كوتشينج . . مدينة نهرية ذات وجهين متباينين . . قديم موغل في القدم . . وجديد بالغ التحديث . . مدينة صاخبة وساكنة ، ثابتة ومتقلبة ، في آن معا . .

الصخب والحداثة والتقلب يبدو كله في الجانب الأيسر من نهر سرواك ، حيث الحياة بكل تدفقها ، وبكل نوعيات سكانها الذين يبلغ تعدادهم الآن ١٣٠ ألف نسمة ، بينما لم يكن يتجاوز بضع مئات من الملايويين وعشرات من الصينيين عندما رست على شاطئها سفينة المغامر الانجليزي جيمس بروك قبل حوالي ١٥٠ سنة .

على الجانب الشمالي من النهر الذي يفصل العاصمة الى قسمين يربطهما جسر معلق طويل تشهد عالما آخر . . مقر الراجات البيض الذي كان يقوم منعزلا بعيدا عن الصخب والضجيج أصبح صورة من الماضي يجذب مشهده الباحثين عن الهدوء والراحة والاستمتاع . هذا المقر تم بناؤه عام ١٨٧٠ ليضم ثلاثة شاليهات (بانجالو) كبيرة أقيمت فوق قواعد حجرية بارتفاع حوالي عشرة أمتار ، وتظلل أسقفها البارزة المائلة العريضة كل القاعات الداخلية . أما الشاليه الرئيسي فهو يضم قاعة الاستقبال والطعام والرسم والموسيقا . بينما الشاليهان الجانبيان يضمان قاعات النوم . وقد بنى مقر الراجا الابيض شارلز بروك ليقيم فيه مع عروسه الموسيقية مارجريتا . واذا كانت استخداماته قد تغيرت بعد ذلك أكثر من مرة الا أنه يتخذ الآن مقرا رسميا لحاكم الولاية .

وعلى الضفة المقابلة من النهر تصطخب أصوات الباعة والمشترين ومساوماتهم في ساحة السوق الكبير حيث يأتي صيادو الأسماك بصيدهم وروائحهم ليبيعوا حصيلة اليوم فوق الارصفة المزدحمة التي يختلط فيها الحابل بالنابل طوال النهار والليل .

قلعة الحب

في جولة حول كوتشينج شهدنا قلعة مارجريتا أبرز معالم المدينة ، والتي أطلق عليها بروك اسم زوجته الموسيقية الحالمة التي تزوجها وهي تصغره بعشرين عاما . . وكانت هي الفتاة الوحيدة التي قبلت أن تحضر لتعيش بين أدغال سرواك .

القلعة أنشئت عام ١٨٧٩ بتكلفة حوالي ٨ ملايين دولار . واختير موقعها الاستراتيجي بحيث تسيطر على الضفاف الطويلة لمداخل نهر سرواك منذ اقترابه من العاصمة ، فمن هنا دائما كانت توقعات أي هجوم أو غزو تتعرض له المدينة . وفي عام ١٩٧٩ كانت سرواك قد بدأت تمر بفترة من الهدوء والاستقرار حتى ان القلعة لم تستخدم أبدا للهدف الذي أقيمت من أجله .

القلعة بطوابقها الثلاثة تتميز بأنها رباعية الشكل . . وعند مدخلها قاعة كبيرة كانت في الايام الاولى تستخدم مكتبا للقيادة ، بينما الطبقات العليا كانت مقرا للحراس . والى يسار المكتب توجد زنزانتان كانتا تشغلان عادة بالمساجين المحكوم عليهم بالاعدام أثناء انتظارهم لمصيرهم . ويتوازى مع الزنزانتين ممر يقود مباشرة الى خارج الحصن . وينتهي الممر ببوابة حديدية تفصله عن الساحة الخارجية .

وعلى مر الأيام اختلفت استخدامات القلعة . فلفترة قصيرة بعد الحرب الثانية استخدمت كمركز تدريب للشرطة الذين يقومون بمد أسلاك المواصلات التليفونية ثم استخدمت القلعة بعد ذلك لتصبح بمثابة « ميس للضباط » ، وعندما تم انتقاله الى موقعه الحالي أعيد مبنى القلعة لقوات الدفاع المدني لتصبح مقرا لقيادتها .

وانتهى الامر بالقلعة (أخيرا) في عام ١٩٧١ لتصبح متحفا للشرطة ، يضم الاسلحة التي كانت تستخدم في الماضي ، وبينها المدفع الوحيد الضخم الذي دوى صوته ذات يوم في سرواك ، بعد أن دفعه الى أعلى جبال سندوك أكثر من ٥٠٠ رجل من الداياك الاقوياء ، وتمكنوا عن طريقه من انزال الهزيمة بالثائر الشهير المسمى « رينتاب » . وفي أحد أبراج القلعة « المتحف » توجد قاعة أطلق عليها اسم قاعة « الجماجم الضاحكة » ويقولون ان صاحب هذه الجماجم ـ وعددها مائتان ـ هو أحد أبطال الداياك الذي باعها للمتحف وهو يقول انها كانت تقلق نومه بضحكاتها الهستيرية التي تطلقها طوال الليل .

المتحف الوطني أحد المعالم الأخرى البارزة في كوتشينج وهو يضم في قاعاته مجموعة من الآثار الاسلامية القديمة الى جانب هياكل المعابد الصينية وجماجم لصيادي الرؤوس كما يضم أيضا كنوز الحرف الاثرية التي تدل على حضارات القبائل المختلفة في



مصساه النعط
ى سولو اسرر
المراك الصاعد
واسرعها نطور
ى مالىرىا

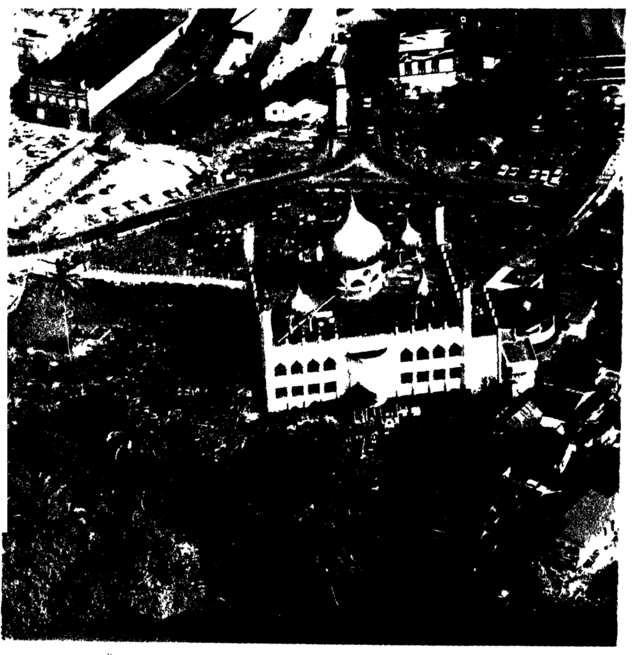


محمعاب
مساكں
الموطىں
والاف السوب
المىىىىه عاں
احدب ط ا





داحل موسسه
ىسر الاحساب
وصاعد الاىاب
ى سروال



قب العـاصـمه
دوسـسح سـه
سـا و س طـائـره
لملاده
وسحا الدوله في
سـ ـد الملك
والى المسـ سـا و
حـ ده المـ ور فوق
الحسر المعلق

سرواك وفي كل جزيرة بورنيو ، كما تعرض على جدرانه وفي قاعاته مجموعات من الأسلحة القبلية والأدوات المهنية والأعمال الفنية القديمة والحديثة ، ومن حسن الحظ أن المتحف وضع خلال الغزو الياباني تحت امرة أحد الضباط المتنورين فلم تحدث به أي أضرار .

وغير بعيد من المتحف يوجد مسجد بيسار ، المسجد الرئيسي للمسلمين في كوتشينج ، والذي تم بناؤه قبل عشرين عاما ، ويشكل بقبابه المطلية بالذهب صورة رائعة للهندسة المعمارية التي يمتزج فيها القديم بالحديث .

للمعابد الصينية قصة

وتزخر كوتشينج بمجموعة من المعابد الصينية التي تزدهر بألوانها وزخارفها ، وأقدمها معبد « توابيك كونج » الذي أقيم قبل أكثر من مائة عام . . هذا المعبد يعتبر أهم معابد الجماعات الصينية في سرواك . وخلال ضرب كوتشينج بقنابل الطائرات اليابانية لم تلحق به سوى تصدعات في أحد جدرانه . أما معبد « كويك سنج أونج » فقد أعيد بناؤه عام ١٨٩٥ ، وهو يتميز بسقف تبدو ديكوراته رائعة الجمال والألوان ، وهو المعبد الذي تتجه اليه جماعات « الهوكيان » في أداء الصلوات لمعبودهم « كويك سنج أونج » ، كما يأتي اليه أيضا كثير من جماعات الصيادين « الهنجاو » للحصول على البركة من أجل صيد وفير . . وأجمل ما شهدناه في هذا المعبد الاحتفال السنوي الذي يقام في اليوم الثاني والعشرين من الشهر القمري الثاني ويبدأ من السابعة صباحا حتى العاشرة مساء ، حيث يوضع تمثال الاله على مقعد يحملونه ويطوفون به بين الأغاني والاهازيج حول شوارع المدينة .

طفرة صناعية وتنموية

مظاهر الطفرة السريعة في الانتقال من البداوة الى الحضارة واضحة في كل شيء . . ولا تمنع هذه الطفرة من التأكيد على وجود نهضة حقيقية في كل نواحي الحياة . ولعل أبرز الأمثلة على هذه النهضة التنموية والصناعية ما يجري في منطقة بنتولو . . وحين نهتم بتتبعها واستعراض ما يجري من مظاهر التقدم فيها فانما نقصد من ذلك أن نقدم نموذجا متميزا لكيفية اقامة المناطق الصناعية يمكن أن نستفيد منه في وطننا العربي .

انطلقنا على متن الطائرة الهليكوبتر . . الى بنتولو . . مدينة النفط والغاز الطبيعي في سرواك . وبنتولو تمثل أحد أبرز المراكز الصناعية وأسرعها تطورا في ماليزيا الحديثة . ويتيح لها موقعها في وسط الساحل الغربي المواجه لماليزيا الغربية أن تلعب دورا كبير الأهمية بعد التوسع في كشف كميات ضخمة من الغاز الطبيعي والاحتياطي البترولي بالاضافة الى ما ينتظر الحصول عليه من القوى الهيدروكهربية الضخمة التي ستدفعها الى مقدمة المناطق الصناعية . وهناك أيضا ما يثير الاهتمام وهو أنها غنية بالمنابع والموارد الصناعية حيث تزخر بأنواع الخشب المتميز والأراضي الزراعية الخصبة والسليكون والفحم مع المزيد من الخدمات المتطورة .

ان دخول بنتولو الى الساحة الاقتصادية كان من الظواهر الجديدة . وعندما تم اكتشاف آبار البترول والغاز الطبيعي بدأت المنطقة تشهد تطورا كبيرا منذ عام ١٩٧٩ ، ودخلت في نطاق المجتمع الاقتصادي الدولي . ومع انجاز أول مصنع لتسييل الغاز الطبيعي في ماليزيا وأول عمليات تصديره بالبحر في أول عام ١٩٨٣ ، شهدت بنتولو تغيرا كبيرا من قرية صغيرة الى أكبر مركز صناعي حديث في المنطقة .

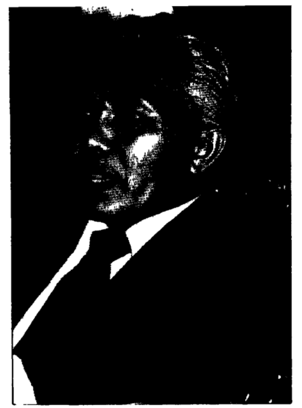
ان مشروع ناقلات الغاز والبترول الذي قدرت عائداته بمبلغ اجمالي قدره حوالي سبعة بلايين من الدولارات ، وقيمة أرباح اليوريا امونيا التي تبلغ ٧٣٧ مليون دولار ، بالاضافة الى عائدات قدرها ٥٦٠ مليون دولار نتيجة تعميق الميناء ، كل ذلك حفز على التطور الصناعي لمنطقة بنتولو . .

وتبعا للنهضة السريعة منذ ١٩٧٩ فان التسهيلات والخدمات المميزة في بنتولو قد جعلت منها قاعدة حديثة متطورة ، فقد قامت مئات المحلات التجارية وآلاف المساكن لمواجهة التطور السكاني المتزايد ، كما شقت الطرق الحديثة لربط المدينة بالمناطق والمدن الرئيسية في الولاية ، كما اتسعت حركة الطيران التي تربطها بكوتشينج وكوتاكينا بالو كحلقة اتصال مع سنغافورة وكوالالمبور وهونج كونج .

. . وتتكلم الأرقام

تملك بنتولو من احتياطات الغاز الطبيعي ٥٠٠ مليون متر مكعب . حصة ضخمة من هذه الكميات الكامنة بدأ استغلالها للنهوض بالصناعات البتروكيمائية وصناعات القوى المحركة .

أما النفط الخام فان الصهاريج يمكن أن تستوعب



* رئيس الوزراء داتو عبدالطيب وحديث حول بنتولو .

مليون وربع مليون برميل في وقت واحد منذ أنشئت عام ١٩٧٩ . ويستخرج النفط الخام من حقول تيمانا على بعد ٣٠ كيلو مترا من سواحل المدينة ، كما أن حقول بايان بدأت انتاجها في منتصف العام الماضي بكميات ضخمة . وتتولى شركة النفط أيضا التسهيلات الخاصة ببيع وتصدير الغاز الطبيعي خاصة مع اقامة مصنع تسييل الغاز الذي يتيح الفرصة لكميات أكبر من الصادرات الى الأسواق الاسيوية .

أما عن الأخشاب فان منطقة بنتولو وحدها تحيط بها غابات على مدى ٣,٥ ملايين هكتار من مجموع الاراضي الغابية في سرواك والتي تبلغ ١٢,٥ مليون هكتار . وفي عام ١٩٨٣ فان متوسط ما تم تصديره من الأخشاب من هذه المنطقة بلغ ٢٢٢ الف متر مكعب شهريا في هيئة كتل خشبية . ويوجد الآن في منطقة بنتولو عشرون مؤسسة لنشر الخشب . وللنهوض بهذه الصناعة فان الحكومة تبذل امكاناتها الآن من أجل مزيد من التطور باقامة مؤسسات أخرى قادرة على مضاعفة الكميات المصدرة .

بالاضافة الى ذلك فان الزراعة يجري تطويرها لامكان استغلال أكبر مساحة من الأراضي الصالحة للزراعة . ويوجد الآن حوالي ٢٠ ألف هكتار مزروعة بأشجار زيت النخيل وحوالي ٩٠٠ هكتار مزروعة بالكاكاو ، والمساحة التي بدأ استصلاحها في المنطقة لاتقل عن ٥٠٠ ألف هكتار من أجل مزيد من الحاصلات الزراعية .

● « سرواك » الانطلاق من عمق المجهول

وهناك مناطق واسعة بها السليكون (الرمل الزجاجي) الغني العالي الجودة في السهول الساحلية ، مما أتاح الفرصة لاقامة مصانع لانتاج ألواح الزجاج والأواني الزجاجية والبلورية يتزايد انتاجها مع المزيد من التطوير .

يضاف الى ذلك أنه تم العثور على حقول من الفحم في مناطق كثيرة من بينها حوالي ٢٠ مليون طن من فحم الكوك و ٤٠٠ مليون طن من فحم الليجنايت جنوبي بنتولو .

وقد تم الشروع في اعداد حوالي ١٠٠٠ هكتار من الاراضي للتوسع في اقامة المصانع واستيعاب المنشآت والمساكن للعمال والموظفين ، مما سيجعل المنطقة قاعدة صناعية ضخمة تستوعب المزيد من الطاقات العاملة ، وتتيح لها المزيد من الخبرات في الميدان الصناعي ، ولمواجهة القوى العمالية المتصاعدة فقد أقيمت مدارس للبنين والبنات لمختلف المراحل لتعليم أبناء الموظفين والعاملين ، كما أقيمت مدن اسكانية نموذجية مزودة بجميع أنواع الخدمات .

لقاء مع رئيس الوزراء

من أجل مزيد من دفع عجلة التقدم والتحديث يتولى داتو عبد الطيب محمود رئيس وزراء سرواك رئاسة السلطات التنفيذية للنهضة في بنتولو .

وعندما دعانا رئيس الوزراء للقاء في مقر اقامته عبرنا له عن الاعجاب الكبير بالنهضة الشاملة التي شهدنا أحد أمثلتها في بنتولو . . فقال :

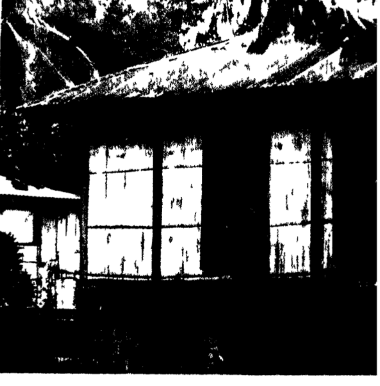
ان الجهود في سرواك مستمرة على جميع المستويات لتطوير المجتمع ، من أجل حياة أفضل للشعب بكل فئاته وجماعاته ، والانتقال بهم الى أعلى درجات التقدم .

وبنتولو أحد الأمثلة لهذه الجهود من أجل أن تصبح قاعدة أساسية صناعية متطورة . وهي تعطي صورة بارزة للتنمية الصناعية والزراعية التي نرحب من أجلها بكل خبرة أو مساهمة أجنبية أو عربية لمواصلة تنفيذ ما خطط لها من برامج نأمل لها المزيد من النجاح ، في ظل التغيير الكبير في توجهات وقدرات مجتمع نفض عن نفسه بقايا البدائية والقبلية ليسير على طريق النهضة والتقدم .

وكان لابد بهذه المناسبة من سؤال نوجهه لرئيس الوزراء عن طبيعة الجهود المبذولة من أجل التغيير الجذري لبنية المجتمع ، وكيف رافقت هذه الجهود محاولات واضحة لاجتذاب أكبر عدد ممكن من









* شمـوع كثـره للتعريف بالاسلام بن التلامد والتلمدات حث الاهمام كبر عحلف مراحل التعلم (الصوره العلـا الى اليمن) ثم نطره الى الغابة من شرفة الكوخ



* في السوق الشعبي . . . خضراوات وفواكه من جميع الأنواع . . ووجوه من جميع الفئات والأعمار . . لا تترك السوق إلا الى نزهة على شاطىء نهر سرواك

القبائل البدائية الى الاسلام .

قال عبدالطيب محمود :

لا أخفيكم أننا نواجه الكثير من المصاعب المالية مثلنا مثل أغلب دول العالم الثالث . ولكنني أتصور أننا الآن بدأنا نقف على أرض صلبة ، وخاصة بعد أن أتيح مجال العمل والخبرة للكثير من سكان الولاية . لقد أصبحنا قادرين على تنفيذ التنمية الصناعية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية في سرواك . وفي كل أنحاء اتحاد ماليزيا تبذل جهود كبيرة من أجل مزيد من الدعوة الى الاسلام وذلك بانشاء الكثير من المراكز الاسلامية ، أولا ـ لاجتذاب المسلمين الى معرفة فضائل دينهم الاسلامي ، وثانيا ـ لاجتذاب غير المسلمين الى هذا الدين القويم ، واعداد معتنقيه الجدد لمعايشة المجتمع الجديد من خلال قناعة شخصية تتسم بالحرية ، وهو أمر بالغ الأهمية ، ليشعروا بأن أمامهم مُثلا جديدة للحياة .

من هنا كان من الضروري بذل المزيد من الاهتمام بالتعليم في جميع المناطق ، بما في ذلك المناطق الداخلية ، ابتداء من رياض الأطفال والتعليم الابتدائي حتى الثانوي . ومن خلال ذلك تضاء شموع كثيرة للتعريف بالاسلام بين التلاميذ بمختلف فئاتهم وعقائدهم . ولكن هنا أيضا تقف مشكلة اللغات . . فلكل جماعة عرقية لغتها ولهجتها التي لا تساعد كثيرا في هذا المجال . . ونتمنى أن نتغلب على هذه المشكلة بتدريس اللغة القومية بالاضافة الى اللغة الانجليزية التي غالبا ما تتفهمها المجتمعات القبلية . وقد طبعنا عددا كبيرا من الكتب التعليمية باللغة الانجليزية ـ للتغلب على تعدد اللغات ـ تشرح مبادىء الاسلام وتاريخه وفضائله وتوجيهاته ، كما أصبح لدينا الآن معلمون لديهم خلفية لغوية ودينية ، بحيث استطاعوا أن يقيموا آفاقا كبيرة أمام التلاميذ وكذلك مع أسرهم وعائلاتهم في كل مكان . ولا شك أن ذلك يحتاج الى وقت طويل ، ولكن الأمور تسير في الاتجاه الصحيح .

ولعلنا لا ننسى أننا منذ بداية الاستقلال عام ١٩٦٣ كانت تواجهنا مشكلة القبائل البدائية والمجتمعات الفقيرة ، حيث المواطن يعيش في كوخه الصغير أو يصطاد السمك أو يزرع الارز في الريف أو يعيش على الصيد في الغابة معزولا عن الحياة والمدنية ، حينما كانت الفئات الوافدة وخاصة أن الصينيين يسيطرون على التجارة والصناعة وينعمون بكل معطيات الحضارة . ولم تكن فرص النمو متاحة لكافة عناصر الأمة بالتساوي ، وكانت هناك فروق شاسعة في امكانات الحياة الاقتصادية والاجتماعية . وكان لابد برغم ضآلة الامكانات من محاربة الفقر والتخلف ووضع برامج التنمية الخمسية ، التي كان هدفها اذابة الفوارق وتطوير المجتمع وخلق توازن اقتصادي بين المدن والريف وسكان المناطق الداخلية . وكان المستقبل مرهونا بمدى القدرة على تطوير امكاناتنا الزراعية وخاصة أنها مورد طبيعي غير قابل للاستنزاف فعملنا على زيادة المساحة المزروعة واستئصال الاشجار من بعض الاراضي الغابية واعدادها للزراعة ، مع تخطيط المشروعات الزراعية بحيث تقدم تسهيلات كبيرة للفلاحين والمزارعين ، مع شق طرق ممهدة بين المدن والمناطق الداخلية واقامة المدارس والعيادات والأسواق . وبدأ المواطنون ـ وخاصة في الأراضي الداخلية ـ يدركون أن وفرة المحصول ليست نتيجة لتدخل القوى الخارقة أو أرواح الاسلاف ولكنها تتحقق نتيجة اتباع الأساليب الحديثة . وهكذا واصلنا العمل على التطور بنفس الطريقة في المجالات الصناعية والثقافية والتجارية .

نشاط الدعوة للاسلام

للتوسع في متابعة نشاطات الدعوة الى الاسلام ومعرفة العقبات على الطريق والى أي مدى استطاعت الهيئات التبشيرية أن تلعب دورا بين المجتمعات الداخلية في أدغال سرواك . . كان لابد من لقاء مع رئاسة المركز الاسلامي للولاية :

قال لنا داتو محمد فوزي أمين المجلس الاسلامي :

« إن استراتيجية الدعوة الى الاسلام بين الشعوب والقبائل تقوم على الدعوة عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة . وقد دخل الاسلام منذ البداية في سرواك وما حولها عن طريق التجار من العرب والاندونيسيين الذين جاءوا للتجارة ، واستطاع بعضهم أن يدعو بعض أبناء القبائل ممن كانوا يتعاملون معهم الى الاسلام . واستمر الأمر يسير بخطوات بطيئة حتى نالت سرواك استقلالها وأعلن الاسلام دينا رسميا في اتحاد ماليزيا كله . وبدأ الاحساس بضرورة العمل على نشر الدعوة الاسلامية بعد أن بدا واضحا تأثير قوى التبشير في نشر المسيحية بين أبناء البلاد الاصليين ، وخاصة اللادينيين ، وهي قوى وهيئات كانت تتمتع دائما بدفق من ملايين الدولارات من المنظمات المسيحية من جميع أنحاء العالم ، كما توضع

كثير من طائرات الهلوكوبتر تحت تصرف المبشرين ، وفيهم عدد كبير من القسّوس الأجانب ، حيث تنظم العملية كلها تنظيما محكما وتمول تمويلا سخيا ، يفتقر الى مثله الدعاة المسلمون الذين يواجهون الكثير من الصعوبات ، وخاصة أن المبشرين يملكون الأدوات الكاملة التي تسهل لهم القيام بمهمتهم ، ويستخدمون القوارب البخارية ، ويملكون الزوارق التي يتحركون بها بين المستنقعات والمجاري المائية في الادغال حيث يعيش رجال القبائل . . كما ان لديهم ضمانات كاملة للحياة وعندهم امكانية اقامة مدارس تعليم .

● ولكن لماذا لا يتحمل الدعاة المسلمون مثلما يتحمل المبشرون ؟

الاجابة الصريحة أنه منذ أيام الاستعمار الذي كان يسيطر على المنطقة كلها كانت الجهود مستمرة لعزل المسلمين عن المناطق التي يعيش فيها رجال القبائل في الادغال . . والاستعمار ينجح دائما في أن يمسح التاريخ عن بعض البلاد حتى لا يحس أهلها بوجود اخوة لهم . العزلة والتفرقة أحد وسائل المستعمرين وعن طريقها جعلوا البلاد وكأنها جزر منفصلة ومناطق متباعدة لا يقترب منها الآخرون . ونجحوا في ذلك عن طريق عدم اتاحة أي وسيلة من وسائل المواصلات التي تسهل التقارب بين السكان . . طبعا هذا الذي حدث قديما كان له تأثيره في الوقت الحاضر ولكننا الآن ومع احساسنا بالمسؤولية الكاملة نواصل تقدمنا وخطواتنا ، وستظل الجهود مستمرة مع بذل كل الطاقات من أجل تقدم الاسلام ونموه في سرواك .

مطلوب دعاة مجاهدون

● يتحدث المشرف على الدعاة « أوانش بور » فيقول :

ان الصعوبات تتركز في بعد المناطق الداخلية عن المدن ، كما ترجع الى صعوبة المواصلات للوصول الى أماكن اقامة رجال القبائل . كما تفتقر الدعوة الى عدد أكبر من الدعاة المدربين . صحيح ان لدينا مبعوثين من الرابطة الاسلامية ومن دار الافتاء يبلغ عددهم حوالي عشرة . وفي كل سرواك لايتجاوز عدد الدعاة ثلاثين ، غير الخطيب والامام في المسجد . ولكن الدعاة الوطنيين يدرسون عن طريق غير مباشر في المساجد ، مما دعانا الى توجيه عدد يصل الى مائة يدرسون الآن في المعاهد الاسلامية في ماليزيا الغربية ، ويواصل بعضهم التعليم في مصر وعددهم الآن حوالي عشرين ، كما يوجد في الجامعة الوطنية الملاوية في كوالالمبور حوالي خمسين طالبا ، وفي الجامعة الاسلامية الدولية اثنان ، ونأمل أن يزداد عددهم في القريب .

وهؤلاء سيكون لهم دور مباشر في الدعوة لأنهم يعرفون اللغة الوطنية ويستطيع بعضهم أن يتعامل مع رجال القبائل مثل الداياك بلغتهم وهو أمر لا يستطيع أن يقوم به أي دعاة يمكن أن نستقدمهم من البلاد العربية والاسلامية الاخرى . . والذي يمكن أن تقدمه لنا الدول العربية والاسلامية هو مزيد من الدعم المالي والمساعدات المادية والعينية ووسائل المواصلات التي تمكننا من منافسة الهيئات التبشيرية في المناطق الداخلية .

● ويضيف المفتي داتو حاج عبدالقاضي حسن :

المهم هو أن يكون لدى الدعاة امكانية أن يخاطبوا المواطنين بلغاتهم ، لأن المسألة ليست دخول هؤلاء في الاسلام ، ولكن الأهم هو متابعتهم لمواصلة تعليمهم أسس الاسلام وفضائله وقيمه ، حتى يستمروا في الايمان ويؤثروا في غيرهم من الأقارب والجيران . ولا يمكن أن تتم هذه المتابعة بشكل مناسب مع قلة عدد الدعاة وصعوبة الانتقال الى المناطق الداخلية . ولو استطعنا أن نحل هذه المشكلة لتغير وجه حياة هؤلاء المواطنين كثيرا . ان الأمر يحتاج الى انفاق كثير فليس لدينا من المال ما نستطيع أن نمول به الدعوة كما يفعل المبشرون المسيحيون . . فهؤلاء أيضا يمتزجون مع الاهالي ويسكنون معهم ويأكلون ويشربون ويقيمون في بيوتهم ويعطون لهم الدواء والكساء وكل ما يحتاجون اليه . وهناك مسألة أخرى لها أهميتها هي مدى الحماسة عند من يقومون بالدعوة ومدى استعدادهم للتضحية في سبيل نشرها . . اننا نريد دعاة مجاهدين . . هناك دعاة . . ولكنهم لا يجاهدون . . المطلوب دعاة مجاهدون يستطيعون تحمل الذهاب الى أماكن اقامة اللادينيين ويكون لديهم الايمان والصبر على الكفاح وضرورة التغلب على الصعوبات ولا يعتبرون أنفسهم موظفين يحصلون على رواتب مقابل هذا العمل . . يجب أن يكونوا دعاة يسيرون على ما كان يسير عليه الدعاة أيام الرسول صلى الله عليه وسلم . . فالدعوة جهاد عملي . . جهاد مستمر . . يتولاه مؤمنون يملأ الايمان قلوبهم . . وسنستمر في المحاولة حتى ينتشر الاسلام تماما في هذه البقاع . . وحتى يبقى فيها ما بقيت الحياة . □



اعداد : يوسف زعبلاوى

حضارة انيانج
أقدم حضارات أهل الصّين

يندر أن تجد بين حضارات البشرية جميعا حضارة تفوق حضارة الصين ، من حيث غزارة المخترعات التى ابتكرتها أو طورتها ثم جادت بها على الاخرين . . ومع ذلك فان عهد أهل الصين بالحضارة يعتبر حديثا نسبيا . ولعله لم يبدأ الا قبل



خريطة انيانج

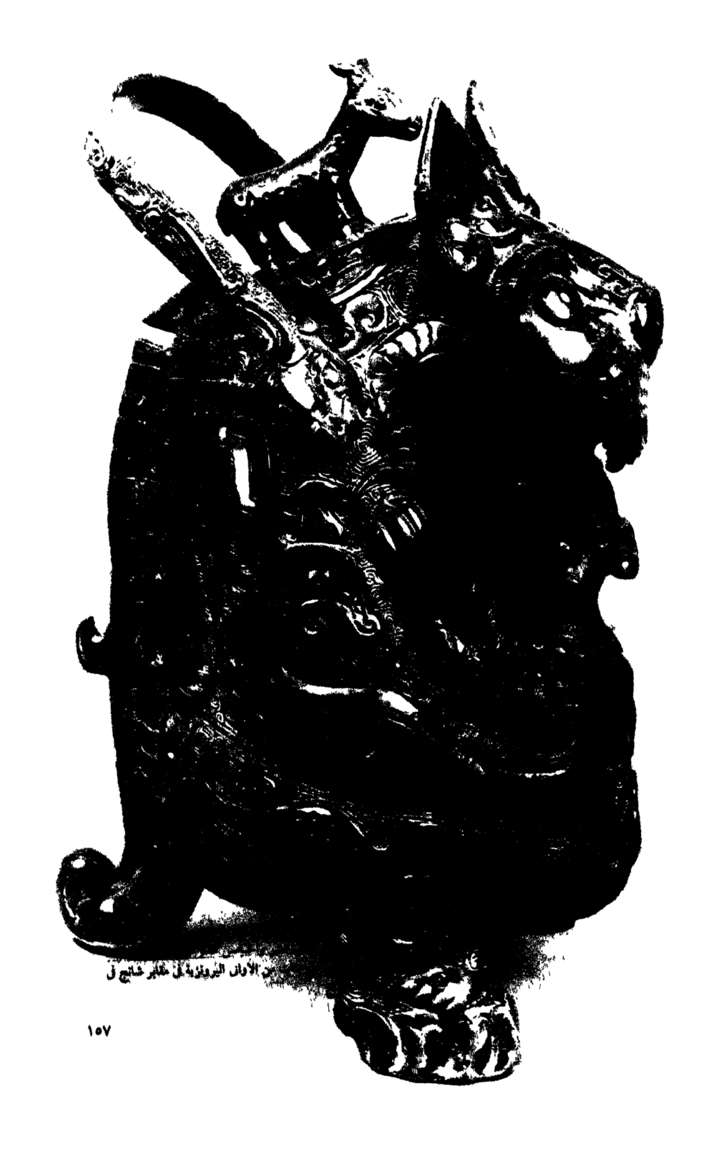
حوالى ٣٦ قرنا ، أى فى سنة ١٧٠٠ ق م على وجه التحديد . .

ففى تلك السنة ظهر (شنج تانج » وهزم غريمه (جي) . . وهكذا انتهى عهد سلالة (كسيا) السلالة الأولى التى حكمت الصين ، وبدأ عهد سلالة (شانج) التى ترعرعت فى زمنها أولى حضارات الصين .

حضارة في الظلام

أما موقع تلك الحضارة فمدينة (ين) التى تقع غير بعيد عن نهر (هوان) التى اتخذت من ذلك النهر حصنا منيعا يقيها شر العدوان من جانب المدن والدويلات الأخرى ، وقد تكاثرت فى ذلك العصر الاقطاعى من تاريخ الصين . .

وأما مولدها فسنة ١٣٠٠ ق م ، حين ظهر الملك المحارب (بان جنْج) واحتل تلك المدينة ، واتخذ منها عاصمة له ، وطرد مستوطنيها الأوائل ، وكانوا من أقوام العصور الحجرية . . ليحل محلهم قومه ، قوم شانج الذين لماعتمدواالبرونز ، والذين بنوا حضارة



من الأواني البرونزية في مقابر شانج في

خنجر برونزى ، من الاسلحة التى استعملها اهل انيانج فى القرن الثانى عشر .. لاحظ النقوش والصور الدقيقة على مقبض الخنجر

الصين الأولى فى ذلك العهد الشاننجى (١٣٣٥ ـ ١١٢٣ م) ، والجدير بالذكر أن الحفريات التى كشفت عن معالم تلك الحضارة لم تبدأ الا سنة ١٩٢٨ ، واستمرت حتى عام ١٩٣٧ ، وقد أجريت فى موقع (أنيانج) وهو الاسم الحديث لموقع مدينة (ين) القديم . . .

ولعل أهم وأطرف ما عثرت عليها تلك الحفريات ، مجموعة العظام التى شملت فيما شملت أكتاف الثيران .. وظهور السلاحف ، فقد نقش قوم أسئلة عديدة مختلفة على تلك العظام .. هى الأسئلة التى طرحوها على الآلهة ، أو وجهوها الى الأجداد والأسلاف ، وقد احتلوا المرتبة الثانية التى تلى مرتبة الآلهة فى عرف أهل الصين .. والطريف فى تلك العظام انها ردت على تلك الأسئلة .. اذ عمد المتنبئون الى حفر العظمة ، وادخال قضيب ساخن فى الثقب الذى حفروه فيها ، حتى تتشقق تلك العظمة وتتكسر .. ويتمكنوا من التنبؤ بالمستقبل ، وذلك بالتحديق فى ذلك الكسر وتلك الشقوق .. واستشفاف أجوبة الآلهة والأجداد على تلك الأسئلة . . . .

أما البناء والعمران فى حضارة (إنيانج) فكان من فئتين مختلفتين تمام الاختلاف .. فئة القصور ، قصور الملوك والنبلاء ، وفئة الثقوب المحفورة فى الأرض كالآبار ، وهى البيوت التى سكنها عامة الشعب .

وتنوعت أشكال هذه الثقوب .. فكان بينها المستدير والمربع والمستطيل ، وتراوح عمقها بين ٣ ـ ٤ أمتار .. وتفرعت الى ثقوب جانبية فرعية أصغر حجما من الثقوب الرئيسية .. وقد استعملت تلك الثقوب كمستودعات ، ولأغراض أخرى مختلفة ..

والغريب أن تلك المنازل حرمت الرحابة وحرمت الضوء أيضا .. وكأن المكان الفسيح المنير كان من حق الأسرة الحاكمة وحاشيتها والنبلاء .. وحدهم دون سواهم ..

ولعل تلك المنازل الشعبية الخفية فى باطن الأض ، أشبه ما تكون بملاجىء الغارات الجوية .. او الأنفاق .. انها مساكن الأنفاق .. وهى ما زالت تبنى وتسكن فى شمال غرب الصين فى الوقت الحاضر ..

ولو انتقلنا من تلك المنازل الشعبية الى منازل الملوك والأمراء ، لشعرنا وكأننا ننتقل من القبور الى القصور .. وحسبك أن القصر الملكى بنى من حجر ، واشتمل على ٢٠ صرحا أو أكثر أقيمت كلها بمحاذاة أحد الشوارع الرئيسية ، ولم تكن تلك الشوارع واسعة ، ولكنها كانت مبلطة بحجارة بحجم بيض الأوز ..

لقد اكتشفوا سبعة قصور ـ غير القصر الملكى ـ وخمسة عشر معبدا ، وعددا كبيرا من المبانى ، وقد بلغت مساحة الواحد منها مالايقل عن ٤٠٠ متر مربع (٤٠ × ١٠) وكان أكثرها معدّاً لاقامة الطقوس والشعائر .

دود القز والحرير

وأما الأعمال التى مارسها أهل (انيانج) فكانت الزراعة أهمها بلا نزاع . . لقد زرعوا الذرة بأنواعها ، والقمح ، وزرعوا الأرز فوق هذا أو ذلك . . واعتنوا بتربية الدواجن والمواشى ، وبخاصة الخنازير . . . وأتقنوا تربية دودة القز . . وقد صنعوا من غزلها الأنسجة الحريرية الفاخرة ، التى طالما ظفرت باعجاب الشعوب الأخرى جميعا . .

على أن تربية دودة القز لم تكن من مبتكرات حضارة (إنيانج) . . ويرجح المؤرخون ان تأنيس دودة القز فى الصين يعود الى حوالى سنة ٢٠٠٠ ق.م.

واحتلت الصناعة المرتبة الثانية فى حياة قوم (شانج) اليومية وقد أكثروا من صنع الأوانى البرونزية ، وخصوصاً تلك التى كانت لصنع النبيذ بالتخمير ولشربه . . وكان النبيذ ضروريا لشعائر التضحية عندهم . . ولطالما رشوا القبور بالنبيذ عقب دفن موتاهم .

ولعل أهم اناء صنعوه من البرونز هو الذى عثروا عليه فى أحد المقابر الملكية ، وقد بلغ طوله « ١,٢ متر » ، ووزنه (١٨٠) كيلو جراما . . . وأما الغرض من ذلك الاناء العملاق فكان تقديم الحيوانات قرابين للآلهة . . فقد اتسع الاناء لخروف أو خنزير بكامله . . وغالبا ما غلوه فى الماء قبل تقديمه قربانا . . عثروا عليه كما قلنا فى أحد المقابر الملكية . . .

ويعجب المرء للمكانة الرصينة التى تبوأها ملوك (شانج) بالرغم من أنهم لم يكونوا آلهة فى نظر الرعية . . وقد تجلت تلك المكانة فى قصورهم ، كما أسلفنا ، وتجلت أيضا فى تقاليد دفنهم فى القبور . . . فقد درج قوم (شانج) عند موت أحد ملوكهم ، على قتل حرس ذلك الملك وخدمه وكلابه . . ودفنهم معه . . وكثيرا ما دفنوهم أحياء . . وذلك بقصد حماية الملك من الأرواح الشريرة . . وقد عثروا فى قبر أحد الملوك على ٥٠٠ رجل ، ضمتهم قبور ملحقة بقبر الملك . . وعثروا فى منطقة أخرى على مفرزة كاملة من الجند . . وأربعة من قواد العربات . . والخيول . . ذبحوا ودفنوا اكراما لمليكهم المتوفى . . ولم يغفل قوم شانج عن ملء قبر الملك بأسلحته الخاصة ، وحاجياته المحببة اليه . . بما فيها الآلات الموسيقية . .

منجزات وملامح

ذلك أن أهل انيانج عرفوا الكثير من الآلات الموسيقية ، وشغفوا بفنون أخرى كانت حياكة الازياء فى طليعتها . . . . فقد حرصوا على ارتداء السترات المختلفة الأشكال والأحذية الأنيقة . . وعنوا كثيرا بقبعات النساء المزيفة والمرصعة . .

ويظل الدولاب على رأس الخصائص التى تميزت بها حضارة (انيانج) . . من هنا كان انتشار العربات التى جرتها الخيول ، وكانت وسيلة الانتقال الرئيسية للنبلاء . . على أن قوم (شانج) عرفوا كيف يستغلون الدولاب أيضا فى أعمالهم الزراعية . .

ويتساءل المرء بعد ذلك كله : كيف أمكن لأهل إنيانج الحصول على البرونز بكميات كبيرة ، بالرغم من أن هذا المعدن لم يكن له وجود فى أرض تلك المدينة ، ولا بالقرب منها . . لا بد اذن أن يكونوا استوردوه من مكامنه البعيدة . . .

وقل مثل ذلك فى الصدف الذى وجدوه بكثرة فى المقابر . . ومن الواضح أنهم استعملوه للزينة . . ولربما كعملة للبيع والشراء . .

والمرجح أن هذه الأشياء التى لا وجود لها فى المنطقة ، انما كانت بحكم الجزية التى قدمتها ممالك بعيدة ، كانت تقع على حدود الصين أو خارجها ، وتدين بالولاء للملوك شانج . . .

وجاءت سنة ١٠٥٠ ق م ، واذا بحكام أقاليم الغرب يثورون على ملكهم (زهاو) وينقلبون على حكمه ، وقد أبوا أن يكون الملك مدمنا على الخمرة ، وخاضعا لأفراد حاشيته ، وهكذا بادت حضارة مدينة (ين) بعد أن سادت طوال قرنين من الزمان . □

■ لا القلعة ولا الحسناء تثبت طويلا بعد المفاوضة (بنيامين فرانكلين) .



الحبّ .. مخاطرة وثقة ومشاركة





مخاطرة، وثقة، ومشاركة

بقلم : راجي عنايت

يمنعنا الخوف من أن ندخل في علاقات انسانية ، خشية الفشل أو الرفض أو الألم ، وخوفنا من الألم هذا يحرمنا من أن تنشأ علاقات بيننا وبين الآخرين .

أن تحب ، يعني أن تخاطر . . فأنت عندما تعرض نفسك على شخص آخر ، تكون معرضا الى أن يرفضك الطرف الآخر . . ولكن اذا ما أحكمت حماية نفسك من الام الرفض فأنت بذلك تجعل من المستحيل أن تنشيء علاقة بينك وبين الآخرين ، أو تصل علاقتك بهم الى مستوى التآلف .

في العديد من الحالات ، يعمد الطرفان الى ابقاء العلاقة بينهما عند حدها الأدنى ، تخوفا من الاحساس بالألم اذا ما انفصمت العلاقة ، وهم في الدفاع عن موقفهم هذا يشيرون الى الوقائع المؤلمة من حولهم ، للزيجات الممزقة ، وعلاقات الحب المقطوعة ، ومايسببه هذا للأطراف الداخلة في هذه العلاقات الجادة من معاناة . لكن هؤلاء ينسون أنهم باقامة العوائق في طريق العلاقات الحميمة ، ورفع السواتر التي تحميهم من آلام الحب ، يحرمون أنفسهم من عمق ودفء المشاعر الحقيقية في الحياة، الايجابي منها والسلبي .

ويسلك بعض الأشخاص الطريق المضاد ، فهم ما ان يقعوا في الحب حتى يصعدوا أحلامهم الرومانتيكية الى أقصى مدى لها مما يقود إلى خيبة أمل ، غالبا ما يكون لها أثر سيىء على الصحة النفسية للانسان .

ان اختيار الطرف الآخر في أي علاقة أو بمعنى أدق حسن اختياره ، يعتبر الركيزة الأساسية التي تقوم عليها العلاقة الراسخة ، ونحن عندما نحاول انشاء علاقة جديدة بشخص آخر ، أو نحاول تعميق علاقة قائمة ، تتدخل في هذا العديد من العناصر الشعورية واللاشعورية .

ومن التجارب التي تفتقر الى النجاح تلك التي



يختار فيها الانسان شريكه بدافع رغبة ملحة في انقاذه ، أو على العكس من ذلك ، عندما يختار الشريك متوقعا منه أن يلعب دور المنقذ في هذه العلاقة ، ومع أن الرغبة في مساعدة ومساندة الصديق أو الحبيب دافع طبيعي مستحب ، الا أن الشخص الذي يغرق في وهم انقاذ شريكه وحل مشاكله يسعى في واقع الأمر ـ غالبا ـ الى تحقيق وتأكيد مجده الشخصي ، وفي هذه الحالة يصبح من حق الطرف الأخر أن يستغل هذا الوضع ، ويوكل اليه حل جميع مشاكله ، مستمرئا الفكاك من وطأتها .

كذلك من عناصر الفشل في علاقة الانسان بالآخرين ، توهمه القدرة على علاج نواقص الأطراف الأخرى ، وتقويم تصرفاتها ، وتغيير أساليبها في الحياة ، وتحويلها ـ بمعجزة ـ الى صور يحلم بها .

الثقة قبل الحب

عندما تنشأ بينك وبين طرف آخر علاقة تآلف ، تكون معرضا للآلام النفسية اذا ما حاول الطرف الآخر أن يستغلك ، أو يحقق منفعة عن طريقك ، وهنا ينشأ السؤال . . الى أي مدى يمكن أن تخاطر بوضع ثقتك في الطرف الآخر ؟

الثقة الحقيقية يجب أن تنمو بالتدريج ، أما الثقة المباغتة المباشرة فغالبا ما تنقصها عوامل الثبات والاستمرار ، ذلك لأن الثقة النامية ، تمتحن على مدى الزمن في وجه الضغوط ، يقول الكاتب مارتن روزنمان ان تنمية الثقة تشبه تقشير البصلة ، عندما يتم نزع القشرة الخارجية يصبح من الممكن الانتقال الى عمق أبعد ، وفي الناس كما في البصل تقوم القشرة الخارجية بدور الحماية . !

ومن بين وسائل اختيار ما اذا كان الطرف الآخر موضع ثقة محاولتك التدريجية للكشف عن مناطق ذات حساسية عاطفية خاصة لديك . . مثال ذلك ، بعض الخبرات الخاصة في ماضيك ومشاعرك نحو عجز تشعر به . . اذا ما استغل الطرف الآخر ما يبلغه ضدك ، فهذا يعني صعوبة تحقق المشاركة وتبادل الثقة ، أما اذا احترم الطرف الأخر مشاعرك وحساسياتك الخاصة ، عندئذ يمكنك أن تكشف له نواحي ضعفك الأكثر حساسية وأنت مطمئن .

وكلما نمت الثقة ، وتزايد الاحترام المتبادل ، أمكنك الكشف عن مزيد من خفايا حياتك ، التي

تعمد الى اخفائها في الاحوال العادية ، دون خشية استخدامها ضدك .

والثقـة يمكن أن تنشأ عنـدما يكـون البـوح بالخصائص متبادلا بين الـطرفين ، ذلـك لأن تبادل المشـاعر يشجـع على المشاركة ، ويـوفر الحمـاية ، ويدعم العلاقة ، والملاحظ أن الناس عندمـا يمرون بمحنـة واحـدة تجمعهم ، غـالبـا مـا يكشفـون عن خصـائصهم الشخصيـة ، فيتحقق بينهم التقارب المباشر والعميق .

وكوسيلة لقياس مدى الثقة في الـطرف الآخر ، يمكنك أن تلاحظ مدى التناقض بـين مايقـوله ومـا يفعله ، وان تتأمل خبراتك السابقة معه لتتبين اذا ما كان يلتزم بقوله ، واذا مـا كانت تصـرفاتـه توحي بالثقة .

الاعتراف . . أم المناورة ؟

والكثـير من المحبـين والمحبـات يتعـامـون عن المشاكل التي قد تنشأ بينهم وبين الأطراف الأخرى ، ولايهتمون بمناقشة المسائل الحيوية بالنسبة للعلاقة التي يدخلون فيها ، وغالبا ما يتجاهل المحب تحديد مدى ما وصلت اليه العلاقة مع الطرف الآخر . لهذا ، عندما يقوم المحب بمراجعة افتراضاته ، وعندما يكون واعيا بما يفعله ويقوله الطرف الآخر ، يمكنه أن يصل الى فهم افضل للعلاقة التي بينه وبين الطرف الآخر .

والكثير ممن يدخلون في علاقة حب ، يترددون في مـواجهة الـطرف الآخر : هـل يعترفـون بحبهم أم يعمدون الى المناورة ، قبل الاعتراف بـالحب ، وفي كتاب « نظرة جديدة على الحب » يناقش المؤلفان الين وليامز واليستر هذه المسألة فيقولان :

« يتفق سقراط مع أوفيد مع كتـاب كامـوسوتـرا مع برتراند راسل ، في أن الحب يشتعل عن طريق الاثارة والتحدى ، والحقيقة انه من النادر أن تجد اتفاقا واسعا مثـل هذا حـول مسألـة كهذه ، الا أن الـدراسات أثبتت ـ لسوء الحظ ـ عكس هذا القول ، ففي أوائل السبعينيات ، عندما بدأنا بحثنا الاول ، كنا نؤمن بهذه الحقيقة ، ونرضى بذلك القول الشائع ، لكن البحث العلمي المنظم أثبت عدم صحته .

لقد قام الزوجان واليستر بالاشتراك مع هيئة من المساعدين الباحثين ، بدراسات تواصلت لمدة خمس سنـوات ، وأشارت نتيجـة هذه الـدراسات الى أن الرجال يحبون المرأة الصعبـة ، بنفس الدرجـة التي يحبون بها المرأة السهلة . . وهما يقولان :

« كيف اذن يجدر بنا أن نتصرف ؟ . . هل نعترف للطرف الاخر بأننا نحبه حتى نوفر له الاطمئنان ؟ . . أم يجب علينا أن نناور في ذلك ؟ . . الاجابة المثلى : تعرف بشكل طبيعي ، فمن المستحيل التنبؤ بما يميل اليـه الطرف الأخـر ، البعض ينجـذب الى النـوع الـوديع ، والبعض الأخـر يفضل الشـريك النـاقـد المنطوى ، لذا فالتصرف الأسلم هو أن نلتزم الأمانة والصراحة ، نعلن اعجابنا بمن نحب ، ونطرح آمالنا في علاقة معهم . .

واذا رجعنـا الى الـدراسـات التي أجـريت عـلى أساليب الحب عند البشر ، وجدنا اختلافات في هذا المجال بين مختلف أنماط المحبين ، المحب المنـاور ، الذي تحمسه الاثارة ويستهويه الـتحدي ، يستجيب بحماس غالبا للطرف الآخر الذي يصعب الوصول اليـه ، أما الـذين ينتمون الى نمط الحب الشبقي أو الشهواني ، وكذلـك الذين ينتمـون الى أنماط الحب العمـلي أو حب التملك ، فهم عـادة يستجيبـون لاعتراف الحب المباشر من الطرف الآخر .

وبين هذين الموقفين نجد الذين ينظرون الى الحب كعطاء أو كصداقة .

مواقف أنماط المحبين

عندما يتحقق الحب وتنمو الثقة يبقى السؤال : هل أكشف أسراري الشخصية أمام الطرف الآخر ، أم أكتمها عنه ؟

المعروف أن نمو علاقة الحب يساعد عليه الادراك المتبادل ، والكشف المتبادل لمناطق النفس البشرية ،



الأمر الذي قد لايكون مقبولا بالنسبة للأشخاص الآخرين .

عندما يطرح المتالفان أفكارهما ومشاعرهما ، يحققان فهما أدق لبعضهما ، ويتيحان لحبهما أن ينمو ، ولكن هل يحسن أن يتكتم أحد الطرفين على بعض الأسرار ؟ هل يكون الكتمان أكثر فائدة في بعض الأحيان ؟ هل يؤدي البوح ببعض الأسرار الخاصة للطرف الآخر الى تخريب العلاقة ؟ . . الاجابة الدقيقة عن هذه التساؤلات تختلف باختلاف انماط وأساليب الحب التي يلتزمها ، ويندرج تحتها كل من الطرفيّن .

الذي ينتمي الى نمط الحب كصداقة ، يفيده البوح الكامل وبكل عناصر القصور والنقص ، ويكون دائما على استعداد للصفح كلما لزم الأمر .

أما الذي ينظر الى الحب كتملك،الذي تستولى على نفسه الغيرة ، فيكون حسّاسا بشدة لاحداث الماضي ، واحتمالات المستقبل التي قد تهدد حبه للطرف الاخر .

المحب العملي ، يحسن تقبل نواقص الطرف الآخر ، ويساعد في حل مشاكله اليومية ، لكنه في نفس الوقت يجري تقييما لما يتجمع لديه من معلومات عن الطرف الأخر من خلال المكاشفة ، ويبدي اهتماما خاصا بتلك الحقائق التي يمكن أن تهدد العلاقة في المستقبل .

ونواقص الطرف الآخر وأسراره الخاصة ، قد تثير المحب المناور في بعض الأحيان ، ولكنها قد تصدمه في أحيان أخرى ، وهو في جميع الأحوال ينظر الى مايصل اليه باعتباره كنزا من المعلومات القيمة الثمينة التي يحتاج اليها ، ويعتمد على تفاصيلها عندما يخطط مناوراته القادمة . وفي أحوال خاصة ، قد لايتورع عن استخدام ما بين يديه من معلومات ضد الطرف الآخر ،

امـا المحب من النوع الشبقي أو الشهواني ، فيسعى الى معرفة كل المعلومات الممكنة التي تتصل بالحياة الجنسية للطرف الآخر ، محاولا التعرف على خلفياته ، لكنه غالبا ما يتجنب اثارة الحقائق التي لا تتصف بالرومانتيكية (مثل تفاصيل مرض أصاب الطرف الأخر . .) .

تعلم الرماية

وبصفة عامة يكون هناك تناسب طردي بين مدى المشاركة الانسانية بين الطرفين ، وبين درجة الثقة المتبادلة .

عندما تتحقق الثقة فان الكشف المتبادل لنواحي النقص ومشاعر العجز تزيد من ترابط الطرفين .

والمشاركة الأمينة ، والكشف الصادق الكامل ، قد يكون أكثر صعوبة وتعقيدا في مجال الشئون الجنسية ، ومع ذلك فان الحب الناجح في هذا المجال يعتمد على التفاهم الكامل بين الطرفين ، تقول العالمة النفسية هيلين سنجر كابلان ، الاخصائية في شئون الجنس ، ان الذي يرغب أن ينشىء علاقة حب مؤثرة دون أن يقيم تفاهما متبادلا مع الطرف الآخر ، يكون أشبه بالذي يريد أن يتعلم الرماية وقد عصب عينيه ! وتؤكد ضرورة أن يسعى كل طرف من طرفي العلاقة الى معرفة مايسعد الطرف الآخر ويسره ، فمن خلال المشاركة العقلية الصادقة الأمينة ، يمكنهما أن يحققا أكبر احتمالات الحب الناجح . □



وقفة علمية مع ..

أول صرخة للطفل

بقلم : الدكتور ضياء الدين الجماس

صرخة المولود ساعة يولد هي لحظة مصيرية يترتب عليها الكثير من الامور ، وفي كل دقيقة تمر تتردد هذه الصرخة مئات الالوف من المرات في جميع اركان الأرض . . فهي اعلان عن استمرار الحياة . . أفلا تستحق منا هذه اللحظة وقفة علم وجيزة اجلالاً للماخض وما يتمحض عنه ؟.

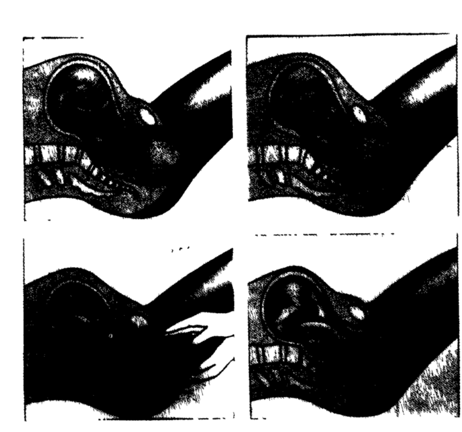
بعد اكتمال اعضاء الجنين ، ونضجها الى درجة تؤهلها للقيام بوظائفها المتكاملة خارج الرحم ، وقبل أن يصبح حجمه كبيراً لا يتناسب مع الطريق المقرر لخروجه ، يقتضي الحال اخراجه في الوقت المناسب ، فيأتي « الأمر » للرحم بالانقباض ، وللطرق الناقلة بالاسترخاء ، فتصبح الرحلة سهلة من الظلمات الى النور .

ويطلق على مجمل الأعمال الفيزيولوجية التي تؤدي الى انفتاح عنق الرحم ودفع الجنين وملحقاته للخروج من الرحم الى العالم الخارجي « المخاض » Par-turition ، وأما الولادة Laborفهي حصيلة المخاض وخروج المحصول Delivery ، ويتقبل المولود عالمه الجديد بصرخة مبهمة ، لا تترجم الا بعد سنوات . . فنجدها صرخة طبيب ، أو صرخة عالم ، او صرخة قائد يهز العروش . !

إنّ العناية بالماخض امر مهم ، وتعلمه واجب على كل فرد من افراد المجتمع المتقدم ، لما فيه من فائدة في ازالة الأوهام والمخاوف التي لها تأثير كبير في سير المخاض وزيادة مخاطره . .

إن معظم الولادات (٩٥٪) هي ذات المجيء الرأسي ، وهي التي تمثل الولادات الطبيعية التي يمكن ان تجري في المنزل في كثير من الاحيان (ما لم يكن هناك عسرة ولادية تحتاج الى نقل الام للمستشفى) ولذلك كان لابد من التدقيق في حساب التاريخ المقرر لحدوث المخاض ، لاتخاذ الاحتياطات اللازمة قبل وقوعه . ولكن لابد ان نعلم ان هذا الحساب تقريبي ، لأن المخاض يبدأ فجأة ، ولذلك تؤخذ الاحتياطات قبل عشرة ايام من التاريخ المقدر ويكون الحساب سهلا اذا عدنا لأول يوم من الطمث الاخير . بينما تقل دقة الحساب في الطرق الأخرى التي تعتمد على تقدير حجم الرحم ، او طوله الخ . . .

وسأشرح باختصار تفاصيل الحالتين السابقتين :



مراحل تقدم مجيء الجنين (الرأس) عبر المهبل الى خارج الفرج .
لاحظ امساك المولد للرأس بعد تمام خروجه .

١ ـ اذا كان تاريخ أول يوم من آخر طمث معلوما يضاف الرقم (٧) الى تاريخ اليوم ، ثم تضاف تسعة اشهر شمسية (او عشرة اشهر قمرية) فمثلا : اذا كان تاريخ اول يوم من الطمث الاخير هو ١٩٨٥/١/١ ، فإن الولادة المحتملة تقع في ١٩٨٥/١٠/٧ ، او قبل هذا التاريخ او بعده بعشرة ايام .

٢ ـ اذا كان الطمث الأخير مجهولا يمكن تقدير عمر الحمل بجس حافة الرحم بين العانة والرهابة وفق ما يلي :
اذا جُسَّ الرحم فوق العانة كان عمر الحمل تقريباً ١٢ اسبوعا .
واذا جس الرحم بين السرة والعانة كان العمر ١٦ اسبوعا .
واذا جس الرحم عند السرة كان عمرُ الحمل ٢٠ ـ ٢٢ اسبوعا .
واذا جس بين السرة والرهابة كان عمر الحمل ٣٢ ـ ٣٣ أسبوعا .

ويكاد الرحم ان يلامس الرهابة في الأسبوع السادس والثلاثين من الحمل . ثم ينخفض عن الرهابة بعد ذلك عندما يدخل الرأس في الحوض ، ويتم ذلك في الاسبوع ٣٨ عند (الحوامل للمرة الأولى) ، بينما يتأخر عند الولودات حتى قرب المخاض . والشكل (١) يبين علاقة حجم الرحم بعمر الحمل المقدر .
وعندما تقترب الايام الاخيرة لتمام الحمل ، قد تشعر الحامل ببعض العلامات والأعراض التي تنذر بقرب المخاض الحقيقي ، وهي :

● المخاض الكاذب : **false parturition (labor)**

وهو شعور الحامل بازدياد شدة التقلصات الرحمية ، وتقاربها ، ولكنها تبقى غير منتظمة وغير مؤلمة غالبا ،



ولا تؤدي الى تغيرات في عنق الرحم . وكثيرا ما تدفع هذه التقلصات الحامل الى الطبيب او القابلة .

● **التخفُّف :**

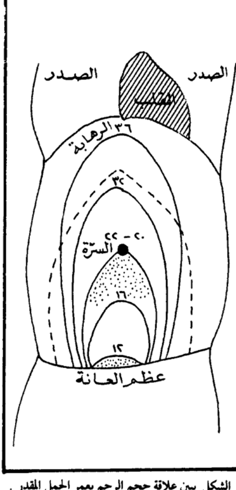
وهو شعور الحامل بهبوط مستوى قعر الرحم ، فتخف لديها الاعراض الناجمة عن ضغط الرحم على المعدة ، والحجاب الحاجز (ضيق النفس ، وثقل الطعام الخ . .).
وكثيرا ما تعبر الحامل عن هذا الشعور « بسقوط الولد » ، وفي الحقيقة يحدث ذلك نتيجة دخول المجيء في الحوض . .

● **العلامة :**

وهي ما تلاحظه الحامل قبل ١٢ ـ ٢٤ ساعة من بدء المخاض الحقيقي من مواد مخاطية مُدمّاة ، وتمثل في غالب الاحيان مخاط عنق الرحم الممزوج بالدم المرتشح من العنق اثناء امحائه واتساعه .

التصرف السليم في هذه المرحلة :

اذا شعرت الحامل بأحد هذه الأعراض او كلها ، فلتعلم أنّ موعد المخاض الحقيقي قد اقترب وأن هذه الاعراض طبيعية ، ولتكن رابطة الجأش قوية العزيمة ، ولتوكل امرها الى الله . .
وعليها ان تقوم ببعض الاجراءات التي يرشدها اليها الطبيب في زياراتها السابقة تستدعي المولد (الطبيب او القابلة) اذا كانت ترغب بالولادة المنزلية ، اما اذا كانت تلد لأول مرة فيفضل أن تنقل الى المستشفى . وعلى اية حال يحدد الطبيب المكان الافضل للولادة .
ومع المخاض الحقيقي تصبح التقلصات الرحمية منتظمة ، ومؤلمة ثم تتزايد بالتدريج ، وتؤدي الى امحاء واتساع عنق الرحم ، وتكون حصيلته خروج محتوى الرحم (الجنين وملحقاته ، والصاء او السائل السَّلَىّ) الى العالم الخارجي عبر القطعة السفلية والمسالك التناسلية . ويعتبر المخاض طبيعيا اذا كان المجيء رأسيا قميا ، واستغرق زمنا طبيعيا (٨ ـ ١٠) ساعات عند الولود ، و (١٢ ـ ١٤) ساعة عند من لم تلد من قبل .



الشكل يبين علاقة حجم الرحم بعمر الحمل المقدر . تمثل الأرقام عمر الحمل مقدراً بالاسابيع .
والخط المنقط يبين حدود وحجم الرحم بعد هبوط قعره دون الرهابة . وذلك في الاسبوع ٣٨ عند الخروج .

أسباب الألم في المخاض :

لم تعرف اسباب الألم في المخاض حتى الوقت الحاضر ، ويعتقد انها تنجم عن احد العوامل التالية او جميعها :





تدخل المولد وتخليص الكتفين وباقي الجسم . لحظات حرجة .. ثم الابتسامة .

● فقر الدم الموضعي ، ونقص الاوكسجين في الليف العضلي الرحمي بسبب التقلصات .
● الضغط على النهايات العصبية في العنق والقطعة السفلية من الرحم .
● التمطط الواقع على الطبقة المصلية الصفاقية المغطية للرحم .
● توسع عنق الرحم .

ومن صفات الألم المخاضي انه يرافق التقلصات الرحمية ، ويزداد شدة ومدة كلما تقاربت الطلقات (التقلصات) ، فيحدث كل ٢٠ دقيقة ثم يتقارب حتى يصبح كل دقيقتين اثناء المرحلة الثانية للمخاض ، ويستمر لمدة ٤٥ ـ ٧٥ ثانية .

مراحل الولادة :

تتم ولادة الجنين وملحقاته وفق ثلاث مراحل (في المدرسة الامريكية) :

١ ـ المرحلة الأولى وتستمر حتى تمام امحاء واتساع العنق ، وذلك نتيجة للتقلصات الفاعلة لجسم الرحم والتي تؤدي الى التمدد المنفعل للقطعة السفلية للرحم فتؤدي بدورها الى امحاء العنق فاتساعه . ويساعد على ذلك ايضا تقدم المجيء .

٢ ـ المرحلة الثانية وتشمل كامل الحوادث التي تؤدي الى اخراج الجنين والسائل الصائي (السَّلَى) الى خارج الرحم .

٣ ـ مرحلة ولادة المشيمة (الخلاص) .

واذكر فيما يلي وصفا مبسطاً لتتابع هذه المراحل عمليا :

تشتد الطلقات الفاعلة وتتقارب فتؤدي الى امحاء العنق وتوسعه ، حتى يبلغ تمام الاتساع (١١ سم) ثم ينثقب جيب المياه (يسمى ماء الرأس عند العامة) اما تلقائيا ، او بتدخل من المولد ، فينفرغ السائل السَّلَى (الصّاء) فينقص حجم الرحم وتزداد الطلقات شدة وتقاربا وعدداً ، وتزيد مقوية الرحم في

الدفع ، فيتقدم رأس الجنين عبر القطعة السفلية ، والمسالك التناسلية ، ويبرز تدريجيا في الفرج حتى يتخلص كاملا ، وعندئذ يقوم المولد بتنظيف المفرزات من أنفه وفمه ، ثم يمسكه بكلتا يديه كالملقط ويجره للاسفل ثم للأعلى فتتخلص الكتفان فباقي الجسم ، يُدَلّىٰ الجنين من قدميه لتنظيف الطرق الهوائية من السوائل المحتملة ، ولدفع الدم باتجاه الرأس فيطلق صرخته الأولى المُبَشِّرة بحياته ، ثم يُلْقَط الحبل السري بملقطي كوشر ، ولا ننسى ادخال كمية من الدم من الحبل الى جسم الجنين ، ثم يقطع الحبل فيما بين الملقطين فينفصل الجنين ، ويوزن بعد ربط السرة بخيط حريري على بعد ١,٥سم من اتصاله ببطن الوليد . وبعد راحة وجيزة (٥ ـ ٢٠ دقيقة) تشتد الطلقات من جديد لخروج المشيمة وتنزل المشيمة وفق احد نموذجين :

١ ـ نموذج شولتز وهو ان تخرج المشيمة بوجهها الجنيني ، من الفرج ، ويحدث ذلك في ٧١٪من الحالات .

٢ ـ نموذج دونكان وهو خروج المشيمة من حافتها ، وذلك في حالات الارتكاز المعيب ، على القطعة السفلية مثلا ، ويحدث هذا في ٢٩٪ من الحالات .

واذا لم تخرج المشيمة بعد ضغط الام ، يمكن جرها بلطف مع دفع خفيف على قعر الرحم بعد التأكد من انفصالها عنه . ولا مجال للتفصيل اكثر من ذلك لأنه يتعلق بالاخصائية ، ويجب التأكد من اكتمال خروج اجزاء المشيمة ، ثم وزنها ايضا .

انذار المخاض :

إنّ أفضل سن للولادات بين سن ٢٠ ـ ٣٥ سنة . والولود اسرع ولادة من اختها التي لم تلد من قبل ، ويعتبر المجيء القمي الايسر الامامي هو ايسر الولادات .

تتعرض الزوجة التي تلد لاول مرة اذا كانت دون السادسة عشرة للولادات الآلية ، والقيصريات . واذا كانت مسنة (اكبر من ٣٥ سنة) فتضاف للاختلاطات السابقة احتمالات التعرض لفرط التوتر الشرياني ، والبدانة ، والورم الليفي ، والمجيئات المعيبة ، والمنغولية ، وطول المخاض بسبب عدم تناسق العمل الرحمي ، وللقسط المفصلي العجزي العصعصي .

اما كثيرات الولادة فيتعرضن للنزف بسبب كثرة مصادفة الارتكاز المعيب ، والانفكاك الباكر للمشيمة ، ويتعرضن للعطالة الرحمية وتمزقاتها ، ونزوف المرحلة الثالثة من المخاض .

الفترة الفاصلة بين الولادات :

تعتبر مدة الرضاع (سنتان) افضل فاصل بين الحمل فهي كافية لاستعادة قوة ونشاط الجسم وتحمله لحمل جديد ، فاذا تكرر الحمل قبل ذلك التاريخ انهكت الحامل ، واذا طالت عن ذلك اصبح انذار الحمل الجديد يعادل انذار الحمل عند من لم تلد قبل ذلك ، وفي كتاب الله عز وجل نجد الآيتين الكريمتين :

● « والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة » ، البقرة ٢٣٢ .

● « وحمله وفصاله ثلاثون شهرا . . » الاحقاف ١٥ .

فنجد ان الأولى تتماشى مع المبدأ الطبي في الرضاع الكامل ، واباحت الثانية مدة اقل فاذا كان الحمل تسعة اشهر ، كان الرضاع واحدا وعشرين شهرا ، والمهم ان اقل مدة ممكنة للحمل المثالي هي ثلاثون شهرا بما فيها مدة الحمل السابق . □

■ ان أقبح رجل في عين المرأة أجمل من جميلات جنسها .
(عباس محمود العقاد)

مساحة وُدّ

أبناء هذا الزمان

لم يعد هذا الجيل مثل أجيال سبقته ، ولم يكن التغيير الحاد في أخلاقه وهواياته واهتماماته فقط ، بل امتد الى عقله وطريقة تفكيره ، كنت في زيارة لأسرة صديقة ، ويبدو أنى ذهبت في وقت غير مناسب ، فالأعصاب كانت مشدودة ، والكلمات حادة ، والتوتر يخيم على البيت كله .

كان حوارا ثلاثيا بين الأبوين وابنهما الطالب بالجامعة الذي فاجأهما بأنه لايستسيغ دراسته الجامعية ولايفهمها ، وانه يريد أن يسافر للخارج ليدرس ما يحب . وبدأ النقاش يدور حول هذا القرار الذي ألقى به بتصميم نهائي ، وعرضت مغريات وامتيازات وتنازلات ، وكثير من الطلبات التي كانت مؤجلة ، أعلن أبواه موافقتهم على تنفيذها الفورى ، ورغم هذا أصر الابن على أن نوعية الدراسة لا تروقه ، ولا يستطيع استساغتها ، ودخلت طرفا في النقاش ، وبدأت أسمع أفكاره وأنظر من خلاله الى جيل بأكمله كيف يفكر . . وينظر للأمور . قال لى ان التعليم لم يعد مجديا ، وعائد التعليم لايصنع حياة ولا يحقق رفاهية ، وكم من أناس متعلمين في دائرة حياته لم يصنع التعليم لهم شيئا ، ولم يرتفع بمستوى حياتهم إلى الحد الذي يعيش فيه صاحب أقل حرفة ومهنة . . ولذا فان كل أحلامه أن يسافر للخارج يدرس لمدة عامين في مجال هندسة الصوتيات ، أو الأجهزة الدقيقة ، ويعودليفتتح مشروعا صغيرا يقوم فيه بالتسجيل الغنائي للشرائط الغنائية و . . و . . وأحلام كثيرة كبيرة ليس للتعليم فيها أي نصيب . . وكل مايريده من الخارج أن يضع بطاقة يقول فيها انه تعلم في بلد كذا . . ولم ينته النقاش الى نتيجة ، ولكن عقلى أخذ يتساءل عن جيل بأكمله يفكر بهذه الطريقة ، لم تعد القيم الاجتماعية التي كانت هي العمود الفقرى للمجتمعات كما هي . . سقطت قيمة العلم والمعرفة ، وتعاظمت قيمة المال . . لم يعد العمل والجهد الانساني هو ملح الحياة . . صارت الرفاهية هي حلمها النهائي وغايتها ، صحيح ليس مرضا ولا عيبا أن يتجه البعض الى العمل المهني ولكن الكارثة أن يتصور البعض أن هذا الاتجاه بديل عن العلم ، الاّ يعترف بقيمة العلم والمعرفة . . وليس سهلا أن نضع أصابعنا على سبب الأزمة . . فالتغيير الذي أصاب مجتمعاتنا . . استهدف نخاع العظم . . فتبدلت قيم بدونها لاتحيا المجتمعات ولا تستمر الأمم . . ولكن المتبقي أن هناك جيلا قيمه وأحلامه وأفكاره غير جيلنا . . وهذا الجيل هو كل المستقبل . . فهل نجلس لكي نسمع طويلا له ، ونفكر كيف سيكون شكل الغد ؟!

محمود عبدالوهاب



هو.... في انتظار الموت

احساس جارف بقرب نهاية رحلتي في هذه الدنيا ، صحيح أنني أعرف وأومن أن الأعمار بيد الله سبحانه وتعالى ، ولكن كل الشواهد والمقدمات والخبرات تقول لي بانه لم يبق لي في هذه الدنيا كثير ، منذ عامين وأنا أعاني من صداع حاد بالرأس ، يأتي على شكل نوبات في أسفل الرأس وأعلى العنق ، ولم أترك طبيبا الا وعرضت نفسي عليه ، وأجريت عديدا من التحاليل ، وجربت كل أنواع العلاج حبوبا وحقنا وعلاجا طبيعيا وجلسات علاج بالكهرباء .. وافترض الأطباء كل الأمراض ووصفوا لي كل أنواع العلاج .. من الصداع النصفي الى التهاب الأعصاب الى تآكل فقرات العنق .. الى فحص قاع العين إلى ما يخطر على البال من مسببات .

ولأن زميلة لي وصديقة عمر قد فارقت الدنيا .. بأعراض كهذه .. بعد أن حار الأطباء ورحلات العلاج وعشرات الوصفات ، واذا كان الأحمق هو من لايتعظ بغيره . فقد وعيت تجربة صديقتي الراحلة واتعظت بها ، وبدأت أصفي أوراقي وحساباتي ، وأمنح غفراني وحناني لكل من حولي . . . وأوصيت شقيقتي على ابنتي الوحيدة ، ورجوت زوجي الا يدخل بيتي امرأة أخرى قبل عام .. وتمنيت عليه أن يحسن معاملة ابنتنا وأن يذكرني بها ، ويذكر أياما طيبة كثيرة كانت لنا .. وذكريات جميلة رائعة كانت هي العمر .. قلت لأخوتي وأهلي لا أريد دموعكم ولا صراخكم .. أريد منكم حسن رعاية لوحيدتي التي أتركها أمانة للدنيا والناس ، ولا أريد منكم زهورا ولا حداداً، فقط أريد أن تذكروني ولو على البعد بكلمة طيبة ، وقضيت أمسيات كثيرة مع زوجي أفكر معه وأحكي وأقول له أفكاري حول مشاريع مستقبلنا المعلقة التي لم تتم بعد ، وأطلب منه أن يعتاد على التخطيط للحياة وحده ، وعندما يكتمل بناء بيتنا الجديد .. سيذهب اليه وحده .. ويؤثثه وحده . . . ورجوته كثيرا الا يجعل حزنه على سببا في تأخير عمله .. أو معوقا له في العمل .. وقلت له انني أذكر له حسن عشرتي وجميل صحبتي وبره بي وبأهلي ، وانني غفرت له من زمن هفوات صغيرة ، وبعض غضباته ، وسألته أن يسامحني ان كنت قد اسأت له ، وأقسمت له أنني وفيت له بعهده .. وعندما سألني يوما لماذا كل هذا ؟ قلت انني أصفى أوراقي مع الناس في الدنيا في انتظار رحمة ربي ، ومازال الألم يعصف بي .



هي

هي .... الحبُّ وَالوهم

يصاحبني الأسى ، يصبح الحزن غيمة مبللة بالدمع تسكن العيون ، يد ثقيلة قاسية تقبض على القلب وتعتصره . من حكمة الله ـ سبحانه ـ ورحمته اننا لانعرف موعد رحيلنا عن هذه الدنيا ، لأن أقسى مايواجهه انسان ان يظل متوقعا ملاك الموت يأخذ روح أعز الناس لديه بين لحظة واخرى .

يصبح مرور الأيام كئيبا وثقيلا ، أخطو صباح مساء ، وأنا لا أدري هل أعود الى البيت فأجدها كل مساء عند عودتي . . أقف طويلا أمام البيت أصيخ السمع ، اتصنت خشية أن يحدث ما أخشى وأخاف .

اعتذرت عن أعمالي وارتباطاتي في المساء . . صرت أعود من عملي ظهرا ، فأجلس معها لا أغادر البيت حتى صباح اليوم التالي ، لولا بقية جَلد لانهمر دمعي وهي توصيني ذات مساء وتمنحني سماحها وغفرانها . . وتسألني أن أسامحها ان كانت قد أساءت . . وتختصر العمر في كلمة ولحظة . . وترجوني الا أدخل بيتها امرأة أخرى قبل عام . . ويصبح الحزن شلالا هادرا يفيض من العين والقلب .

جمعت كل صور الأشعة ، ونتائج التحليلات والفحوصات ووصفات الدواء ، وذهبت ـ بناء على مشورة صديق ـ لأول طبيب عالجها منذ عامين ورفض أن يصف لها دواء . . أمام الطبيب وأثناء الحديث معه تفجرت الحقيقة كاملة أمامي . . قال لي الرجل انها سليمة ليس بها أي عارض عضوي ، ولا تشكو من أي شيء ، وعندما حكيت له عن انتظارها للموت ، وان صديقتها قد ماتت بنفس الأعراض . . قال الطبيب هذا هو مرضها . . صديقتها التي ماتت ، والأعراض التي اشتكت منها صديقتها تشكو هي منها وتنتظر من ثم نفس النتائج . . انه نوع من وساوس الوهم . . ينتاب البعض لفرط حبهم للذين رحلوا . . وتحت وطأة الوهم والحب والخوف تتوالد أحاسيس وأوهام الموت . . عدت يومها مسرعا للبيت لم أتسمع أصواتا ، ولم أخش شيئا ، نقلت لها كل ما قاله الطبيب . . وأنا أرقص حولها ايقظت ابنتنا من النوم . . حاولت أن أنقل فرحتي لها . . ولكنها نظرت الي طويلا وهمست لي شاكرة ، فقد تصورت أنني أخفف عنها وطأة الانتظار .



هو

الأمواج حتى يصل الى شاطىء الأمان . . وقرر أن يبتعد هو وأسرته لينسى ، لعله يجد فى البعد سلوى !

* * *

كانت هذه هى الصورة التى ابتعدوا عنها . . أما اليوم فقد تغيرت ملامحها . . انه لن يجد فيها شيئا يمت الى الماضى بصلة . . كانت من قبل ربيعا دائما . . أما الآن فقد اقتربت من الخريف . والرحلة الى خريف العمر مخيفة تمتلىء فيها السماء بالغيوم ، وتعصف خلالها باوراق الشجر فتتساقط امام الأعين جافة ، وهى التى كانت تمتلىء يوما بالحياة . . لقد غربت شمس الربيع الى غير عودة . . .

ترى كيف ستكون الحياة فى هذا البيت الكبير الصغير الذى امضى فيه مع اسرته اجمل سنى شبابه ، كيف سيعيشان في هذه الوحدة، بعيدا عن أعز الناس الى قلبيهما . لقد وقفا في عناد منذ اكثر من ثلاثين عاما ، يبنيان هذا العش الصغير معاً قطعة بعد قطعة . . إن كل ركن فيه يحمل لهما اجمل الذكريات كل شىء يحدثهما عن الايام الحلوة التى امضياها مع اطفالهما الصغار . .

لقد قضى مع زوجته الايام والشهور والسنين يبنيان ويبنيان حتى استطاعا أن يثبتا اقدامهما على الأرض ، وانتهت المرحلة الاولى من البناء بعد كفاح ومجهود كبيرين ثم بدأ الزوج يشق طريقه فى الحياة بنجاح ، ويصعد الى الادوار العليا درجة من بعد درجه وأن يوفر لعشه الصغير كل مقومات البيت السعيد . . ولم ينس دورها أبدا . . تلك الفتاة الصغيرة التى أحبها وبقيت صورتها عالقة فى ذهنه لسنوات طويلة ، قبل أن يلتقى بها مرة أخرى فيسارع إلى الزواج منها قبل ان تختفى . . لقد وقفت دائما بجانبه تدفعه وتشجعه وتشاركه كل آلامه وأفراحه وهو يصعد سلم الحياة . . كانت دائما قريبة منه وهو يبحث عن مخرج للأزمات المالية التى تصطدم بهاحياة كل زوجين شابين بعد وصول الضيوف الصغار . .

ما أسرع ماتمر الأيام . . عشرون عاما أو اكثر انقضت منذ أن اغلق الزوجان باب بيتهما وراءهما حاملين اطفالهما وآمالهما إلى البلد العربى الشقيق الذى تعاقد على العمل فيه . . وها هما يعودان اليه الآن . . يعودان وحدهما . . كل شىء فى البيت كما تركاه ، وربما أصبح اكثر بريقا بعد عملية التجديد التى سبقت عودتهما اليه ، حتى تزول آثار السنين التى صنعت به ما صنعت خلال تلك الغيبة الطويلة .

ولكنه بريق بلا حياة ، فقد غاب عن البيت ذلك الصوت الذى أحباه وعاشا له ومعه . . صوت الاطفال فى لهوهم ، ولعبهم وحتى فى بكائهم . . وصوت الحياة التى اعتادا عليها وألفاها بين أرجاء البيت الذى كان كل شىء فيه يعيد اليهما ذكريات الشباب الذى ولى ولن يعود . .

لم يكن غريبا أن يحدث لهما ما حدث وهما يستعدان لبدء حياتهما الجديدة مع خريف العمر . . يالها من رحلة قصيرة بدت كما لو كانت فصولها الاولى والاخيرة تعيش معها ، ولا تريد أن تفارقها لحظة واحدة . .

لقد كانت كل أمنيتهما فى الحياة أن يكونا قريبين من أبنائهما حتى بعد ان يكبروا ويستقلوا بحياتهم . . ولكن هكذا شاء القدر ، أن يفترقا عنهم .

* * *

وتبدأ رحلتهما مع الحياة الجديدة . . الايام تمر عليهما فى رتابة تحمل معها شعورا ثقيلا بالملل . . كل الايام تشابهت . . لم يعد هناك شىء يفرق بين يوم ويوم . . لم تعد عطلة نهاية الاسبوع تعنى شيئا خاصا بالنسبة اليهما ، فكل ايام الاسبوع عطلة . . صحيح انه يحاول أن يعمل فى البيت . . أن يملأ بعض وقت الفراغ الطويل بالقراءة أوالكتابة ، ولكنه عمل غير منتظم عمل يخضع لمزاج صاحبه ولو أنه فى النهاية أفضل من لا عمل على الاطلاق .

ربما كان الشىء الوحيد الذى يعيد الحياة الى هذا البيت الذى يسكنه الهدوء والوحدة والملل هو ذلك الصوت الحنون الجميل الذى يتحرقان شوقا اليه

يحمله الهاتف من حين لآخر . . صوت الابناء الذين تركوهم وراءهم ، يعيشون حياتهم ويبحثون عن مستقبلهم . . هم أيضا بدأوا يشعرون بالوحدة بعد رحيل الأبوين . وتسمع الأم صوت ابنتها من البعد فلا تجد غير الصلاة تنفس بها عن صدرها الذى يختزن أجمل المشاعر التى تحملها كل أم لابنائها . . ولكنها لا تلبث أن تتمالك نفسها وتحس بالارتياح . . انهم بخير . . وهذا هو كل ما تتمناه وتدعو ربها من أجله !

وتمر بضعة ايام ، تعود الأم بعدها الى قلقها ، والى شوقها لسماع صوت ابنائها وتسرع الى الهاتف تناديهم مع ساعات الفجر الأولى قبل طلوع الشمس . ويدور الحديث فى لهفة ، ولكنه لا يلبث ان ينتهى وتقضى الأم يوما سعيداً اخر . . ولكنها سعادة مؤقتة لا تلبث أن تخبو تدريجيا فى انتظار غد جديد !

* * *

وتمضى بها الحياة ثقيلة متباطئة . . الى أن يجىء اليوم الذى تقف فيه الأم وسط غرفتها وقد انتوت أمرا . . ولكن ما هو انها لم تعد تحتمل الحياة بعيدا عن أبنائها وأحفادها الصغار . . انها لا تستطيع أن تمضى ما تبقى لها من عمر تنتظر . . تنتظر رنين جرس الهاتف لتسمع صوتهم وتنتظر ساعى البريد وهو يحمل لها الرسائل التى تمتلىء باخبار صغارها فى وحدتهم تنتظر الموعد الذى حددوه لزيارتهم لها أو زيارتها لهم ثم يعودوا أوتعود ، وتبدأ تعد الايام للقاء جديد . . لا . . انها لا تستطيع أن تمضى فى هذه الحياة طويلا . . انها تحس بأن قطعة منها تنتزع مع كل يوم يمر وتغرب فيه الشمس ، وكأنها تراها فى غروبها لاخر مرة . .

وذات صباح صحا الزوج من نومه . . ولم يجدها . . لقد تركت زوجته وشريكة عمره البيت وذهبت . . حملت حقيبة ملابسها . . واسرعت الى المطار تستقل الطائرة التى ستحملها الى هؤلاء الذين احبتهم واعطتهم عمرها كله . .

وعلى مائدة صغيرة فى غرفة نومها قرأ الرسالة التى كتبتها بدموعها : « انت تعرف مشاعرى نحوك . . فأنت زوجى ووالد أبنائى . . أنت أبى وأمى وكل دنياى ، ولكنى لم اعد احتمل فراقهم . . اننى ذاهبة اليهم لاعيش قريبة منهم . . ارجوك الا تغضب منى . . أنا أعلم أنك فى حاجة إلى رعاية بعد ان بلغت هذه السن . . ثق اننى سأكون معك بقلبى ، ليتك تفكر باللحاق بهذا القلب الذى خفق دائما بحبك والى لقاء . . »

وطوى الرسالة ووضعها فى جيبه ، ثم اسرع إلى المطار يستقل أول طائرة تحمله الى البلد الذى يعيش فيه هؤلاء الذين أحبهم وأعطاهم كل عمره ! □



حكى الأحمر النحوى عن نفسه قال :

بعث الى الخليفة هارون الرشيد لتأديب ولده محمد الأمين ، فلما دخلت التفت الى وقال : يا أحمر ، ان أمير المؤمنين دفع اليك مهجة نفسه وثمرة قلبه ، فصير يدك عليه مبسوطة ، وطاعتك عليه واجبه ، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين ، أقرئه القرآن وعرفه الآثار ، وروه الأشعار و علمه السنن ، وبصره مواقع الكلام وبدأه ، وامنعه من الضحك الا في أوقاته ، ولا تمرن بك ساعة الا وأنت مغتنم فيها فائدة تفيده اياها من غير أن تحزن ، فتميت ذهنه ، ولا تمعن في مسامحته ، فيستحل الفراغ ويألفه ، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فان أباهما فعليك بالشدة والغلظة وبالله توفيقك .





كيف نتصرف مع لسع العقرب ؟

يتصدر العقرب طائفة المفصليات التى تضم الحشرات والبق والعناكب فى عداوته للانسان ، وخطره عليه ، ويعتبر أكثرها ارهابا ، وأوسعها انتشارا ، وأفدحها ضررا .

والعقارب أنواع شتى قد تصل الى ٦٥٠ نوعاً ، وتتراوح ما بين ١٥ مليمترا و ٢٠٠ ملمتر طولا ، بعضها مألوف جدا فى بلادنا العربية ، ذات الطبيعة الصحراوية على وجه التحديد ، حيث يألفها الناس ، تسعى ليلا وتختبىء نهارا تحت الحجارة ، أو فى الجحور ، أو ربما تحت قطع الخشب المهجورة ، وربما وجدت لها مخبئا فى دورات المياه والخزائن وداخل الأحذية ، أو بين الصحف المهملة لو وجدت لها سبيلا داخل البيت .

من السهل على الجميع تمييز العقرب بذيلها الطويل ذي العضلات ، أو بابرة متصلة بكيس أو حوصلة خازنة للسم .

ان هناك نوعين من سموم العقارب ، أولهما سم ذو تأثير موضعى محدد الضرر ، وثانيهما سم ذو تأثير عام قاتل يتركز أثره على جهاز الأعصاب .

ان التمييز بين هذا وذاك يكون بردة فعل المصاب تجاه لسعة العقرب .

فالنوع الأول الخفيف الضرر يستجيب له المصاب برد فعل فورى ، يتمثل فى الألم الشديد مكان الوخز ، مع ألم واحمرار ، وربما صاحبتها أعراض حساسية عامة .

أما السم الضار القاتل فرد الفعل له على عكس مايتوهم البعض ، ويتوقعون ، أن لا يستجيب المصاب للسع العقرب بأى رد فعل موضعى ، وانماهى ردود فعل عامة ، نتيجة انتشار السم فى الأعصاب ، فلا ألم ولا ورم ولا احمرار فى موضع الوخز ، ولكن المصاب يشعر بالوخز والتنميل فى كافة أنحاء الجسم مع شعور بالدوار .

يعقب هذا أكلان فى الفم والأنف والحلق ، ينتهى الى عجز وشلل فى عضلات اللسان ، يصعب معها الكلام والبلع معا ، هذا بالاضافة الى شعور بالغثيان والقىء ، ورغوة فى الفم ، مع تسيب فى البول ، وتشنجات عامة فى عضلات الجسم ، ثم يبدأ تورم فى انحاء البدن ينتهى بالوفاة خلال يومين على الأكثر .

ويرى المختصون أن مرور ثلاث ساعات على المصاب دون أعراض شديدة يعتبر ظاهرة تمثل أملا كبيرا فى النجاة .

علاج واسعاف لسعة العقرب

اذا استجاب الجسم للسع العقرب بردود فعل موضعية على نحو ما وضحنا ، فهذه بارقة أمل توحى بضرر محدد يمكن التغلب عليه ، بوضع كمادات الماء البارد أوالثلج ، مع المراهم والعقاقير المضادة للحساسية والالتهاب ، وأشهرها الكورتيزون ومضادات الهستامين ، ولكن اختفاء رد الفعل الموضعى يثير القلق ، ويدعو الى حسن التصرف وسرعة نقل المصاب الى المستشفى .

وعليه يجب اتباع الخطوات التالية بأقصى سرعة :

١ ـ توضع كمادات الماء البارد أو أكياس الثلج فوق موضع الاصابة ، لتقليل سريان انتشار السم .

٢ ـ يربط الطرف المصاب برباط ضاغط يوقف الدورة الدموية عن السريان .

٣ ـ يوضع الطرف المصاب فى اناء ماء بارد ، ثم يفك الرباط الضاغط بعد خمس دقائق تحت الماء ، وتجدر الاشارة هنا الى أن الكمادات الباردة يجب أن تكون مستمرة لا متقطعة .

٤ ـ حذار من تعاطى عقار المورفين وأشباهه من المخدرات للتغلب على الألم ، والأفضل استعمال المنومات للتغلب على التشنج .

٥ ـ يعطى المصاب فى المستشفى (حيث لا يتوفر العقار فى صندوق الاسعاف الا نادرا) عقار الانتيفينين المضاد للعقرب فى العضل مع حقن الكالسيوم فى الوريد ، ان نسبة الشفاء تعتمد الى حد كبير على حسن التصرف ، وفورية الاسعاف الأولى ، وسرعة نقل المصاب الى المستشفى . □

طبيب الأسرة

انقطاع الطمث

١

● أنا فتاة فى الثانية والعشرين من عمرى ، ومع هذا فلم تبدأ دورة الطمث شأن الفتيات الأخريات ، فهل هذا مما يؤدى الى العقم ويحتاج الى علاج .

م . خ . ف ـ دمشق

ـ الطمث هو علامة نشاط الغدد الصم الجنسية عند الأنثى ، ويعبر عن النضوج الجنسى وكفاءة الانجاب ، اذ يقوم أحد المبيضين باطلاق بويضة كل شهر ، يرافقها افراز هرمونى يتولى أمر اعداد بطانة الرحم لاستقبال البويضة الملقحة ، لاحتضانها وتغذيتها ، فاذا لم يتم تلقيح البويضة فإن بطانة الرحم تنطرح تلقائيا ، وهذا ما يعرف بالطمث ، أو الدورة الشهرية ، وان انقطاع هذا الطمث لسبب أو لآخر يتخذ له احدى صورتين هما :

أولا : انقطاع أولى أو مبدئى ، بمعنى أن الطمث لا يظهر اطلاقا بالرغم من بلوغ الفتاة سن النضوج الجنسى أو المراهقة ، وهذا يعنى خللا فى الافراز الهرمونى للغدد ، أو النضوج الجنسى البطىء الذى ينتقل بالفتاة من مرحلة الطفولة الى مرحلة البلوغ ، والكفاءة الانثوية ، وهو أمر يتم فيها بين سن الثانية عشرة وسن الثامنة عشرة على وجه العموم ، مع تفاوت شخصى بين فتاة وأخرى ، لأسباب عدة لامكان لحصرها ، فاذا ما تجاوز الحال هذا المنطق الطبيعى ، فالأمر يصبح بحاجة عاجلة لاستشارة طبيب مختص فى أمراض النساء وربما مختص فى الغدد الصم على وجه السرعة دون ابطاء أو تأخير ، لتقصى أسباب هذا التخلف وعلاجه بما يلزم ، على ضوء التشخيص السريرى والمختبرى والشعاعى .

ثانيا : انقطاع ثانوى ، بمعنى توقف الطمث عقب ظهوره ، وهذا قد يكون طبيعيا كما هو الحال مع الحمل ، وقد يكون مرضيا لخلل هرمونى مثلا ، وهنا يتوجب مراجعة الطبيب المختص .

ومن الطبيعى أن يوضع فى الاعتبار عدد من العوامل التى يتصدرها العامل النفسى من فرح أو اكتئاب ، كما يوضع فى الاعتبار انقطاع الطمث النهائى الذى يعرف باسم سن اليأس الذى يعنى نهاية مرحلة النشاط الجنسى الهرمونى ، وختام فترة القدرة على الانجاب عند المرأة ، وهو ما لا يمكن تحديده بعمر معين ، اذ تقفر المبايض من محتواها من البويضات ، كما يشح افرازها الهرمونى ، ومن المألوف أن يفاجىء سن اليأس فيما بين سن الأربعين والخمسين ، أو ربما زاد قليلا ، وقد يداهم انقطاع الطمث صاحبته فجأة ، أو ربما تسلل تدريجيا ، اذ يقل النزف كما ومدة ، أو يضطرب انتظامه . . وهكذا .

هل يضر شرب الشاي ؟

● سمعت من أحدهم أن الافراط فى شرب الشاى يضر بالذكاء ، ويعطل القدرات العقلية ، ولما كنت أهوى شرب الشاى بافراط ، فقد راعنى أن أسمع مثل هذا الخبر ، ورأيت أن أسألكم النصيحة الخالصة ، فعسى أن تزودون بالحقيقة العلمية .

م . م . ص
اللاذقية ـ سوريا

الشاى مشروب عالمى معروف منذ أقدم العصور ، وربما عادوا بأصله الى أهل الصين ، اذ يروون عن اكتشافه ومنشأ استعماله قصصا عديدة ، حيث تضيع الحقيقة فى طيات الأساطير .

والتحليل العلمى لتركيب الشاى يؤكد أن أهم عناصره هما حامض التنيك ومادة الشايين التى هى أشبه ما تكون بالكافيين التى فى القهوة ، وهما من المنبهات والمنشطات ، ولكن حامض التنيك مادة قابضة ، يؤدى الافراط فيها الى قبض الأمعاء أو الامساك ، لهذا فقد يوصف الشاى فى أحوال الاسهال بأنه معين على الداء ، ولكن ليس بديلا للعلاج ، وقد يستعمل الشاى أيضا غسولا للجروح على انه يعين على التئامها ، لما يحويه من مادة حامض التنيك ، فلا غرابة اذن أن يشكو بعضهم من امساك وصعوبة فى اخراج الفضلات عند الاسراف فى شرب الشاى .

كما يشكو بعض الناس من الأرق ، بل ربما الصداع بسبب الاسراف فى شرب الشاى ، وان كان البعض الآخر ينكر هذا الزعم ، لأن للشايين أو الكافيين تأثيرا منبها على خلايا المخ ، بينما لا يعانى الآخرون من هذا الأثر ، غير أن الطب لا يعرف تأثيرا للشاى خلاف هذا أو ذاك ، ولم يرد أى رأى علمى ثابت يشير الى تأثير الشاى على الذكاء والقدرات العقلية ، بل ربما نشط خلايا العقل .

ردود سريعة

● السيد حامد السبع ـ دير الزور ـ سوريا :
ـ نأسف اذ لا نعرف عقارا لاطالة القامة ، ولماذا لا تستشير مختصا في الغدد الصم . . ؟

● الاخت المحجبة ـ فاس ـ المغرب :
ـ لا علاقة اطلاقا تربط الحجاب بظهور الشعر على الوجه ، وانما هو خلل هرموني ، ويحسن بك مراجعة طبيب الأمراض الجلدية للتشخيص والعلاج .

● الأخت الحائرة ـ القاهرة ـ مصر :
ـ ألا ترين أن مراسلة انسان مجهول الاسم أمر مستحيل . . ؟!
أما استفسارك عن الأدوية الشعبية ، فخبرتنا بها محدودة ، كما أن الطب الحديث لا يتعامل بها ، وكل ما نعرفه أن شرب الحليب يزيد من ادرار اللبن ليس الا . . ☐

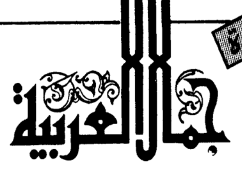
العهد

شعر: عبدالله السيد شرف*

كان أبي . . . .
إذْ كُنت صبياً
يحشـوني بالأوراد
وينذرني لله
ويسـألني
إذْ كنتَ صبياً
في متن الألفيـةِ
وابن شجـاعٍ
وَيُفَسِّرُ
إذْ كُنتُ صبياً
معنى الأعـراف
ينهرني إذْ يَنْكَسِرُ المفعول
وأسـأله
ما الـمَـنُّ . . . .
وما السـلوى . . ؟!
وتموج الصـور
حليباً
عسلاً
نخـلاً
عنبـاً
كان يناديني إذْ أشرد
اخلع نعليك !
كانت أمـي
اذ كنت فتيا
ترقوني من عين الناس
ومن شر الوسواسِ

وكانت إذْ ترفو ذيل الجلبابِ
تشاغلني بجنان الارض
المفتوحة للشـرفاء
وأسـعلُ
فتدثرني بالصحف المبتلّة بالخلّ
وتسمعني قصص الصبر
وتأمرني بالصـدق
العفـو
الطهر
وحين أثور
تَمُدُّ الكَفَّ
وتفقأ عين عرائسها الورقية
كان التوت الصيفي بعينيها يأسرني
والكوثر يشغلني
وأصافيه
من أي جهات العصر أُطلُّ عليك
ياوجه الأمس
ياقلبا أطره الأهل
من أين
الآن . . .
أعفيك من الوقفة تَرْقُبُني
يا أبتي
في ذيل الدرب
واسمح لي
أن أعفي كفي
من قيد العهد

* شاعر شاب من القطر المصري



بقلم : محمد خليفة التونسي

لام التقوية

كان السيد مغاولي موسى (العبادلة / الجزائر) قد سألنا أربعة أسئلة ، أحدها عن فصاحة كلمة « التقييم » بمعنى معرفة القيمة ، وقد أجبناه بأنها فصيحة (العدد ٣٣١) وبقيت ثلاثة أسئلة ، وهذا أحدها ، ومعه جوابه .

لام التقوية : ما سر تسميتها كذلك وكيف نعرفها ؟

اللام في لغتنا نوعان : عاملة ، وغير عاملة ، فالعاملة ما كان لها أثر في الاعراب جرّا ، أو نصبا ، أو جزما ، فمن الجارة لام الملك ، مثل : « لله ما في السموات وما في الارض » ، ومن الناصبة لام العاقبة ، مثل « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا » ، ومن الجازمة لام الأمر ، مثل « لينفق ذو سعة من سعته » . وغير العاملة مثل لام التوكيد ، مثل « وللآخرة خير لك من الأولى »

وتأتي اللام لعدة معان ، أو هي تؤدي عدة معان سواء كانت عاملة أو غير عاملة كما في الأمثلة السابقة ، ويفهم الفرق بين كل معنى وغيره من السياق .

ومن اللامات لام التقوية ، وعملها الجر لما بعدها من اسم أو صفة ، وقد سميت كذلك لأنها - كما يقول النحاة - تقوي عاملا إعرابيا ضعيفا ، وذلك أن الفعل المتعدي عندهم هو العامل في نصب المفعول (به) بعده ، واظهر ما تكون قوته اذا تقدم عليه ، مثل : « يرعى الحُرّ عهده ، ويحفظ جواره » ، فإذا تأخر الفعل فقد تلحقه اللام لتقوي عمله ، مثل الحر لعهده يرعى ، ولجواره يحفظ » .

ويرى النحاة أن الفعل المتعدي هو الأصل في التعدية ونصب المفعول ، وأن ما ينوب عنه كمصدره فرع له في عمله ، فإذا كان العامل فرعا في عمل الفعل لحقته لام التقوية ، كما إذا كان مصدرا أصليا أو ميميا ، وكما اذا كان صفة [1] دالة على فاعل سواء تقدمت على المفعول أو تأخرت عنه ، مثال المصدر الأصلي متقدما على المفعول قولنا : « من شيم الحر رعايته للعهد ، وحفظه للجوار » ومثاله متأخرا عن المفعول قولنا : « للعهد الرعاية واجبة ، وللجوار الحفظ واجب » . [2]

ومثال المصدر الميمي متقدما على المفعول قولنا : « محبتك لذوي رحمك واجبة » ، ومثاله متأخرا عن المفعول قولنا : « لذى رحمنا المحبة واجبة » ، ومثال الصفة الدالة على الفاعل متقدمة على المفعول قولنا : « هو راع لعهده ، حافظ لجواره » ومثالها متأخرة عن المفعول قولنا : « الحر لجواره راع ولجاره حافظ » ، وقوله تعالى : « الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » .

ومثال الصفة الدالة على المبالغة متقدمة على المفعول قولنا : « هم سماعون للكذب ، أكالون للسحت » ، ومثالها متأخرة عن المفعول قولنا ، هم للكذب سماعون : وللسحت أكّالون » .

وإذا كان الفعل ينصب مفعولين ليس أصلهما مبتدأ وخبرا أمكن أن تدخل لام التقوية على ما يناسب المعنى منهما وهو الأول غالبا ، كقولنا : « أعطيت للطالب كتابا » ، وكقول شاعرتنا ليلى الأخيلية : (نحو ٨٥ هـ) من قصيدة تمدح بها الحجاج الثقفي :

أحجاج ، لا تعط العصاة مناهم
ولا الله يعطي للعصاة مناها

وأصل الجملتين قبل دخول لام التقوية « أعطيت الطالب كتابا » ثم « ولا الله يعطي العصاة مناها » ، وهذا هو الاستعمال الشائع في لهجتنا الدارجة ، ومثله كثير في اللغات الأخرى في الأفعال التي يتعلق بها مفعولان .

وينبغي في ملاحظة هذين المفعولين مع هذه الأفعال أن المفعول الأول (الطالب) هو الآخذ ، والمفعول الثاني (كتاب) مأخوذ ، فلابد من ملاحظة قرينة الاسناد لنعرف أي المفعولين هو الأول وأيهما هو الثاني سواء تقدم عليه أو تأخر عنه في الكلام ، كما اذا قلنا : « وهبت صديقي الكتاب » أو « وهبت الكتاب صديقي »فإن « صديقي » هو الأول لأنه الآخذ والكتاب هو المأخوذ كما تدل علاقة الاسناد بينهما ، ولام التقوية هنا تدخل على الأول فيقال : « وهبت لصديقي الكتاب » أو « وهبت الكتاب لصديقي » . وهي تدخل على المناسب للمعنى من المفعولين .

ويمكن أن نعد « لام تقوية » ما يسميه النحاة « اللام المقحمة » وهي التي تقحم أو تدخل بين المتضايفين : المضاف والمضاف اليه أو شبههما ، لأنها تقوي اختصاص ما قبلها (المضاف) بما بعدها (المضاف اليه) كقول عنترة لصاحبته :

فاقني حياءك - لا أبا لك - واعلمي
أني امرؤ سأموت إن لم أقتل

وقد تحذف هذه اللام كما في قول أبي حية النميري لصاحبته :

أبالموت الذي لا بد أنّي
ملاقٍ - لا أباك - تخوفيني
دَعِي ما قد علمت ، سأتقيه
ولكن بالمغيب خبريني

ومثال اللام الداخلة بين شبه المتضايفين قول علي بن الجهم

وارحمتا للغريب بالبلد النا
زح ، ماذا بنفسه صنعا
فارق أحبابه فما انتفعوا
بالعيش من بعده ولا انتفعا

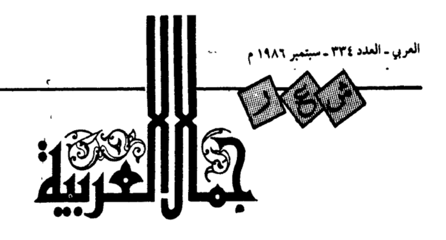
وكقوله تعالى « ويل للمطففين » وقوله « **فسحقا لأصحاب السعير** »

ويمكن حذف هذه اللام غالبا دون ضعف التركيب أو اختلال المعنى ، كما في الأثر « حُبُّكَ الشيء يعمي ويصِمّ » .

وبدلا من أن نقول كما قال النحاة : ان الفعل هو العامل الأصلي في نصب المفعول به ، وإن كلا من المصدر والصفة عامل فرعي نقول : إن المصدر كالفعل ينصب المفعول به بدلالته على الحدث ، والوصف ينصب المفعول به لدلالته على موصوف بالحدث ، فإن كان لا يدل على موصوف بالحدث لم ينصب مفعولا به كقولنا : « القاضي عادل » ، وهذا ما يسميه النحاة « الصفة الغالبة » أي التي تستعمل اسما ، فإذا شئنا أن نجعلها صفة محضة من فعل متعدٍ تجري على فعلها وتعمل عمله أمكن أن تنصب مفعولا به كقولنا : « أخوك قاضٍ حاجتك » و « أخوك قاضِي حاجتك » ويمكن أن تدخل اللام فنقول « أخوك قاضٍ لحاجتك » □

(١) يسميها النحاة « اسم الفاعل » مع أنها لا تدل على مسمي ، والصواب أنها صفة للفاعل لأنها تدل على موصوف بالحدث ، ومن هنا تشارك الفعل لدلالته على الحدث (مع دلالته على الزمن) .

(٢) اللام للتعدية في اللغة السريانية (شقيقة العربية)



لقاء ذئب
بين الفرزدق والبحتري

الفرزدق والبحتري شاعران ، كلاهما لقي ذئباً جائعاً في صحراء فكان له معه موقف يختلف عن موقف الآخر ، وكلاهما وصف موقفه معه مفصلاً .

والفرزدق أحد مشاهير الشعراء الأمويين نشأ بين البصرة والبادية المجاورة لها ، ومضى يعالج الشعر ويرويه ، حتى نبغ فيه ، وقد اتصل بملوك الأمويين في الشام وبولاتهم في العراق يمدحهم ويأخذ جوائزهم ، وهو كثير الفخر فاحش الغزل ، جرى بينه وبين معاصره جرير هجاء كثير ، وتوفي عن سن عالية سنة ١١٤ هـ - وله ديوان مطبوع .

لقي ذئباً جائعاً في صحراء الكوفة في أواخر ليلة فعطف عليه فقاسمه زاده .

والبحتري (٢٠٦ - ٢٨٤هـ) طائي ولد ونشأ في منبج بالشام وتنقل بين عشائر قبيلته طيّء وغيرها من البدو على شواطيء الفرات ، فاكتسب منهم الفصاحة ، وقد وجهه في الشعر شاعر طائي آخر هو أبو تمام ، وشعره رقيق الأسلوب بديع الخيال ، وقد اتصل بكثير من الأمراء والقواد العباسيين ، وكان مقرباً الى المتوكل العباسي ووزيره ابن خاقان ، وكان في مجلسهما حين قتلا فأسرع بالاختفاء والهروب ، وله ديوان مطبوع .

وقد لقي ذئباً أصابه الجوع بالهزال والتقوس - وكان هو جائعاً - فلم يجد بُداً من قتله خوفاً على نفسه ثم شواه وأكل منه ما يسد جوعته .

« قصة الفرزدق »

وأطْلَسَ عسَّالٍ ، وما كان صاحباً ،	دعوت بناري موهنا فأتاني[1]
فلما دنا قلت : «ادْنُ ، دونك ، انني	وإياكَ في زاد لَمشتركانِ»
فبتّ أسوّي الزادَ بيني وبينه	على ضوء نارٍ مرةً ، ودخان . . .

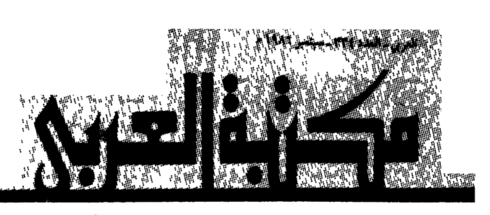
وقلتُ لـه لما تكشَّـرَ ضـاحكـاً ... وقـائم سيـفي في يـدي بمكـان
«تعشْ ، فـإن عـاهـدتني لاتخونُني ... نكنْ مثـلَ منْ - يا ذئبُ - يصـطحبان
وأنتَ امـرؤٌ - يا ذئبُ - والغـدرُ كنتما ... أخيَّـين كـانـا أرضعـا بِلَبـان[٢]
ولـو غيـرنـا نُبِّهتَ تلتمس القِـرَى ... رمـاكَ بسهـم أو شَبـاةِ سنـانِ[٣]
وكـلُّ رفيقَىْ كـلِّ رحـلٍ - وإنْ هُما ... تعـاطى القنا قـومـاهمـا - أخـوانِ[٤]

« قصة البحتري »

وأطْلسَ مـلءَ العـين يحمِـلُ زورهُ ... وأضـلاعُه من جـانبيه شـوى نهدُ[٥]
لـه ذَنَـبٌ مثـلِ الـرِّشـاءِ يجـرُّهُ ... ومتْنٌ كمتنِ القـوسِ أعوجُ مُنـآدُ[٦]
طـواه الطَّوَى ، حتى استَمـر مريـرُه ... فما فيـه إلا العـظمُ والـروحُ والجلْدُ
يقَضْقِضُ عُصْـلاً في أسـرَّتِهـا الـردى ... كقَضْقَضـةِ المقـرورِ أرعـده البـردُ[٧]
سما لى ، وبى من شدَّةِ الجـوع ما بِـه ... ببيـداء لم تُعـرف بهـا عِيشـةٌ رَغْـدُ
كـلانـا بهـا ذئبٌ ، يحدث نفسَـهُ ... بصـاحِبِـه ، والجَـدُّ يُتعسـهُ الجَـدُّ[٨]
عوَى ، ثم أقْعَى ، فارتجزت ، فهِجْتُه ... فـأقبـلَ مثـلَ البرقِ يتبعـه الـرعْـدُ
فـأوْجَـرْتُـه خـرْقـاءَ تحسب ريشَهـا ... على كوكب ينقضُ ، والليلُ مسودُّ[٩]
فـما ازدادَ إلا جـرأةً وصـرامَـةً ... وأيقنتُ أن الأمـرَ منـهُ هـو الجـدُّ
فـأتبعتُهـا أخـرى فـأضلَلْتُ نصلَهـا ... بحيثُ يكونُ اللبُّ والرُّعْبُ والحِقدُ[١٠]
فخـرَّ ، وقـد أوردتُـه مَنهَـلَ الـرَّدى ... عـلى ظمـأٍ ، لـو أنـه عـذُبَ الـوِرْدُ
وقمتُ ، فجمّعت الحصى ، فاشتويته ... عليـه ، وللرمضاءِ من تحتِـه وَقْدُ[١١]
ونلتُ خسيسـاً منه ، ثم تـركتُـه ... وأقلعتُ عنـه ، وهْـو مُنعفِـرٌ فـردُ

---

(١) أطلس : أغبر : عسل في سيره : اضطرب .
(٢) الغدر من طبيعة الذئب ، فهما كالأخوين اللذين رضعا من صدر واحد .
(٣) القرى : الطعام . شباة : طرف .
(٤) كل رفيقين في طريق يتآخيان ، ولو كان بين قوميهما قتال .
(٥) الشوى : الأطراف (لفظه مفرد ، ومعناه جمع) . نهد : بارز . أي اضلاعه لجوعه بارزة .
(٦) الرشاء : الحبل . المتن : الظهر . منآد : معوج .
(٧) يقضقض عصلاً : يصوت بأنياب معوجة . أسرتها : أوساطها . الردى : الموت . المقرور : المصاب بالبرد .
(٨) كلانا يطمع في قتل الآخر . الجد : الحظ .
(٩) أوجرته خزقاء : طعنته بسنان .
(١٠) أدخلت سنانها في قلبه .
(١١) الرمضاء : الأرض الحامية .



في أسفل السلم

تأليف : غونتر فالراف

عرض وتلخيص : محمد حسان عبد الكريم

لم يسبق في تاريخ المانيا الاتحادية لكتاب ، بلوغ هذا العدد من النسخ المبيعة في مثل هذه الفترة الزمنية القصيرة : (٧ ، ١ مليون) نسخة بعد أربعة شهور من طبعه ، رغم أن موضوع هذا الكتاب ليس بجديد ، بل سبق ان عالجته المئات من الكتب والدراسات الخاصة ، ونعني بذلك (حياة الأجانب في المانيا الاتحادية) ، ولكن الجديد هنا ، هو كيفية خروج هدا الكتاب الى النور ، والطريق الذي سلكه الكاتب للتوصل الى جمع محتوياته

في المقدمة يدكر الكاتب ، كيف انه كان طوال عشر سواتيدفع عن نفسه فكرة الاصطلاع بالدور الـدي تلبسه أحيرا ، ليتمحص عنه هـدا الكتاب ، لمعرفته بما ينتظره «كنت بسطة حائما ، كت قد كونت فكـرة عن حياة الأجانب في المانيا الاتحادية من حلال أحاديث الأصدقاء وعن طـريق الصحف ، كت أعلم بأن نصف الأجانب الأحداث يعانون من أمراض نفسية ، لأنهم لن يـطيقـوا المضايقات التي يتعرضون لها ، اضافة الى أن فرص العمل تكاد تكون معدومة ، ورجوعهم الى الـوطن أصبح متعذرا بعد أن نشوا وترعرعوا هنا ، إنهم عديمو الوطن ، يعانون صرامة قوانين الأجانب ، وتصاعد حملة الكراهية ، وزيادة العزلة ، كنت أعرف ذلـك كله ، ومع ذلك لم أكن قد عشته قط



الهبوط الى الاسفل

في مارس ١٩٨٣ نشرت الاعلان التالي في عدة جرائد :

(أجنبي ، قوي البنية ، يبحث عن عمل ، أعمال ثقيلة وقذرة ، مقابل أجرة منخفضة أيضا ، الاتصال . . .)

« خطوة واحدة فقط تكفي للانتماء الى الأقلية المسودة والهبوط الى أسفل السلم ، عدسات لاصقة غامقة اللون ، وشعر أسود مستعار ، جعلتني أتحول الى (علي) وأظهر أصغر من سني الحقيقية بكثير ٢٦ - ٣٠ بدلا من ٤٣ عاما ، وبذلك استطعت الالتحاق بأعمال ما كنت سأحصل عليها في عمري الحقيقي ، وبكثير من التعثر والغرابة حاولت تلفظ الألمانية كما يستخدمها الأجانب ، وكان من السهل على أي امرىء سبق له الاصغاء الى أحد الأتراك أو اليونانيين ، اكتشاف أن أمري غير طبيعي ، ولكن لدهشتي لم يواجهني أحد بالشك

هذه التغييرات البسيطة كانت كافية لكي تجعل الآخرين يفصحون عن آرائهم أمامي دون تحرج ، بلاهتي المصطنعة جعلتني أكثر ذكاء ، وأتاحت لي الفرصة للتعرف على ضيق أفق هذا المجتمع وبرودته وهو الذي يعتبر نفسه حاذقا ورفيعا ، متكاملا وعادلا ، كنت كالأحمق الذي تقال له الحقيقة بلا تنميق . بلا ريب ، انا لم أكن تركياً حقا ، ولكن على المرء أن يتنكر قليلا لكي يزيل القناع عن المجتمع ، وأن يتحايل كي يتعرف على الحقيقة .

ما زلت الى اليوم مستغربا ، كيف يتحمل الأجانب هذا الاضطهاد والكراهية اليومية ، ولكني أعلم الآن الى أي مدى يمكن بلوغ احتقار البشر هنا ، فالتجارب التي خضتها تجاوزت كل تصوراتي السابقة ، فالعنصرية توجد هنا في وسط ديمقراطيتنا ، وما واجهته في المجتمع الألماني لا يوجد مثيله الا في بطون كتب تاريخ القرن التاسع عشر

رغم ذلك ، ومع كل القذارة والمشاق ، في العمل المذل ، ومواجهتي لأشكال الاحتقار البشري ، فقد كسبت أصدقاء ولمست تضامنا حقيقيا . »

وهكذا بدأ (علي) جولته في الحياة والعمل في ربوع ألمانيا الاتحادية ، تلك التجربة التي استغرقت أكثر من سنتين

في البداية حصل (علي) على اعمال قصيرة الأمد ، تصليح اسطبل خيول في ضواحي احدى المدن الكبيرة ، كان عليه تسلق سلالم شاهقة ، محافظا على توازنه لصبغ سقف الاسطبل ، العمال الاخرون ، ومعظمهم مهاجرون بولنديون كانوا يتجاهلونه ، اما صاحبة العمل فقد كانت لا تجد لعلي سوى كلمات الحث على العمل التي يتعاطاها الألمان في علاقاتهم مع (عمالهم الأجانب) ، وكان يتناول طعامه بمعزل عن الاخرين ، وينام في غرفة تشاركه فيها « معزة » وعندما تعطل جهاز الانذار في الأسطبل فجأة ، أتهم علي بالقيام بذلك فطرد من العمل .

مكان العمل التالي كان مزرعة تدار من قبل عجوز وابنتها سبق لهما التعامل مع « خادم تركي » . مقابل العمل وعد بالأكل والنوم مجانا ، وتسلم مصروف جيب ، عدا ذلك خير علي بين النوم في عربة عاطلة أمام المزرعة ، أو غرفة اسطبل فارغة كريهة الرائحة ، لكن (علي) فضل حلا ثالثا . غرفة في ورشة بناء مهجورة ، علما بأنه توجد عدة غرف نظيفة ودافئة في المزرعة لم تكن تستعمل من قبل أحد ، وأخفى

(علي) عن الجيران ، وحُرم عليه ارتياد سوق القرية أو البار .

على هذا المنوال حاول (علي) طوال سنة كاملة كسب قوت العيش ، متنقلا من عمل الى آخر .

« لو كنت حقا عليا فقط لما استطعت البقاء على قيد الحياة ، مع أنني كنت على استعداد لتقبل أي عمل مهما كان » .

بعد ذلك جرب حظه كعازف ارغن متجول في مقاطعة بافاريا : « كنت يوميا أدير جهاز الأرغن لعدة ساعات في الشارع دون أن أحصل على مليم واحد ، والغريب أنني بعد أن تعودت على دوري كأجنبي ، كانت تنتابني الدهشة في كل مرة ، لا أقابل فيها بالرفض والجفاء ، الأطفال وحدهم كانوا شديدي الفضول والتودد نحو عازف الأرغن الذي تتصدر جهازه لوحة عليها العبارة التالية : « تركي عاطل عن العمل ، مقيم في ألمانية منذ ١١ عاما ، يريد البقاء هنا » . كان الأطفال يتجمعون حولي حتى ينهرهم آباؤهم عن ذلك » .

مع القسس . . والأموات

يجرب (علي) حظه في الكنيسة الكاثوليكية ، فقد سمع بأن السيد المسيح كان قد طرد من دياره أيضا ، وعاش مع المنبوذين والغرباء ، وتحمل من ذلك الويلات والألم ، لذلك لم يقصد (علي) الكنيسة كمتسول ، كل ما يريده هو التعميد ، اي اعتناق المسيحية ، لايمانه بذلك أولا ، ولأنه يريد الزواج من صديقته الألمانية الكاثوليكية المذهب ثانيا ، ولتجنب طرده من ألمانيا ثالثا ، جميع القسس الذين طرق (علي) بابهم ، طردوه لحجج مختلفة : « اذهب الى مكتب الخدمات الاجتماعية » . « الكنيسة ليست ملجأ للغرباء » . « عليك أولا اعتناق المسيحية بالقلب ، وذلك يستغرق سنوات عديدة » .

واخيرا وبعد أن غمره اليأس من قسس المدن الكبرى ذوي الكروش المترهلة والغنى الفاحش ، متذكراً النص الانجيلي القائل : « ان دخول جمل من ثقب ابرة لهو أسهل من دخول غني الى الجنة » ، ووجد بأن ذلك ينطبق حرفيا على هؤلاء القسس ، تحامل (علي) على نفسه وقصد احدى القرى النائية .

فتح شاب بثياب مدنية وقميص مفتوح الكنيسة ، كانت المرة الأولى التي يشاهد فيها (علي) قساً كاثوليكياً بزي غير رسمي ، بدأ يسرد قصته ، وقبل أن يأتي الى نهايتها قاطعة القس قائلا :

ـ انا أفهمك جيدا ، والآن تريد اعتناق المسيحية .

ـ نعم .

ـ بالتأكيد يسعك ذلك ، في الأيام القادمة نقوم بالخطوات اللازمة ، وتتسلم وثيقة الاعتناق ، تستطيع كذلك الرجوع الي في أية قضية أخرى .

تفهم القس الموقف ، وتصرف كرجل دين مؤمن بلا تزييف وادعاء كاذب بالتمسك بتقاليد الدين ، اكتشف (علي) لاحقا بأن هذا القس كان قد نزح من بولندا قبل سنوات ، ومن يدري ، لعله يتحسس لذلك شعور الغرباء ، أو لأنه لم يعش في كنف كنيسة متسلطة ومكتنزة .

وبعد أن أصاب اليأس (علياً) من الأحياء وجفائهم ، بعد الرفض والنبذ الذي حوبه به من الكنيسة ـ قرر أن يجرب حظه هذه المرة مع الأموات مباشرة . دخل (علي) الى احدى مؤسسات الدفن ، مدفوعا على مقعد للعجزة من قبل أحد أصدقائه الأتراك ، استقبلت صاحبة المدفن (علياً) بترحاب ودعته للدخول . شرح (علي) قصته : فنتيجة عمله في مصنع لتصنيع الاسبست ، أصيب بمرض السرطان ، فاتحه الطبيب بأنه سيموت بعد شهرين ، لذا فهو قادم لترتيب أمور الجنازة ونقلها الى تركيا ، تدخل صاحبة المدفن مباشرة الى صلب الموضوع ، دون أن تكلف نفسها حتى عناء السؤال عن مشاعره أو فيما اذا لم تعد هناك بارقة أمل لعلاجه :

ـ النقل الجوي يعتمد على وزنك وجهة الرحلة ، يعتمد السعر كذلك على الضمان الصحي الذي

لـديك ، وفيـما اذا كنت مسجلاً هنـاك كعـامـل أو متقاعد .

وبعد أن بينت له قائمة الاسعار كان على (علي) احتيار التابوت حيث كانت صـاحبة المدفن تعرض عليـه بحماس التـوابيت المحتلفـة : « هـذا مبـطن بحـريـر ، وهـدا مصنـوع من حشب بلوط المـاني أصيل . . . الح » ، محاولة بدلك اقناعه بشراء احد الاصنـاف الراقيـة ، وأخيرا تم الاحتيـار ، ويسأل (عـلي) عن امكانيـة تخفيض السعـر الـدي تجـاور العشرين الف مارك جملة وتفصيلا .

البائعة ـ؛ « نستطيع خصم ٥٪ من السعر ادا تم الدفع نقدا وفورا .

وهنا بادرها علي بسؤال غير متوقع .

ـ ومادا ادا لم امت ، هل أحصل على المبلغ ثانية .

البائعة : لا ، ليست هناك حقوق ارحاع ثم ترفع نصرها اليه وكأنها تريد مواساته :

ـ ظننت أن الطبيب واثق بأنك بعد شهرين . . .

وهـا لم تستطع اكمـال الجملة ، شعـرت فحـأة بالاحراج وأخذت تتلعثم .

الختم على الرأس

يحاول (علي) العمـل في مصنع لليـوريد قـرب هامبورغ ، أصدقاء اتراك كانوا قد حدثوه عن ظروف العمل الشاقة والخطرة على الصحة بشكل لا يصدق في هذا المصنع الذي يستخدم غالبا عمالاً أتراكـا ، المشكلة : ان المصنع توقف عن تعيين عمال جدد ، وبدلا من ذلك يستأجر عمـالاً من شركـة أحرى ، حيث تحصل الاخيرة على ٣٥ ـ ٨٠ ماركاً مقابل كل ساعة عمل للشخص الواحد ، العامل نفسه يتسلم مبلغاً بخساً يتراوح بين ٣ ـ ١٥ مـاركا ، وتتسـرب البقية الى جيوب أصحاب الشركة ، يقصد (علي) الشركة الثانية المتخصصة في ازالة الفضلات الصناعية على اختلاف أنواعها : شحوم وزيوت وغازات سامة وغبار دقيق وخشن ، تؤجر هذه الشركة بحدا ذلـك ٦٠٠ عاملة تنظيف الى مختلف المصانع الكبـرى في ألمانيا .

أثناء النقل الى مـوقع العمـل احتشد ١١ عـاملاً اجنبياً على أرض « باص » الشركة الملطخ بالزيت ، أما المقعدان الوحيدان في الباص فقد كانا مشغولين من قبل عاملين المانيين ، عنـد بوابـة موقـع العمل وزعت بطاقات تثبيت الوقت . لم يحس (علي) دفع البطاقة في الاتجاه الصحيح فعلق أحد البوابين قائلا :

« عندكم في افريقيا يختمون عـلى رؤ وسكم » .

تدحل عندها أحد الزملاء الاتراك لمساعدة (علي) في ختم البطاقة . ولاحظ (علي) بأن تعليق البواب مس الأجانب جميعا ، ولكنهم كانوا مضطرين الى تغافل الاهـانـات كـما هـو عليـه في الكثير من الحـالات اللاحقة ، ولخـوفهم أيضا من فقـدان العمل عنـد حصول مشاحرة ، فالاجنبي هـو الذي يفقـد عمله عادة في هذه الأحوال .

بدأ العمل : « تحت درجة عشرة تحت الصفر كان علينا ازالة أكوام من الطين والصخور ، يجعلك البرد القارس تعمل بسرعة قاتلة ، بعد بضع ساعات أمرنا بالتوجه الى موقع عمل جديد ، وبعد هبوط العديد من السلالم تحت الأرض تشعر فجأة وكأنك ستختنق من كثرة الغبار ، لتكتشف بعد قليل بأن ذلك لم يكن سوى البداية ، علينا ازالة طبقات التراب المتراكمة على المكائن التي يبلغ ارتفاعها سمك أصابع اليد ، لن تستنشق الغبـار فحسب ، بل تبتلعـه ابتلاعـا ، والألم يعتريك مع كل سحبة هواء ، تحاول إمساك الهواء ولكنك لن تستطع بسبب الحركـة المستمرة . يحثنا مراقب العمـل الواقف في الخلف : « أسـرعوا عندها تنجزون العمل بعد ساعتين أو ثلاث وتعودون الى الهواء الطلق » . ان ذلك يعني ضخ رئتيك بغبار فحم الكوك طوال ثلاث ساعـات ، لانحصل عـلى أقنعة لأن العمل معها يتم أبطأ ومراقب العمل يدعي بأنه ليست هناك نقود لذلك .

هلمـوت ، العـامـل الألمـاني الـذي لم يتجـاوز الثلاثين ، ولكنه يبدو وقد قارب الخمسين ، يتذكر

كتاب الشهر

وهو يحدثنا

« مات قبل عام ستة زملاء ، أثناء تدفق الغاز فجأة من الأنابيب فمن رعب الموت تسلقوا الى الأعلى بدل هبوطهم السلالم ، والغاز تسلل معهم الى الأعلى أيضا ، نجا أحد الزملاء من الموت فقط ، لأنه كان ثملا في الليلة السابقة ، ولم يستيقظ للذهاب الى العمل »

معهد التجارب البشرية

« أوقفوا التجارب على الحيوانات ، استخدموا الأتراك »

جملة مكتوبة في مرافق أحد المعامل

فقد الزميل التركي عثمان منزله لأن آدلر صاحب الشركة ظل يماطل في دفع أجره ، أجد عثمان ينام عند المعارف والأصدقاء ، حيث يقضي هنا ليلة وهناك ليلتين ، وينام أحيانا على مقاعد الحدائق في العراء ، وهو مهدد بالطرد من ألمانيا لعدم حيازته على ورقة سكن ، ولتقديمه طلبا للحصول على الخدمة الاجتماعية ، وهو لا يريد العودة الى تركيا انه يحس بألفة أكثر في غربه ألمانيا الباردة ، مما عليه في ديار الاباء ، حيث قضى السنوات الأولى من عمره فقط ، كان يعاني من سعال حيث سبب عمله في معمل الكوك ، قال عثمان ذات مرة أثناء خروجنا الى الهواء الطلق في استراحة قصيرة بعد عملنا معا في احد العنابر المليئة بالغبار واستنشاقنا القذارة بالأرطال

« أفكر أحيانا بانهاء ذلك كله بقفزة واحدة الى وسط لهيب الفرن العالي ، فحيح واحد ، ثم لا تشعر بعدها بشيء » حدثني عثمان مرة عن حال له في مدينة أولم يستطيع السكن عنده والحصول على عمل كذلك ، ثم استطرد بشيء من الغموض « عمل ليس أفضل من هنا ، ولكن المرء على الأقل يحصل على نقوده هناك ، هنا عليك ابتلاع الغبار وتحمل العمل الشاق ، هناك عليك فقط الابتلاع واعطاء دمك » سألته اذا كان من الممكن أن أحل محله في هذا العمل ووعدته مقابل ذلك باعطائه نصف المبلغ الذي سأحصل عليه هناك

استجاب عثمان لطلبي ولاءمتني الفكرة كذلك بسبب اكتافي المزرقة والذبحة الصدرية التي أعاني منها نتيجة لعملي في مصنع الكوك

كان هناك بعض المنتظرين في بهو معهد الفحوص البشرية ، أغلبهم من الأجانب والشباب العاطلين عن العمل قدمت الورقة التي حصلت عليها من عثمان الى الموظف ، وتساءلت فيما اذا كان بوسعي أن أحصل على تجربة اقل خطورة ، اذ سبق لعثمان أن حذرني من مغبة التجربة التي سأتعرض لها ، قال الموظف وهو يحاول اتخاذ هيئة تدعو الى الطمأنينة

« لا داعي للخوف ، الجميع خرجوا أحياء من هنا حتى اليوم »

في بادىء الأمر ، تأتي الفحوصات الأولية ، الطبيب الذي يقوم بذلك يطري الاتراك أثناء فحصه لي « انهم يتحملون الكثير ، ولا يتذمرون من كل صغيرة ، بعد ذلك كان عليّ توقيع عقد التعهد ، يخص الفحص اربعة مستحضرات طبية لعنصرين مختلفين ، وهذه التحضيرات المروجة لها عالميا معمول على جسم المريض

تستغرق التجارب ١١ اسبوعا بما في ذلك أربع اقامات اجبارية لمدة ٢٤ ساعة كل مرة العوارض الجانبية واردة في ورقة الشروحات كالاتي خمول ، تقلب المزاج وعصبية ، تغير التركيب الدموي ، تغير قرص الوجه ، حساسية وتغير في البشرة عدا ذلك يعاني قرابة ٢٠ / من المختبرين بتقيح في لثة الأسنان

في صباح اليوم التالي كان علينا الاصطفاف عند باب المختبر ، تناولت قرصين ، أحسست فجأة بانقباض في حدقتي عيني حاولت تحويل نصري الى الممر ، ولكن أشعة الشمس بهرتني ، وشعرت بألم شديد في العين ، في الساعات التالية كنت أجر نفسي الى المختبر كالهائم في سبات ، حيث كانوا يسحبون الدم كل ساعة ، كان الشحوب والاضطراب يغلب

على الجميع بعضهم كانوا يفقدون الوعي فينقلون من الأسِرّة الى المختبر .

كانت احدى النساء تعاني من تهيج داخلي ، من نوبات غيبوبة واضطراب في الدورة الدموية ، وتصلب وبرودة في الذراع . في اليوم التالي لازمتي جميع العوارض بشدة : شرود وآلام في الرأس ، ضعف الادرك ، ونوبات غيبوبة ، ونزيف شديد في لثة الأسنان ، وفي هذا اليوم سحب دمي سبع مرات ، أحوال الآخرين لم تكن افضل ، وكان الجميع يعاني من صراع شديد ، واتضح لي بأن السكوت الذي كان سائدا يعود الى خوف المختبرين من عدم استخدامهم في تجارب قادمة في حالة تذمرهم .

قررت بعد أربع وعشرين ساعة ايقاف التجارب . كان علي-حسب العقد ان اخضع لثلاث اقامات جبرية اخرى . وتزداد العوارض حدة بشكل مطرد حسب اقوال الآخرين ، وعلى المرء ، علاوة على ذلك ، الحضور في الساعة السابعة من صباح كل يوم لسحب الدم كما أن عليه جمع بوله في اكياس نايلون وتسليمه طوال فترة التجربة ومن يقطع التجربة قبل اتمامها لا يتسلم اي قرش .

كان هذا المعهد هو واحدا من المعاهد الخاصة بالتجارب البشرية ويبلغ عدد زبائنه ٢٨٠٠ . ولا تقام التجارب لأسباب طبية كما هو الادعاء ، بل ان هدفها الاوحد هو البحث عن استراتيجية بيع افضل لهذه الأدوية . ولا توجد اية جهات ترعى شؤون الأشخاص المعرضين لهذه التجارب وتخدم نتائج الفحوص الشركات وليس المرضى .

عند مراجعتي لطبيب الأسنان بعد ايام من ذلك لأصابتي بورم في اللثة ، فحصني الطبيب متسائلا : « هل تناولت حبوباً ضد مرض الصرع » .

بقيت مهمة واحدة اراد (علي) الأخذ بها على عاتقه ، العمل في اقدم مفاعل للذرة في المانيا الاتحادية ، والذي بدأ العمل فيه عام ١٩٧١ ، وهو بحاجة شديدة الى التصليح . ولغرض القيام بالفحص السنوي للمفاعلات الذرية يفضل غالبا استخدام العمال الأجانب . لا توجد في المانيا معلومات دقيقة حول نتائج التلوث الذري للعاملين في هذا القطاع ، كما ان فرق العمل الاجنبية التي توظف في مجالات التصليح او التنظيف لا تدرج في الاحصاءات . وغالبا ما يكون الأجنبي قد غادر الى مدينة اخرى او الى وطنه عند اصابته بسرطان في المجاري البولية او الغدة الدرقية ، وذلك بعد سنوات طويلة من عمله في احد المفاعلات الذرية .

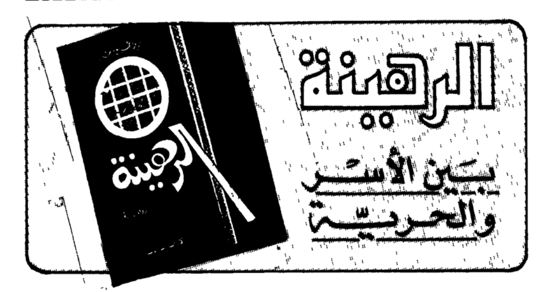
لذلك تفضل ادارات المفاعلات استخدام الاجانب لفترة قصيرة ، وذلك لانجاز المهمات الخطيرة ، اذ تستأجرهم عن طريق الشركات التي تتداول بالأيدي العاملة .

موتى بلا شهود

يتم تلوث هؤلاء العمال غالبا ، خلال ايام معدودة ، بل ساعات او دقائق ، بالحد الأقصى من الجرعة الذرية المسموحة للعاملين في هذا المجال خلال سنة كاملة ثم يستبدلون ببساطة بعمال آخرين .

لا يدرك العمال الأجانب غالبا المخاطر التي تحدق بهم عند عملهم في المفاعلات الذرية واسباب انتهاء العمل المفاجىء ، او بعد فترة قصيرة من ابتدائه احيانا . ومن المؤكد اليوم بأن اي تلوث اشعاعي مهما قل حجمه يؤدي اما الى الاصابة بالسرطان او الى مرض وراثي يصيب الأجيال القادمة ، وأخبث ما في عوارض المرض تبدأ بعد فترة طويلة قد تبلغ العشرين او الثلاثين عاما . ومن يا ترى يثبت عندها بأن العامل التركي الذي يذهب ضحية السرطان ، كان قد سبق له العمل في المجال الخطر لأحد المفاعلات الذرية التي تستخدم مئات الالوف من العمال سنويا ، في المانيا نصفهم على الأقل من الأجانب الذي يغادرون الى بلدانهم قبل ظهور نتائج التلوث عليهم ويموتون على دفعات ، بلا شهود او أدلة . □





تأليف : زيد مطيع دماج
عرض وتحليل : الدكتور أمين العيوطي

مع « رهينة » زيد مطيع دمّاج أنت لست مع رهينة اختطفتها عصابة من اجل فدية ، ولا أنت مع رهينة في حادث اختطاف طائرة في عالمنا المعاصر ، الذي لم يعد يعرف الأمان وسط كل أشكال الارهاب ، انت مع رهينة من نوع فريد لم يخطر لك على بال ، رهينة ترسف في أغلال القرون الوسطى في ليل الامامة البائد في اليمن ، والفجر يوشك أن يلوح ، والرهينة تدق باب الحرية ركلا بقدمين يدميهما قيد ثقيل ، ودقا بقبضتي يدين مغلولتين من أجل الوثوب بقفزة واحدة الى اعتاب القرن العشرين . .

يسعد المرء حين يضع يده على عمل فني من قطر عربي عزيز ، يتحدى كل محاولات التمزيق والعزل وعدم التواصل ، ويسعد المرء أكثر حين يجد في هذا العمل صدى لآلامه وأحلامه وآماله ، ورواية « الرهينة » التي بين أيدينا الآن تأتينا من اليمن السعيد .

والرهينة هنا ليست سوى صبي هربت به أمه وسط مزارع الذرة والقصب في قرية جبلية ، خوفا عليه من حرس الامام الخاص ، وفرسان ولي العهد سيف الاسلام ، قبل أن يحدقوا بهما وينتزعوه من أحضانها الملتاعة ، وهو ليس الا رهينة من رهائن عديدة ، يساق الى سجن القلعة ، قبل أن يرسل الى قصر من

قصور الامام أو أحد الأمراء أو أحد نواب الامام ، وهو ما يزال بعد صبيا لم يبلغ الحلم ، ليقوم بعمل « الطواشي » في قصره ، يدلك له ساقيه أو يجهز المقيل له ولزمرته ، أو ليقوم بخدمة حريم القصر من زوجات وأخوات وبنات وخادمات ، بما في ذلك الممارسة لكل أشكال الجنس الشاذة ، تحت مسمى « دويدار » إما ضمانا لولاء أبيه ، أو كسرا لشوكته ان كان أحد المناضلين ضد نظام الامام .

في غياهب السجون

الى الفئة الأخيرة لا ينتمي فقط والد الصبي الذي « يلهب الدنيا بلسانه الطويل على الامام في الجرائد في عدن » ، بل الاعمام وأفراد الأسرة الآخرون من مشايخ ورؤساء ألقي بهم في غياهب السجون ، بحيث لم يعد في ديار القبيلة الا النساء والرضع ، وأمهات يذرفن الدمع على الصبية الرهائن ، الرواية بلا شك تجربة فريدة في نوعها ، غريبة كل الغرابة على القارىء العربي ، ومن ثم فإن جدتها التي تفتح للخيال والعقل آفاقا جديدة ، لم نحلم بها في تجربتنا العربية ، مع كل أشكال القمع والكبت والقهر التي تناولتها الأقلام العربية في كل الأقطار .

وليس بأقل غرابة من هذه التجربة غرابة البيئة الاجتماعية التاريخية التي يجري فيها الحدث الذاتي الخاص بالصبي الرهينة ، فقصر نائب الامام ليس الا صورة أخرى من قصور الامام والأمراء ، هو قلعة أخرى يحيط سورها العالي بملحقاتها من قصور الآباء والأجداد وقصور الحريم بعنابر الجند النظاميين على يمين البوابة الرئيسة ، وعنابر « الجند البراني » وجنود الاحتياط خارج البوابة على يسارها ، تطل على ميدان فسيح ، يغدو فيه الجند ويروحون حفاة الأقدام ببنادقهم « الموزر والصابة والبشلى الطويلة » الموشاة بالحلي الفضية والعملات المعدنية الأجنبية ، وحافظة رصاص البنادق تلتف من الكتف الى الخصر ، وتدور حول الصدر والظهر .

واذا كان السور العالي يعزل القصر عن المدينة ، فهناك سور آخر وهمي يعزل اليمن بأسرها عن العالم الخارجي ، فالصلة الوحيدة التي تربط اليمن بالعالم الواسع والقرن العشرين مذياع نائب الامام ، الذي يلتف حوله حشد كبير داخل أسوار القصر وخارجها ، أو حاكٍ قديم باسطواناته الفحمية ، أو تلك السيارة القادمة من عالم مجهول ، يجلبها ابن النائب معه من الخارج ، فتخرج المدينة بشيبها وشبابها ورجالها ونسائها وأطفالها للفرجة عليها ، قبل أن يستولي عليها ولي العهد ، وهذه العزلة لا تفرض فقط انقطاع الصلة بين اليمن والقرن العشرين ، لكنها تفرض كافة أشكال التخلف والفقر والقهر ، فقد تبدو المدينة لعيني الطفل من فوق أسوار القلعة بمآذنها وقبابها ومنازلها وهضابها وسهولها وجبالها الممتدة على مدى البصر جميلة تخلب اللب ، لكنه حين يخبرها عن قرب يجدها « بؤرة للبؤساء » والمرضى والمجانين ، وأصحاب العاهات والمعوقين والحكام الظالمين ، مدينة البؤس والتعاسة » .

المكان اذن ليس مجرد بيئة منظرية ، هي بيئة اجتماعية سياسية تاريخية ، الجانب التاريخي فيها لا تحدده فقط الفترة التاريخية التي تجري فيها أحداث الرواية ، بل يحدده أيضا حديث العسكر الدائم عن معارك ضد الاتراك والوهابيين والبريطانيين ، أو حديث ضارب النفير عن حرب الانسحاب التي جرت في أطراف تهامة بين الوهابيين والسعايدة ، وبين اليمنيين والزيود والمتوكلين وانسحابهم الى عدن ، بل ان صور هتلر وموسيليني وعمر المختار التي يزين بها الدويدار الآخر رفيق الصبي الرهينة جدران غرفته تحدد الزمن الذي تجري فيه الأحداث .

واذا كانت تلك الذكريات والصور مجرد أصداء تاريخية تتردد في جنبات الرواية ، فان الكفاح ضد نظام الامامة يكسب الرواية بعدا تاريخيا حديثا ، فهناك جو التوتر السياسي الذي يضفيه على جو الرواية وجود الأحرار اليمنيين في عدن ، والمؤامرة التي يحيكونها في صنعاء ضد الامام ، وأحاديث المقيل عن قضية الأحرار والدستور ، وولي العهد سيف الاسلام ووالده الامام الهرم ، هذا الاشتغال بالاطار التاريخي السياسي الذى تعرض الرواية في سياقه الحدث الذاتي الخاص بالصبي الرهينة ينطق بلسان فصيح فيما يقوله الراوية من انه :

في سجل تاريخ شعبنا اليماني ـ انه قادر على تنفيذ كل رغبة تجتاح مشاعره ، وهو ينفذها بالفعل ولو بطريقة عشوائية ، ربما يقال انها ليست مثيرة ، ولكنني

أوكد أنها مثيرة ، فباستطاعته انهاء الظلم ولـو بصبر الجمال وحقدها .

العام والشخصي

هكذا يأتي مقتـل الامام في صنعـاء وهروب ولي العهـد من المـدينـة ، ثم تجميـع صفـوف رجـالـه وانقضاضه على معارضيـه ، واستباحـة المدينـة قتلا وسلبا ونهبا ليضع الحدث الشخصي الخاص بالرهينة في اطار تاريخي عام ، بل ليكسبـه دلالات تاريخيـة وسياسية أعمق ، فالرواية في حقيقة الأمـر ، تجدل الخط العـام والخط الشخصي في ضفيـرة واحـدة ، بحيث تصبح هموم الرهينة الشخصيـة همومـا عامـة ويرتبط أسرها بمقاومة الأحرار ، بل بالقضية الأساسية التي تتناولها الرواية وهي قضية الحرية .

البيئة اذن ليست مجرد خلفيـة للزينة ، انها بيئـة فعـالة تشكـل مقومـات شخصيـة الصبي ، وتلعب دورها في توجيه مسار الحدث ، فهي تتحكم في تحديد موقف الصبي الرهينة ومشاعره وعواطفه وأفكاره تجاه مـا يحيط به من شخصيـات ، ومـا يـدور حولـه من أحداث ، وبداية ، فان انتزاعه من بين أحضان أمه وسواعد ذويه هو الذي يحدد موقفه ، إن حنينا أو تمردا أو تعـززا أو اشتهاء أو تعـاطفا أو نفـورا أو رغبة في الفرار ، ثم هناك الحزن العميق والاحساس بالدونية الذي يلاحقه ويلاحق صديقه ورفيقه في الأسر ، كلما أنشد الجند لهما ذلك النشيد الجماعي التقليدي الذي يصبح لازمة تتردد من آن لآخر على امتداد الرواية : « يا دويدار . . قد امك . . فـاقدة لـك . . دمعها كالمطر » وهو نشيد يحرك في الرهينة الحنين الى حضن الأم ، والأمان وسط العشيرة والقبيلة التي ينتمي اليها هذا الحنين الـذي يلمع في عيـون الرهـائن ، وهم جلوس على سطح سور القلعة المطل على المـدينة ، يؤ رجحون سيقانهم في الهواء ، وينظرون الى الأفق البعيد ، كل يبحث عن قريته وراء الجبال ، أو يحلم ببلدته القابعة في حضن الجبل الأشم المغروسة بـين عشـرات القـرى ومئـات الحقـول المـدرجـة وآلاف المزارعين » .

قد يولد هذا في نفس الصبي حلم الفرار ، وهو ما تمكن منه البعض وفشل فيه البعض الآخر ، فعاد الى القرية مكبلا بالقيود الحديدية مدى الحياة ، لكن حلم الحرية لا يغيب عن عينيه أبدا ، وهو في هذا مختلف عن رفيقـه الـدويـدار الآخـر الـذي يبـدو مستسلما لمصيره ، ان لم يكن أيضا مستمتعـا بحياة الأسـر ، ولعل السر في أن الرواية تقـدم دويدارين بـدلا من دويدار واحد ، يصبح نمطا يمثل كل الرهائن ، هو أن الكـاتب انما يـريـد في الـواقـع أن يقـدم نمـوذجـين متعارضين وموقفين متنـاقضين ، يعمق من خـلالهما التنـاقض بينهما ، نلمـح التمـرد الـدائم في الصبي الرهينة فـاذا كان « الـدويدار الحـالي » ، أو الصبي الجميل قد استسلم لتلبية رغبات حريم القصر فان الصبي الرهينة لا يحركه لا شعورة بالتقزز ، وليس التقزز في الحقيقة الا شكلا من أشكال النفور والتمرد والتحدي الذي يضفي على صاحبنا صفة يتميز بها عن الدويدار الآخر .

قيد للجميع

ولعل هذا التناقض بين الاثنين على وجه التحديد هو الذي يتحكم في مسـار كل منهما ، فالـواقع أن خطيهما يتطوران في اتجاهين معاكسـين ، الدويـدار « الحالي » يبدأ حياته في قصر النائب ، رشيقا نشيطا ذكيا سريع البديهة حاضر النكتة ، لا يقر له قرار ، يحوم على الدوام في جنبات القصـر ، لكن بدنـه لا يلبث أن يـذبـل فيشحب لـونـه ويتسلل السـل الى صدره ، ويشتد في الليـل سعالـه المبحوح ، وتنبي صفرته عن قرب أجله ، وتتحول عنه النساء اللاتي أوردنه مورد الهلاك ، لكن المصير التعس الذي يلقاه لا يثير فقط أحزان الصبي الرهينة ، بل يثير فيه ادراكا بالمصير الذي ينتظره اذا تبع نفس المسار ، ويصبـح هذا الادراك أحد العوامل الحاسمة في تشكيل موقفه النهائي من حياتـه في القصر ، ومن نسـائه ، وعـلى الأخص الشريفة حفصة وحتى حين تصدر الأمر بفك قيده ، فانه يقاوم تنفيذ الأمر ، ويشتبك مع الجندي المكلف بتنفيـذ الأمر في معـركة بـالأظافـر والأسنان والحصى والركلات واللطمات ، هو لن يخضع ، وقد تجد الشريفة حفصة صعوبة في فهم موقفه هذا ، لكن

رفضه ينبع أساسا من موقف ، قد يعذبه الاحساس بالقهر ، وقد يولد فيه الاحساس بالعجز فكرة ان : السجين المقيد مرتاح أكثر ممن هم طلقاء بلا قيود في هذه المدينة ، بل ربما في البلاد كلها ! . . فعذرهم واضح بانهم سجناء مقيدون لا حول لهم ولا قوة .

لكنه في النهاية لن يرضخ للقهر دون تأكيد ارادته وقدرته على المقاومة ، فهو صاحب قضية : قيده هو القيد الذي يكبل الجميع ، وأسرته بعضها مشرد وبعضها في السجون . أو في المهجر ، وهو رهينة ووالده يناضل في عدن ضد الامام وسيوفه ، وهو مشدود بين ما يجري بداخله من غضب عارم لما حل باسرته وبه ، وبين ما يعتمل في أعماقه من رغبة شبقة في المرأة تستبد به ، لكن الغضب والمقاومة هما السبيل الوحيد لتأكيد كرامته كانسان .

ولحظة الادراك الذاتي هده لا تنفصل أيضا عن لحظة ادراك عامة وسط الصراع المحتدم بين الأحرار الوطنيين وبين نظام الامامة المتخلف ، وهو خط لا يغيب عن وعي الصبي لحظة واحدة . فهو حين يعرب لصديقه عن رغبته في الخروج من القصر الى الميدان والمدينة والشارع والسوق ، فلأنه كما يقول « أريد أن أشم الهواء النقي ، أن أشعر بأنني حر » قضية الحرية لا تغيب عن باله لحظة ، وحين يعرب له صديقه عن رغبته في أن يحمل فراشه الى مكان آخر خارج الغرفة التي تضمهما ، والتي يأنس اليها الصبي رغم فقرها نحده يقول :

ـ هل آخذ أشيائي وأرحل عن رغبة لك ؟

ـ أنت حر .

ـ لم أعد حراً منذ عرفت قلعة الرهائن . . . وقصر مولاك النائب . . . ودار الشريفة حفصة .

ادراكه يصل الى المزاوجة بين الأسر السياسي والأسر الجنسي الذي تريد الشريفة حفصة أن توقعه في حبائله ، والذي كان على الدوام يجاهد ضد الوقوع فيه .

ومرة أخرى تنفصل اللحظة الذاتية عن اللحظة العامة ، لحظة موت صديقه لا تنفصل عن اللحظة التاريخية التي يقتل فيها الامام ، ويهرب فيها ولي العهد ، ثم تحدث المعركة عندئذ :

تـوهجت المدينة والقرى المحيطة بها في الجبال والسهول بأضواء هائلة على أسطح المنازل تدل على وقوع حدث مهم .

وينتصر ولي العهد على الثوريين ، وتبتر رقاب في مدينة حجة ، وتستباح صنعاء ، ويتزامن موت « الدويدار الحالي » وانتصار الامام الجديد . ويصل الحدثان بالصبي الى ادراك جديد بان لا وجود للعاطفة في هذا القصر ، ومن الادراك يتولد قرار بالفرار ، وتحاول الشريفة حفصة ان تحول دون فراره ، وامام اصراره تحاول اغراءه أن يأخذها معه ، انها تحاول في الواقع أن تعرض عليه انقاذها في لحظة تاريخية تدرك فيها انه لم يعد لها ولا للنظام الذي تمثله بقاء ، لكنه يطلق لسياقه العنان ، تاركا وراءه صوتها المبحوح يناديه ، لكنه كان قد قطع « مسافة كافية في طريق جديد مؤد الى المستقبل » .

بهذه النهاية المفتوحة تومىء الرواية الى مستقبل مفتوح ، ربما لم تكن معالمه قد اتضحت بعد ، لكنه مستقبل يوحي بالتفاؤ ل والأمل ، فقد كانت الرواية تتحرك منذ البداية بين نقطتين ، نقطة انطلاق ونقطة وصول ، بين لحظة الأسر ولحظة الحرية ، وصدقت النبوءة ، وانطلق اليمن . □

في القُبْلَة

قيل : قبلة المؤمن للمؤمن المصافحة ، وقبلة الرجل زوجته الفم ، وقبلة الوالد لولده الرأس ، وقبلة الأم للابن الخد . وقال الامام علي بن أبي طالب عليه السلام : قبلة الولد رحمة ، وقبلة المرأة شهوة ، وقبلة الوالدين عبادة وقبلة الأخ للأخ رقة .

مكتبة العربي

مختارات



من المكتبة العربية
الكتاب : الديون والتنمية .
المؤلف : د . رمزي زكي .
الناشر : دار المستقبل العربي - القاهرة .
عدد الصفحات : ٢٧٠ صفحة .

في هذه الدراسة المهمة يحاول د . رمزي زكي أن يمسك « بالخيوط المعقدة التي تشابكت في السنوات العشر الأخيرة ، لتنسج مشكلة المديونية الخارجية لبعض الدول العربية » ويضع المؤلف هذه القضية الخطيرة والمعقدة ضمن اطارها الموضوعي ، من ظروف اقليمية وعالمية ، زادت من تفاقم هذه القضية ، والاثار التي حدثت بفعلها في البلدان المعنية .

ولا يكتفي د . رمزي بتقديم صورة واضحة لهذه المشكلة المعقدة للقراء المختصين والمثقفين المهتمين فحسب ، بل يتقدم خطوة أخرى ، ويقدم رؤية عربية لطرق مواجهة هذه المشكلة .



الكتاب : يتشكل الغيم في رحم المدينة - شعر .
المؤلف : هادي دانيال .
الناشر : الشركة التونسية لفنون الرسم - تونس .
عدد الصفحات : ١٠٠ صفحة .

الكتاب الشعري السادس للشاعر السوري هادي دانيال الذي يعكس في كتاباته الشعرية هما قوميا واضحا ، وتعلو فيه نبرة التحريض ضد الواقع الذي تعربد فيه أصوات الشر والقهر ، وتبرز من خلاله صور الاحتلال الصهيوني .

وضمن هذا المناخ المحدد القسمات والملامح يجد الشاعر مفرداته التي تتميز بالمباشرة والوضوح ، والتي لا تخلو من قسوة ، وتكاد لا توحى بأكثر من حروفها المحددة بصرامة ، وعلى مستوى القصيدة ضم الديوان قصائد تتراوح بين القصيدة التقليدية وقصيدة الشعر الحر والقصيدة النثرية ، يجمعها كلها ذلك النفس التحريضي الذي أشرنا اليه .



الكتاب : القراءة والتجربة - حول التجريب - في الخطاب الروائي الجديد في المغرب .
المؤلف : سعيد يقطين .
الناشر : دار الثقافة - الدار البيضاء - المغرب .
عدد الصفحات : ٣٢٠ صفحة .

يبحث هذا الكتاب وهو الرابع في سلسلة الدراسات النقدية قضايا نظرية وتطبيقية في الأدب المغربي المعاصر وخصوصاً في الرواية .

وينطلق من أربعة نماذج روائية ، شهدتها مرحلة الثمانينيات ، وهي المرحلة التي يطلق عليها المؤلف اسم « التجريبية » .

ومَهّد الكاتب لهذه الدراسة التطبيقية بمقدمة حول قراءة التجربة وتجربة القراءة ، وختمها بفصل تأليفي يحمل عنوان « اشكالية الخطاب الروائي الجديد بالمغرب » ، أما مفهوم التجريب في هذه الدراسة

ينهض على تكسير البناء الهرمي التقليدي للعمل الأدبي ، فهو بذلك نهج ملائم لمرحلة تاريخية تأتي على سابقتها وتطمح الى انتاج آخر ، ليس له غاية قابلة للتحديد موضوعا ، ومن هذا المنظور تنطلق الدراسة في تحليل التجربة الروائية في مرحلة الثمانينيات ، دون أن تفصلها عن كتابات المديني والتازي وربيع في مرحلة السبعينيات ، وعن محاولات التجريب في الرواية العربية بشكل عام . ويعد هذا الكتاب محاولة تأسيسية في مجال النقد الجديد ، استفاد فيها الكاتب من انجازات المناهج الغربية الحديثة .



الكتاب : درس الابيستيمولوجيا .
المؤلف : عبدالسلام بن عبدالعاطي وسالم يفوت .
الناشر : دار توبقال للنشر ـ الدار البيضاء .
عدد الصفحات : ٢١٠ صفحات .

يحاول مؤلفا الكتاب الوقوف عند بعض المنعطفات الكبرى التي عرفتها بعض المعارف العلمية ، لا من أجل مسحها والتأريخ لها ، وانما بهدف رصد مظاهر التجديد والطرافة فيها ، باعتبار أنها كانت مناسبات لاعادة النظر ، فيما كان ينظر اليه على أنه أولي وضروري .

ويعود المؤلفان الى المنطق الجديد الذي أسسه ديكارت على أنقاض المدارس الفلسفية التقليدية ، وموضوع هذا المنطق الجديد هو علم العلوم ، أي العلم الذي يتخذ موضوعا له العلوم ، ليسجل الطرق التي يتبعها العلماء في ميادينهم المختلفة ، فينتقد تلك الطرق ، ولا تعنى عملية الانتقاد أن هذا المنطق تسجيل تاريخي للمناهج التي اتخذتها العلوم في دراساتها ، فالمنطق علم معياري لا يكتفى بتقرير الواقع أو تسجيله ، وانما يتوق الى ما يتجاوزه .

ويوضحان من خلال الكتاب أن الابيستيمولوجيا ليست نظرية المعرفة التقليدية ، فنظرية المعرفة كما يدل على ذلك اسمها ، تهتم بجميع أنواع المعارف دون تخصيص ، في حين أن الابيستيمولوجيا تتعرض لنوع خاص من المعارف هو المعرفة العلمية .

الكتاب : الخليج العربي والحضارة المعاصرة .
المؤلف : عبدالرزاق البصير .
الناشر : مطبعة حكومة الكويت .
عدد الصفحات : ١٣١ صفحة .

في هذا الكتاب ـ وهو الرابع ـ للمؤلف يجمع عبدالرزاق البصير عددا من المقالات التي كان نشرها على فترات متباعدة في صحف ومجلات عربية

ويجمع بين هذه المقالات المتنوعة قضية مهمة هي قضية عروبة الخليج ، ويلج المؤلف الى هذه القضية من الجانب السياسي والاجتماعي والتاريخي والأدبي ، وعلى مدى هذه الحقول يسير الأستاذ البصير ، فيبحث في اسم الخليج العربي وتاريخه وكُتابه وشعرائه وعلاقاته الثقافية والأدبية ، ويضيء بعض جوانب هذا التاريخ ، وخصوصاً الجانب الأدبي ، ويدخل في نقاش مع كتاب آخرين أثاروا قضية ما حول المنطقة ، ليصل في النهاية الى هدفه المقصود في رسم صورة متكاملة للطابع العربي لمنطقة الخليج .



الكتاب : رحلة جبلية ـ رحلة صعبة ـ سيرة ذاتية .
المؤلفة : فدوى طوقان .
الناشر : دار الشروق للنشر والتوزيع ـ عمان .
عدد الصفحات : ٢٣٩ صفحة .

في هذه السيرة الذاتية للشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان ، نرى أكثر من هم ، ونخرج بأكثر من سؤال ، ونترك الكتاب ولدينا معرفة بالمناخ الفلسطيني المعقد الذي اكتنف الحياة والمجتمع في فلسطين ما قبل النكبة وقبل النكسة ، وقبل أن يأخذ الصراع العربي الصهيوني شكله الحالي .

وخلال رحلتها الجبلية الصعبة تقتحم فدوى طوقان بجرأة تحسب لها عالم الاعترافات الذاتية التي تعودنا على قراءتها عبر أعمال الرجال من الكتاب . وعبر هذه الاعترافات والذكريات الذاتية نخرج بصورة عن الأجواء الاجتماعية والسياسية التي أسهمت في التكوين الأدبي للشاعرة الفلسطينية الكبيرة .

مسابقة العربي الثقافية

العـدد ٣٣٤
سبتمبر ٨٦

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ دينارًا
الجائزة الثانية ٣٠ دينارًا
الجائزة الثالثة ٢٠ دينارًا
٨ جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ ـ 13008 ـ الكويت « مسابقة العربي الثقافية » العدد ٣٣٤ ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ١٥ اكتوبر ١٩٨٦

أرفق الحل مع هذا الكوبون

١ ـ ورد في أحد كتب السلف الصالح الفقرة التالية :ـ

« قال بعضهم عن الأرض انها مبسوطة في التسطيح . وقال بعضهم هي على شكل الترس ، ولولا ذلك لما ثبت عليها بناء ولا مشى عليها حيوان . . والذي يعتمد عليه جماهيرهم (بمعنى كثرتهم) أن الأرض مدورة كالكرة . ومن القدماء من أصحاب فيثاغورس من قال ان الأرض متحركة دائما على الاستدارة ، والذي يُرى من دوران الكواكب انما هو دوران الأرض لا الكواكب .

ترى من أي الكتب الثلاثة التالية اقتطفت هذه الفقرة ؟ :

* عجائب الخلق للقزويني .
* المقدمة لابن خلدون .
* كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي

٢ ـ يقال ان الضفادع السامة هي الأشد فتكا بالانسان . . ويقال ان أشد تلك الضفادع أذى هي التي تعرف باسم ضفادع السهام السامة . وموطنها أمريكا الجنوبية . فهي أشد فتكا بالانسان وسائر الحيوان من الوحوش المفترسة والثعابين والعناكب والعقارب والتماسيح . هذا بالرغم من حجمها الصغير الذي يعادل تقريبا حجم الضفادع العادية . صواب أم خطأ . . ؟

٣ ـ قوة الجاذبية ليست وقفا على الكرة الأرضية . . فهي موجودة في الكون كله . وفي كل جرم من أجرامه . . فان كان سقوط الأجسام على سطح الأرض دليلا على الجاذبية الأرضية . فما هو الدليل على وجود الجاذبية الكونية . ؟

* بقاء أجرام الفضاء في مواضعها .
* المذنبات التي تزور المجموعة الشمسية بين حين وحين .

كوبون مسابقة العربي
العـدد ٣٣٢

* زخات الشهب التي تنقض على سطح الارض هنا وهناك .

٤ ـ لن ترجع الأنفس عن غيها
ما لم يكن منها لها زاجر

هذا بيت لأبي نواس قرأه أحد فحول الشعراء ، فسأل لمن هذا البيت ؟ فقيل لأبي نواس فقال وددت انه لي بنصف شعري . فمن هو هذا الشاعر الفحل الذي قال هذه الكلمات ؟

٥ ـ شقائق النعمان لم سموها بهذا الاسم ونسبوها الى النعمان ؟

٦ ـ الجنرال سمطس .. واسمه بالكامل جان كريستيان سمطس شغل منصب رئاسة الوزراء في جنوب افريقيا . وخاض حرب البوير قبل ذلك .

ترى هل كان سمطس من الانجليز أم من قبائل البوير ؟

٧ ـ مجلس العموم البريطاني ، من أقدم البرلمانات في العالم ، وهو بلا ريب الأساس الذي قام عليه الحكم الديمقراطي في بريطانيا ترى من الذي دعا هذا المجلس للانعقاد في دورته الأولى سنة ١٢٦٥ ؟

* رجل فرنسي قدم الى بريطانيا سنة (١٢٣٠) واسمه سيمون دي مونتفو

* اوليفر كرومويل الزعيم البريطاني المعروف الذي ثار على الملكية وانتصر عليها .

* ريتشارد قلب الأسد الذي اشتهر بخوضه الحروب الصليبية .

٨ ـ الدلتا هي المنطقة التي تتكون عند مصب الأنهار ، حيث تتفرع هذه الأنهار الى فرعين أو أكثر وتشق طريقها الى البحر عبر رواسب تلك الأنهار ترى لم سموها الدلتا ؟

* اللفظ فرعوني ويعني الطمي .

* اللفظ لاتيني ويعني الخصوبة .

* اللفظ يوناني .. بل انه أحد حروف الهجاء اليونانية ، ويكتب على شكل مثلث ، ولما كانت الدلتا التي تتكون عند مصبات الأنهار مثلثة الشكل .. كحرف الدلتا . أطلقوا عليها اسم الدلتا .

٩ ـ املأ الفراغ في الامثال التالية :ـ
أفصح من . . . . .
أبصر من . . . .
أبلغ من . . . . . .

١٠ ـ هناك نوعان من الفيلة الفيلة الأسيوية والفيلة الافريقية فأي النوعين أكبر آذانا وأيها أكبر أنيابا ؟

* الفيل الافريقي هو الأكبر آذانا والأكبر أنيابا .

* الفيل الافريقي هو الأكبر آذانا

* الفيل الأسيوي هو الأكبر أنيابا .

١١ ـ زرع فلاح ١٠٠ شجيرة فريز في حديقته ، وفي خط مستقيم ، وجعل بين كل شجيرة وأخرى مسافة ياردة واحدة . . . وأثبت الفلاح غباءه حين اراد قطف محصوله ، فوضع السلة على بعد ياردة واحدة من الخط الذي زرع فيه شجيراته . . فما هي المسافة التي قطعها حتى استكمل قطف كل محصوله ووضعه في السلة . ؟ علما بأن الشجيرة الواحدة لم تحمل سوى ثمرة فريز واحدة . . ؟

١٢ ـ المَلْسون
المُلَسَّن
المُلْس
المَلْس

أي هذه الألفاظ يدل على الكذاب ، حلو اللسان بعيد الفعال ؟

مسابقة العربي الثقافية

١ ـ ينبْغي للكلب أن يقفز (٦٧٥) قفزة ليتمكن من اللحاق بالثعلب وتجاوزه .

٢ ـ تمثل الصورة احدى اللوحات الرائعة التي عثروا عليها على جدران الكهوف في جنوب فرنسا وشمال اسبانيا . . وعلى روعة الفن التي تتجلى في هذه اللوحات فانها من مخلفات العصور الحجرية . . أي أنها رسمَت قبل حوالي ٢٠٠٠٠ سنة .

٣ ـ في نيوزيلندة . . وتعتبر هذه البحيرة وأمثالها من أعجب ظواهر الطبيعة . . اذ تتدفق منها نوافير الماء وأعمدة البخار ، كل على حدة ، وعلى نحو من التراوح والانتظام يبعث على العجب حقا .

٤ ـ نعم وذلك بفعل التحات الذي يحدثه ماء الشلال في الصخور التي تحته . . فشلالات نياجرا التي تقع على حدود كندا مع الولايات المتحدة ، تتزحزح وتتحرك في اتجاه نبع النهر بمعدل متر واحد في السنة .

٥ ـ كتاب الجاسوس على القاموس ، ألفه أحمد فارس الشدياق (١٨٠٤ ـ ١٨٨٨) ونقد فيه القاموس المحيط للفيروزبادي .

٦ ـ سيدارتا جواتاما هو (بوذا) مؤسس المذهب البوذي (٥٦٣ ـ ٤٨٣ ق م) ولفظ بوذا صفة وتعني « المتنير » وقصة جواتاما الأمير الذي هجر أهله والرفاهية وهو في التاسعة والعشرين قصة معروفة .

٧ ـ جزيرة بومباي تقع في بحر العرب ، وبمحاذاة شاطيء الهند الشمالي . . وتبلغ هذه الجزيرة ١١ ميلا بالطول و١٣ ميلا بالعرض . . وقد أنشئت مدينة بومباي على الطرف الجنوبي من هذه الجزيرة .

وتجدر الاشارة الى أن بومباي تعتبر حاليا من أكبر مدن العالم وأكثرها سكانا ، وتؤوي جامعة « بومباي » الشهيرة . . فهذه الجامعة التي انشئت سنة ١٨٥٧ تضم ٤٢ كلية .

٨ ـ المخترع الأول هو صانع النظارات الهولندي . . وقد عرف جاليليو عن اختراعه فعمد الى صنع نظيره . . والى تطويره .

٩ ـ سار الرجل ميلا ، وقطع ٧ أميال راكبا .

١٠ ـ البحر الميت هو الأكثر انخفاضا عن سطح البحر . . أما بحيرة بايكال فليست منخفضة عن سطح البحر على الاطلاق . . بل انها تقع في منطقة جبلية يبلغ ارتفاعها فوق سطح البحر ١٥٠٠قدم . . الا أن بحيرة بايكال أعمق بحيرات العالم بلا نزاع . . . اذ يبلغ عمقها في أقصاه ٥٣٠٠ قدم .

١١ ـ نرى السماء زرقاء . . بسبب ضوء الشمس . . والأشعة الزرقاء منه بالتحديد . . فهذه الأشعة الزرقاء ـ دون غيرها ـ تتعرض للبعثرة ، وهي آتية الينا عبر الغلاف الجوي . . الهواء يبعثرها بحيث تسقط على أعيننا من كل جانب . . وهذا هو ما يجعل السماء تبدو لنا زرقاء .

١٢ ـ الزاووة أو الزاؤوة هو الزئبق . . .

مسابقة العدد ٣٣١ يونيو ١٩٨٦

الفائزون في مسابقة العدد ٣٣١ يونيـو ١٩٨٦

الجائزة الأولى : عبدالغني محمد عوض ـ مصر/ قنا/ قوص

الجائزة الثانية : سلمان محمد السادة ـ السعودية/ نادى الخويلدية/ القطيف ـ المنطقة الشرقية .

الجائزة الثالثة : مجد محمد مراد ـ الكويت/ مدرسة النهضة/ ص . ب (١٩٠٢٨)

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ مندومي الحسن بن محمد ـ المغرب/ المحجوب/ رسموكه/ اقليم تزنيت/ المغرب الأقصى .
٢ ـ زكريا كمال الدين محمد ـ مصر/ وجه قبلي/ فرشوط/ الكرنك/ عزبة البوصة
٣ ـ البو حمادى محمد ـ المغرب/ استوديو النجاح رقم ٢١/ زنقة الشامرية/ الحي الحجرى العيون .
٤ ـ كمال أبو بزيد شبارة ـ مصر/ كفر الزيات/ مدرسة الشوربجي .
٥ ـ فاطمة أصفر على ـ البحرين/ الرفاع الشرقي .
٦ ـ جيهان الياس ابراهيم ـ مصر/ القاهرة .
٧ ـ حاتم محمد السيد حسين ـ مصر/ الزقازيق .
٨ ـ يوسف بلال يوسف ـ الصومال/ مقديشو .

معركة بلا سلاح

الطفل العربي والشطرنج

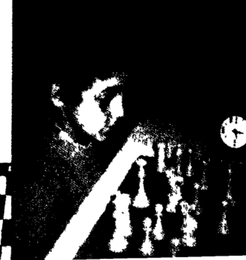
من الأحداث الشطرنجية الرائدة التي تبعث على التفاؤل بمستقبل شطرنجي مشرق في وطننا العربي والتي تدل على الاهتمام والرعاية المتزايدة التي توليها الهيئات والمحافل المعنية على الصعيدين الحكومي والأهلي لدعم هذه اللعبة وارساء قواعدها على أسس وطيدة ، تلك المباراة التي نظمتها الجامعة المغربية للشطرنج لبطولة المغرب المفتوحة للناشئين تحت ١٢ عاماً ، والتي أقيمت في قاعة علال الفاسي في مدينة الرباط في مطلع شهر مايو من العام الحالي .

وتعتبر هذه البادرة الطيبة دليلاً أكيداً على اقتناع الهيئات المسئولة عن الحركة الشطرنجية في هذا القطر العربي الناهض بأن التقدم المنشود في هذه اللعبة الذهنية الراقية التي تبذل كبريات الدول في عالمنا اليوم الجهود الجبارة لتحقيق مكانة رفيعة فيها يجب أن يبدأ بالناشئة العربية فالطفل هو دوماً حجر الأساس في بناء الصرح العلمي والثقافي السليم ودعم شطرنج الطفل خطوة أساسية هامة على الطريق الصحيح .

والاستعراض السريع لكبار أبطال الشطرنج الحاليين في العالم تكفي للتدليل على صحة ما نذهب إليه ، فمعظم أبطال العالم اليوم قد عايشوا اللعبة ومارسوها ممارسة جادة منذ سنوات طفولتهم المبكرة وقد تفتحت مواهبهم الفذة نتيجة للرعاية الواعية التي تلقوها منذ نعومة أظفارهم على أيدي الأهل والمسئولين عن الحركة الشطرنجية في بلادهم . فبطل العالم السابق كاربوف وبطل العالم الحالي كاسباروف وبطل بريطانيا نايجل شورت وبطلة هنغاريا زوزا بولجار وبطل العرب سعيد أحمد سعيد كلهم رضعوا الشطرنج مع حليب أمهاتهم وحققوا بطولات دولية مرموقة قبل بلوغ الثامنة أو العاشرة من العمر .

وقد اشترك في المباراة المشار اليها ثلاثون طفلاً منهم ثمانية من الإناث ، وقد فاز بالبطولة المطلقة الطفل ميمون لمرابط الذي لا يتجاوز الثامنة والنصف من العمر (انظر الصورة) ، كما فازت الطفلة إكرام الرّغاي البالغة من العمر عشر سنوات بالمرتبة الأولى على الإناث والمرتبة الثامنة في الترتيب العام . وقد حظيت المباراة بتغطية تامة من جميع وسائل الاعلام المغربية من مسموعة ومكتوبة ومرئية ، وما من شك في أن ما لقيته هذه المباراة الرائدة من نجاح ودعم رسمي وشعبي سيكون له شأن في دفع عجلة هذه اللعبة الراقية وتشجيع الأطفال على تعلمها وممارستها أسوة بالبلاد المتقدمة التي أدخلتها حتى في صلب مناهجها المدرسية في مختلف المراحل التعليمية .

الطفل ميمون لمرابط بطل المغرب تحت ١٢ سنة





الطفلة إكرام الرغاى بطلة المغرب للفتيات تحت ١٢ سنة

والدور التالي الذي اخترناه لكم من الأدوار المميزة في شطرنج الأطفال :

□	■ أسود
١) هـ ٤	هـ ٥
٢) ح - و ٣	ح - جـ ٦
٣) ح - جـ ٣	ف - جـ ٥
٤) ح×هـ ٥ تضحية مؤقتة	ح × هـ ٥
٥) د ٤	ف - د ٦
٦) د×هـ ٥ مسترداً القطعة	ف × هـ ٥

٧) و ٤ الأبيض يهاجم باستمرار بهدف الانتشار السريع والسيطرة على وسط الرقعة

٧)	ف × جـ ٣ +
٨) ب × جـ ٣	ح - و ٦
٩) هـ ٥	ح - هـ ٤
١٠) و - د ٣ !	ح - جـ ٥

الأبيض لاحظ التهديد و - حـ ٤ +

١١) و - د ٥	ح - هـ ٦
١٢) و ٥	ح - ز ٥ ؟ ؟

يبدو أن الأسود يلعب دون هدى

١٣) حـ ٤ مُقْتنصاً الحصان و ٦

١٤) حـ × ز ٥	و × ز ٥

١٥) ر × حـ ٧ ! ! نقلة رائعة لاستاذ صَغير فالأسود لا يستطيع الأخذ خشية و - ز ٨ +

١٥)	ر - و ٨
١٦) ر × ز ٧	جـ ٦
١٧) و - د ٦	ر × و ٥ ؟ ؟
١٨) ر - ز ٨ +	ر - و ٨
١٩) ر × و ٨ كش مات	

حل المسألة رقم (٣٣٢)

١) ف - ب ٨	هـ ٢
٢) ف - و ٤ مات	

الفائزون بحل المسابقة ٣٣١

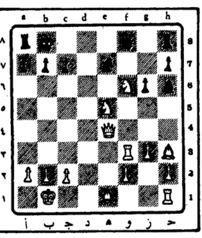
عدد يونيو ٨٦

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ ـ طارق ارناؤوط ـ الزقازيق/ جمهورية مصر العربية
٢ ـ عبدالهادى محمد ـ بغداد/ العراق
٣ ـ ريم علي ـ صنعاء/ اليمن
٤ ـ بودياب بوجمعة ـ تازه/ المغرب
٥ ـ باسم عبد الستار ـ الكويت .

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ ـ ابراهيم سامي ـ دمياط/ جمهورية مصر العربية
٢ ـ وسام هزيم ـ صافيتا/ سوريا
٣ ـ حمزة زواوي ـ بيروت/ لبنان
٤ ـ أحمد المهدى ـ الاسكندرية/ جمهورية مصر العربية
٥ ـ محمد صالح ـ درعا/ سوريا



مسابقة العدد

٣٣٤

مات ٣

مهداة من القاريء عاطف عبد الغني



على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"



دور المثقفين العرب

● السيد الدكتور محمد الرميحي ،

أكتب اليك هذه الرسالة ، وان لبست ثوب التعليق على مقالكم « الخطاب العلمي العربي » افتتاحية شهر مايو سنة ١٩٨٦ ، الا أنها في حقيقتها رسالة تقدير واحترام من قارىء لكاتبه .

مطارق أسئلتكم تدق في داخلي بعنف ، فالقضية المطروحة في حديث الشهر هي قضية حياة أو موت ، نكون أو لانكون ، والعالم المتقدم استحوذ على مفاتيح العلم ، وراح يسيطر على دول العالم الثالث ، بما يملكه من قوى اقتصادية وفكرية وعسكرية وفرها له في الأساس التقدم العلمي والحضاري ، والوطن العربي ، رغم مابه من جامعات ومصانع ومزارع ، ومايمتلكه من دولارات وأسلحة وسلع استهلاكية ، لايزال يعيش في اقتصاد التخلف ، بما تعنيه هذه الكلمة من مرارة .

وحتى هذا الاقتصاد لم يسلم لنا ، ولم نوفر له أسباب الحماية والصون ، فها هي أسعار البترول تتدهور ، ونخشى أن يصل هذا التدهور الى الحد الذي تصبح فيه تكاليف استخراج البترول عبئا على عرب النفط قبل عرب الماء على حد تعبير الكاتب المصري صلاح عيسى .

لقد كتب الاستاذ محمد حسنين هيكل يقول :

« ان الوطن العربي توفرت له من الأموال مالم يتوفر في الماضي للدولة الأموية ، ولا للدولة العباسية ، ولالبريطانيا العظمى ولالفرنسا » . فماذا فعلنا بهذه الأموال ؟

وكتب الاستاذ غسان حتاحت في مجلة الدوحة عن « لعبة الدولار » التي تهدر ثروات العرب ، وتضعهم تحت رحمة صناع القرار في واشنطن .

لقد حدث كل هذا تحت سمع وبصر كل الأنظمة العربية الحاكمة الآن ، ولذلك فان الخروج من المأزق أصبح من أخص واجبات الصفوة المثقفة التي يجب عليها أن تتكتل داخل الوطن العربي الكبير ، لخلق التيار القائد الذي يمكن أن يكون عامل ضغط وتأثير على القرارات السياسية للحكومات العربية . .

ان السمة الغالبة للدول القوية والكبرى في عالمنا المعاصر هي التكتل من أجل المزيد من القوة ، وواقع أمتنا العربية هو التشرذم ، فهل نحن نحلم بالمستحيل حين ندعو مثقفي هذه الأمة الى توحيد جهودهم من أجل هذا الهدف ؟ فما السيل الا قطرات ماء نزلت متفرقة ثم تجمعت هادرة !

رجب دهمس
ج . م . ع .

العربي

ـ نشكر القارىء الكريم اهتمامه ، ونشاطره الثقة في أهمية الدور الذي يمكن أن يقوم به المثقفون العرب ، سواء في تنوير وتثوير قطاعات كبيرة من الشعب العربي ، أو في التأثير على القرارات السياسية للحكومات العربية ، واننا اذ ننشر هذه الرسالة ، انما لنعبر عن تفاعل القارىء مع كاتبه ، وهو التفاعل الضروري ليتمكن المثقفون في الوطن العربي من أداء دورهم .

فالقوة التي يمكن أن تكون للمثقفين في الوطن العربي انما هي بحجم تفاعلهم مع القراء في كل مكان ، ومن خلال دور القراء في مواقع العمل وتأثيرهم في مجتمعاتهم .

من الكلمات الأخيرة ..
للدكتور عبد المحسن صالح

● قرأت في عدد يونيو سنة ١٩٨٦ من مجلة العربي في باب « حوار القراء » رسالة للقارىء مجاهد بن عبد الرحمن ، الدار البيضاء ـ المغرب ، يوجه فيها سؤالا الى المرحوم الدكتور عبد المحسن صالح ، كما قرأت تعقيب المجلة على رسالة القارىء .

لقد هزتني كلمات التعقيب التي تطلب من العالم الفاضل أن يواصل كتابة مقالاته في اعداد العربي القادمة ، فرت الدموع من عيني ، وأجبرتني على ان أمسك بالقلم وأخط هذه الكلمات التي كانت آخر ماقاله لي قبل الرحيل بيومين « سأكف عن كتابة المقالات ، وأتفرغ لجمع ماكتبته منها في كتاب أو اثنين ، ولكني أنوي أن أكتب عدة مقالات للعربي ، لأن لها في عنقي دينا .. وسوف تكون الخاتمة بالنسبة لي » .

لكن القدر لم يمهله كي يسدد هذا الدين ، فقد توفي يوم الجمعة ، أول رمضان/ ٩ مايو سنة ١٩٨٦ ، ومن أسف لم نكتشف وفاته غير مساء اليوم التالي السبت بعد أن تغيب عن موعد كنا سنلتقي فيه ، مما جعلنا نتشكك في الأمر ، وبخاصة انه لم يذهب الى عمله كالمعتاد ، فذهبنا اليه في بيته وكانت الفاجعة الكبرى ، حيث وجدناه قد رحل عنا فجأة الى رحاب الله .

والعالم د . عبد المحسن صالح لم يتزوج ، وانما وهب حياته كلها للبحث العلمي والثقافة ، فأثرى المكتبة العربية بعلمه وكتبه ومقالاته التي طافت في معجزات الكون بأسلوب راق ومبدع ، جعل هذه المعجزات في متناول ادراك القارىء العادي ، لذا فاني أرجوكم التفضل بارسال عنوان القارىء السائل الكريم كاملا ، حتى يتسنى لي الحصول على الاجابة الشافية لسؤاله وارسالها اليه ، ولكن أوجه اليه شكرا خاصا على تقديره وكلماته الطيبة التي خص بها العالم الراحل الكبير .

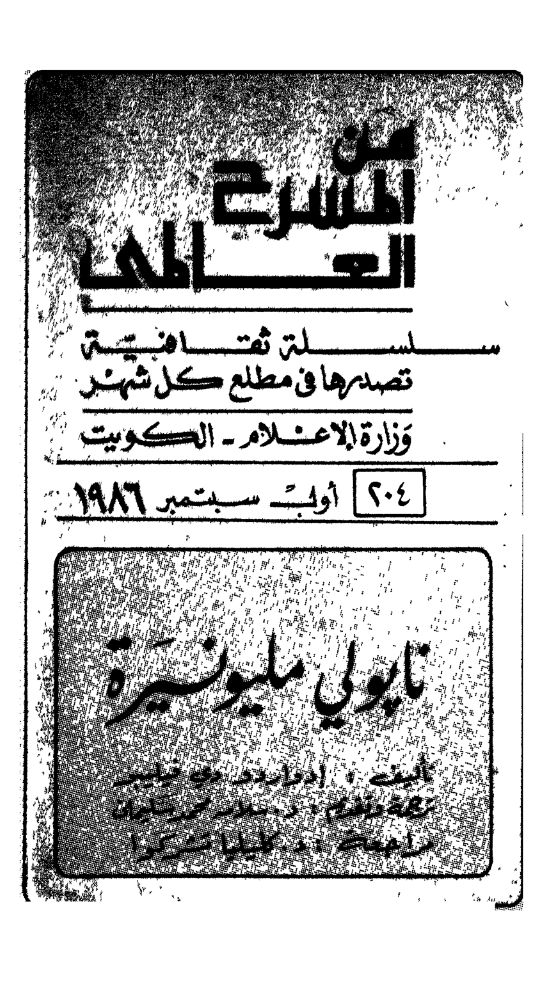
د . نبيل سليم
مدرس بكلية الطب بجامعة الاسكندرية

العربي

ـ لانظن أننا في هذا المكان يمكن أن نوفي العالم الجليل المرحوم الدكتور عبد المحسن صالح بعض حقه ، ان لهذه المهمة مكانا وزمانا آخرين في هذه المجلة ، وفي كل المجلات التي اختارها العالم الكبير ، ليعبر عن وفائه للعلم وللثقافة ولابناء أمته العربية .

انها مهمة تلاميذه ومحبيه وعارفي قدره ، وهي مهمة كبيرة وممتدة ، قد تتمثل في الكتابة عنه ، والتعريف بمنهجه في البحث وطريقته في الحياة ، وفي العمل ، وفي الكتابة .

وقد تتمثل أكثر من السير على طريقة وخدمة أبناء أمته بنفس الأسلوب السهل الممتنع الذي يجعل من



من المسرح العالمي
سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الإعلام - الكويت
٢٠٤
أول سبتمبر ١٩٨٦
نابولي مليونيرة
تأليف : ادواردو دي فيليبو
ترجمة وتقديم : د. سلامة محمد سليمان
مراجعة : د.